



المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القرى  
كلية اللغة العربية  
قسم الدراسات العليا العربية  
فرع البلاغة والنقد



# الدعاء في القرآن الكريم أساليبه ومقاصده وأسراره

بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير في البلاغة والنقد

إعداد الطالبة

بهية بنت حامد اللحyani

إشراف الدكتور

يوسف عبد الله الأنصاري

١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اسم الطالبة : بهية بنت حامد بن أحمد اللحياني

التخصص : البلاغة والنقد

الدرجة : ماجستير

### ملخص الرسالة

عنوان الرسالة : ( الدعاء في القرآن الكريم أساليبه ومقاصده وأسراره ) .  
اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وباين ثم خاتمة وثبت بالمصادر والمراجع .  
وفي المقدمة أشارت الباحثة إلى حاجة البلاغة القرآنية إلى مزيدٍ من الدراسات  
الجادة لإظهار ما فيها من بلاغة النظم وروعة السبك . ثم جاء التمهيد عرضاً لدلالة  
مادة ( دعا ) في القرآن وكلام الناس . وكيف أنها كانت في معظمها مبنية على  
المجاز . ثم قدمت الدراسة عرضاً للدعاء في بيان العربية شعراً ونثراً .  
والباب الأول في فصوله الثلاث تناولت فيه الباحثة أساليب الدعاء وأصناف  
الداعين ومقاصدهم . أمّا الباب الثاني فقد كان تحليلاً لآيات الدعاء وقد خلص  
البحث إلى نتائج دونت في خاتمته من أهمها :  
١ - غزارة مادة دعا وثراء دلالاتها .  
٢ - أن السمة المميزة للدعاء القرآني إيجازه .  
٣ - كثرة الدعاء الدنيوي الذي جاء في معظمه على ألسنة المؤمنين وقلّة الدعاء  
الأخروي الذي صدر في معظمه على ألسنة المعذنين .  
٤ - قلة صور البيان والبديع في آيات الدعاء .  
٥ - كثرة الدعاء بأسلوب الأمر .  
٦ - كثرة النداء بصفة الربوبية . وكل تلك النتائج كشفت الدراسة عن بعض  
أسرارها في مظانها من هذا البحث .

عميد الكلية

المشرف

الطالبة

د/ صالح بدوي

د/ يوسف بن عبد الله الأنصاري

بهية بنت حامد بن أحمد اللحياني

٥٥

٥٥

٥٥

## المقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين  
خير ولد عدنان نبينا محمد ﷺ الذي لم يجاره في علمه إنس ولا جان أفضل  
الخلق وأبلغهم ، وعلى آله وصحبه الأطهار إلى يوم الدين .

وبعد :

فبلاغة القرآن بحر زاخر بدرر لم تمسها أيدي الدارسين ، ولم تقلبها  
أذهان الباحثين . لذا فهي بحاجة إلى جهود المخلصين ، لجمع تلك الدرر  
ونظمها عقوداً تزدان بها عربيتنا ، وتكسوها جمالاً وفتنة ، فالقرآن ثريٌّ  
بأساليب من القول بديعة وأفانين من النظم فريدة ، جعلته بحق معجزة خالدة  
تزداد مع الأيام إبهاراً ، وتحتاج جهداً صادقاً لإظهارها من بين السطور ،  
لتكون دليلاً على بلوغ القرآن حد الإعجاز الذي تحطمت أمامه قوى  
المتحدين والمعاندين الذين يحاولون النيل منه والطعن فيه .

ومن فضل الله عليّ ثم ببركة دعاء والديّ أن يسر لي اختيار هذا  
الموضوع ( الدعاء في القرآن الكريم ” أساليبه ومقاصده وأسراره “ ) خدمة  
لكتاب الله عز وجل ، محتسبة الأجر ممن قال لعباده : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ  
ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ ﴾ [ الزلزلة / ٧ - ٨ ] .

ومما لاشك فيه أن أكثر الموضوعات إمتاعاً أقربها للنفس ، وأمسها  
بالقلب . وما الدعاء إلا فيض الشعور وضعف النفس وانكسارها ، يصارح  
فيه العبد ربّه متجرداً من قوته ، كاشفاً عن حاجته في تذلل واستعطاف .

فكان حقيقاً بالدراسة والتحليل للكشف عمّا فيه من روائع النظم ، وبدائع السبك . والدعاء القرآني هو الأساس والأنموذج المحتذى ، فيه من المعاني والأسرار ولطائف القول ما جعل الكفار عاجزين عن مماثلته ولو بآية واحدة . وقد حاولت أن أعرض - حسب علمي المتواضع - ما جاء في الدعاء القرآني من تلك المعاني والأسرار فكان هذا البحث الذي اشتمل بعد هذه المقدمة على تمهيد تناولت فيه :

أ - الدلالات اللغوية للدعاء في القرآن الكريم .

ب - الدعاء في بيان العربية .

ثم باين :

**١ - الباب الأول : الدعاء أساليبه ومقاصده في القرآن الكريم.**

وقد اشتمل على ثلاثة فصول :

أ - الفصل الأول : أساليب الدعاء في محكم التنزيل .

ب - الفصل الثاني : أصناف الداعين .

ج - الفصل الثالث : مقاصد الدعاء .

**٢ - الباب الثاني : التحليل البلاغي لآيات الدعاء .**

وقد اشتمل على ثلاثة فصول :

أ - الفصل الأول : دراسة تركيب الجملة .

ويحتوي على ستة مباحث :

- ١ - المبحث الأول : التقديم وأسراره .
  - ٢ - المبحث الثاني : أسلوب التوكيد ودلالته البلاغية .
  - ٣ - المبحث الثالث : التعريف والتنكير .
  - ٤ - المبحث الرابع : المشتقات وصيغ الأفعال ودلالاتها البلاغية .
  - ٥ - المبحث الخامس : دلالات إنما النفي والاستثناء .
  - ٦ - المبحث السادس : أسرار الإفراد والجمع في آيات الدعاء .
- ب - الفصل الثاني : دراسة تركيب الجمل .
- ويحتوي على أربعة مباحث :
- ١ - المبحث الأول : علاقات الجمل .
  - ٢ - المبحث الثاني : ترتيب الجمل وأسراره .
  - ٣ - المبحث الثالث : مظاهر الإيجاز والاطناب .
  - ٤ - المبحث الرابع : فواصل آيات الدعاء .
- ج - الفصل الثالث : صور البيان والبديع في آيات الدعاء .
- ثم الخاتمة وثبت المصادر والمراجع .

وبعد :

فإنني أتضرع للمولى سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل ويجنبه الزلل إنه على ذلك لتقدير . فهذا جهد المقل وما توفيقى إلا بالله وفي الختام أتوجه بالشكر لجامعة أم القرى ممثلة في كلية اللغة العربية قسم الدراسات العليا العربية فرع البلاغة والنقد على كل ما قدمته لي ثم أتوجه بالشكر الجزيل الموشى بعظيم الامتنان لأستاذي الدكتور / يوسف عبد الله الأنصاري الذي نمت على يديه فكرة الرسالة حيث تعهدوا - بالنصح والارشاد والتوجيه - كما يتعهد الوالد ولده حتى بلغت أشدها فلم يخل عليها بوقت أو جهد . جزاه الله عني وعنهما خير الجزاء وبارك له في علمه وعمله .

والشكر موصول لسعادة الدكتور / عبد الله اللحياني الذي ما توانى عن مساعدتي وتوجيهي رغم انشغاله فله دعائي الخالص بموفور الصحة والعافية وأن يبارك له في علمه وولده .

ثم إنني أرجو من الله العلي العظيم لعائلي الصغيرة والكبيرة كل خير وأن يجعل ذلك في موازين حسنات كل فرد منهما . وكل من مد لي يد المساعدة بفكرة أو خدمة أو توجيه .

وأخص بالشكر صغرى شقيقاتي ( فتحية ) لتفانيها في مساعدتي ، فقد كانت العين الثانية التي رعت البحث بعد عيني . بارك الله في عمرها وأمتعها بالصحة والعافية .

ولا يفوتني في الختام أن أقبل يدي من رعتني ورعت ابنتي وكان لسانها عذبا رطبا بذكر الله تدعوه أن يوفقني في بحثي ويجعل له حظا من القبول أمي التي أبتهل إلى المولى أن يلبسها العافية حلة لا تبلى ويكسوها الصحة دوما وأبدا ، ويرزقها أعلى الدرجات في الجنة .

أمّا شكري لوالدي - رحمه الله - فإنني أبته دعاءً له بالرحمة والغفران وسكنى فسيح الجنان .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

التعمير



## التمهيد

### أ - الدلالات اللغوية للدعاء في القرآن الكريم :

#### الدعاء بين الداليتين اللغوية والقرآنية :

دارت مادة ( دعا ) في معاجم اللغة والقرآن حول عِدَّة معانٍ نرى اشتراك اللغة والقرآن في كثير منها ، في حين نجد إنفراد أحدهما ببعض الألفاظ دون الآخر .

والدعاء في الأصل واحد الأدعية وهو : « أن تميل الشيء إليك بصوتٍ وكلام يكون منك . تقول : دعوتُ أدعو دعاءً »<sup>(١)</sup> . وهو أيضاً « الرغبة إلى الله عز وجل ، دعاه دُعَاءً ودَعَوَى »<sup>(٢)</sup> .

#### أولاً : المعاني المشتركة لمادة ( دعا ) في القرآن وكلام الناس :

##### (١) النداء والطلب :

« دعوت فلاناً أي صحت به واستدعيته وناديته »<sup>(٣)</sup> . وجاء في القرآن بهذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ اٰبِۤىۡ يَدْعُوۡكَ لِیَجۡزِیۡكَ اَجۡرَ مَا سَقٰیۡتَ لَنَا .. ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) مقایس اللغة / لابن فارس / تحقيق : عبد السلام هارون / دار الفكر / ٢ / ٢٧٩ (دعو) .

(٢) لسان العرب / لابن منظور / دار إحياء التراث العربي بيروت / الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ -

١٩٩٣ م / ٤ / ٣٦٠ (دعا) .

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / للجوهري / تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار / دار

العلم للملایین / ٦ / ٢٣٣٧ (دعا) ، واللسان / ٤ / ٣٦٠ .

(٤) القصص / ٢٥ .

## (٢) طلب الإحضار :

دعا بالشيء طلب إحضاره ، و ( دعا بالكتاب استحضره ) <sup>(١)</sup> ومنه قوله تعالى : ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

## (٣) النداء إلى الطعام :

« الدَّعوة إلى الطعام ( بالفتح ) يقال : كنا في دعوة فلان ومدعاة فلان وهو في الأصل مصدر ، يريدون الدعاء إلى الطعام » <sup>(٣)</sup> . ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَنْسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

ونلاحظ التقارب الشديد بين المعاني الثلاثة السابقة .

## (٤) النسب :

« الدَّعوة ( بالكسر ) في النسب يقال : فلان دَعِيَُّ بَيْنَ الدَّعوة والدَّعوى في النسب والدَّعِيُّ أيضاً : من تبنيته » <sup>(٥)</sup> قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۗ ﴿١﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا ءَابَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ <sup>(٦)</sup> .

(١) أساس البلاغة / للزمخشري / دار الكتب المصرية / ١٣١ .

(٢) الدخان / ٥٥ .

(٣) الصحاح / ٦ / ٢٣٣٦ .

(٤) الأحزاب / ٥٣ .

(٥) الصحاح / ٦ / ٢٣٣٦ - ٢٣٣٧ .

(٦) الأحزاب / ٥ .

## ثانياً : المعاني التي لم ترد في القرآن :

انفردت مادة ( دعا ) في اللغة بمعانٍ منها :

- ١ - الإدعاء في الحرب « أي الاعتزاء وهو أن تقول : أنا ابن فلان »<sup>(١)</sup> .
- ٢ - « الإدعاء أن تدعي حقاً لك أو لغيرك ، تقول ادّعى حقاً أو باطلاً »<sup>(٢)</sup> .
- ٣ - دواعي الدهر : صروفه<sup>(٣)</sup> وهذا من المجاز ، وكأنّ الدهر يدعو صروفه التي سماها العرب ( بنات الدهر ) .
- ٤ - الأدعية " الأحمية " <sup>(٤)</sup> وهي من المجاز كذلك .
- ٥ - « تداعت عليهم القبائل من كل جانب : اجتمعت »<sup>(٥)</sup> وهذا من المجاز لأن اجتماعها مسبب عن دعائها بمعنى نداء بعضها على بعض .
- ٦ - تداعت عليهم الحيطان . أي تهدمت<sup>(٦)</sup> وهو من المجاز ، وكأنّ الحيطان قد دعا بعضها بعضاً فاستجاب .
- ٧ - داعية الخيل : صريخهم<sup>(٧)</sup> وهو من المجاز أيضاً .
- ٨ - « النادبة تدعو الميت : تندبه تقول : وازيداه »<sup>(٨)</sup> وهذا من المجاز لأنه نداء مراد به التحسر .

---

(١) مقاييس اللغة / ٢٨٠ ، الصحاح ٦ / ٢٣٣٧ .

(٢) مقاييس اللغة / ٢٨٠ .

(٣) الصحاح ٦ / ٢٣٣٧ ، مقاييس اللغة / ٢٨٠ ، أساس البلاغة / ١٣١ .

(٤) الصحاح ٦ / ٢٣٣٧ .

(٥) أساس البلاغة / ١٣١ .

(٦) راجع أساس البلاغة / ١٣١ ، الصحاح ٦ / ٢٣٣٧ ، مقاييس اللغة / ٢٨٠ .

(٧) أساس البلاغة / ١٣١ .

(٨) المصدر السابق / ١٣١ .

٩ - « داعية اللبن: ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده »<sup>(١)</sup> وهي من المجاز.

١٠ - ومن المجاز « دعاه الله بما يكره: أنزله به »<sup>(٢)</sup> وهي من المجاز كذلك.

١١ - ومن مجاز المجاز « تداعت إبل بني فلان: هزلت أو هلكت »<sup>(٣)</sup>.

وذلك أن التداعي مجاز في الإبل إذ أنها خاصة بالحيطان أي سقطت  
وكان بعضها دعا بعضاً وهي مجاز في الحيطان فهذا مجاز بني على مجاز آخر .

### ثالثاً : المعاني التي انفرد بها القرآن :

#### (١) العبادة :

وهو من المجاز كذلك ، لأن الدعاء بمعنى النداء لله رب العالمين يلزمه  
الانقياد والطاعة إذ هو من لوازم الانقياد والطاعة .

وقد جاء الدعاء بمعنى العبادة في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي  
أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ  
دَاخِرِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> . « أي اعبدوني بدليل ما بعده ( عبادتي ) . وكذلك قوله  
تعالى : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> . أي ( اعبدوا )<sup>(٦)</sup> .

ومثله قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَوُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾<sup>(٧)</sup> أي  
عبادتكم<sup>(٨)</sup> .

(١) المصدر السابق / ١٣١ ، الصحاح ٦ / ٢٣٣٧ ، مقاييس اللغة / ٢٨٠ .

(٢) أساس البلاغة / ١٣١ .

(٣) المصدر السابق / ١٣١ .

(٤) غافر / ٦٠ .

(٥) غافر / ١٤ .

(٦) معجم ألفاظ القرآن الكريم / الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م /

الطبعة الثانية ، المجلد الأول / ٤١٣ .

(٧) الفرقان / ٧٧ .

(٨) معجم ألفاظ القرآن ١ / ٤١٤ .

## (٢) الاستفهام والسؤال :

قد يراد بدعا السؤال والاستفهام على سبيل المجاز نحو قوله تعالى :  
﴿ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنَ لَنَا مَا هِيَ ۚ ﴾<sup>(١)</sup> أي أسأل واستفهم . ومثله  
قوله تعالى : ﴿ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾<sup>(٢)</sup> أي سألوا<sup>(٣)</sup> . وقوله تعالى :  
﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾<sup>(٤)</sup> أي سأله<sup>(٥)</sup> .

## (٣) القول :

يراد كذلك ( بدعا ) القول وهو من المجاز كقوله تعالى : ﴿ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا  
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> أي قولهم ومثله قوله تعالى : ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ  
دَعْوَانَهُمْ ﴾<sup>(٧)</sup> أي قولهم<sup>(٨)</sup> .

(١) البقرة / ٦٩ .

(٢) يونس / ٢٢ .

(٣) معجم ألفاظ القرآن ١ / ٤٠٩ .

(٤) النمل / ٦٢ .

(٥) معجم ألفاظ القرآن ١ / ٤٠٩ .

(٦) يونس / ١٠ .

(٧) الأنبياء / ١٥ .

(٨) بصائر ذوي التمييز / للفيروزآبادي / تحقيق : محمد علي النجار / المكتبة العلمية - بيروت

(٤) الحث على الشيء :

ومن معاني دعا الحث على الشيء كقوله تعالى : ﴿ اَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾<sup>(١)</sup> . أي حث<sup>(٢)</sup> . ومثله قوله تعالى : ﴿ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ﴾<sup>(٣)</sup> أي يحثونه على الهدى<sup>(٤)</sup> .

(٥) الطلب والاستعجال :

وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> . أي تستعجلون .

(٦) نداء الهلاك :

وذلك في مثل قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُونَ ثُبُورًا ﴾<sup>(٦)</sup> أي يقول : ياثبورا .

ومما سبق يمكن القول إن :

١ - مادة ( دعا ) قد حفلت بمعانٍ عديدة دارت في ثنايا معاجم اللغة وفي آيات القرآن الكريم وكانت في معظمها معانٍ مجازية .



٣٨٨٣

- (١) النحل / ١٢٥ .
- (٢) معجم ألفاظ القرآن ١ / ٤١٢ .
- (٣) الأنعام / ٧١ .
- (٤) معجم ألفاظ القرآن ١ / ٤١٢ .
- (٥) الملك / ٢٧ .
- (٦) الانشقاق / ١١ .

٢ - القرآن قد انفرد بمعانٍ مختلفة تماماً عن ما ورد في كلام الناس ، حيث يغلب عليها الطابع الديني ( النفسي ) الذي قلّمنا نجده في ألفاظ اللغة - التي انفردت بها دون القرآن - والتي غلب عليها الطابع الحسي .

٣ - مادة ( دعا ) التي يراد بها كشف الضر أو جلب النفع نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴾<sup>(٢)</sup> أي لا يمل من دعاء الخير لنفسه وجلبه إليه . هي التي تراد في هذا البحث .

وقد فصلّ ابن منظور<sup>(٣)</sup> في اللسان استعمال الدعاء كعبادة ، وجعله على ثلاثة أوجه هي :

الأول : توحيده والثناء عليه كقولك : يا الله لا إله إلا أنت ن وربنا لك الحمد ، فقد دعوته بقولك : ربّنا ، ثم أتيت بالثناء والتوحيد .

الثاني : مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منه كقولك : اللهم اغفر لنا .

(١) الزمر / ٨ .

(٢) فصلت / ٤٩ .

(٣) محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، صاحب لسان العرب ، الإمام اللغوي الحجة ، ولد بمصر ( وقيل : في طرابلس الغرب ) وخدم في ديوان الإنشاء في القاهرة ثم ولي القضاء في طرابلس ثم عاد إلى مصر وتوفي فيها ، كان مغرّياً باختصار كتب الأدب المطوّلة ، أشهر كتبه ” مختار الأغاني ، مختصر مفردات ابن البيطار ، اختصار كتاب الحيوان للجاحظ “ . انظر ترجمته في : الأعلام

الثالث : مسألة الحظ من الدنيا كقولك : اللهم ارزقني مالاً وولداً .

وقد علل سبب تسمية ما سبق دعاءً فقال : لأن الإنسان يُصدّر في هذه الأشياء بقوله : يا الله - يا رب - يا رحمن<sup>(١)</sup> .

---

(١) انظر لسان العرب ٤ / ٣٥٩ ، مادة (دعا) .



## ب - الدعاء في بيان العربية :

كان لنزول القرآن بالعربية أثرٌ عظيمٌ في سمو مكانتها وبقائها حيّةً ، حيث نراها تتردد حتى على الألسنة الأعجمية ، فهم يقرأون القرآن بالعربية رغم جهلهم التام بها .

والإنسان حين تشتد فاقته أو تصيبه نازلة لا يستطيع ردها نجده يلجأ إلى خالقه - مصوراً ضعفه - ليكشف عنه الضر ويزيل عنه البأس ، وقد وردت في بيان العربية نماذج رائعة من الأدعية على السنة الشعراء والأدباء على نحو ما سنوضحه لك في الصفحات القادمة بإذن الله .

### أولاً : النشر

كان الكلام المطلق الخالي من أعباء الوزن والقافية أكثر احتواءً لنماذج الدعاء من الشعر ، لأن الداعي لا يهتم أثناء دعائه بوزن أو قافية ، بل يخرج الدعاء من بين شفثيه ليعبر عن حاجاته وتطلعاته ومكنونات نفسه، يرسلها مطلقة بلا قيود ، ونظراً لكثرة الدعاء في النشر فإننا نبدأ به .

ونبدأ أولاً : بكلام خير المرسلين الذي لا ينطق عن الهوى ، خير من دعا عليه الصلاة والسلام ، فقد جمع في دعائه عليه السلام مطالب الدنيا والآخرة، جمعها في دعاءٍ شاملٍ لحاجات الإنسان ومطالبه ، فهو كما روت السيدة عائشة رضي الله عنها « يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك »<sup>(١)</sup>

(١) أبو داود في سننه في كتاب الدعاء ٢ / ٧٧ .

فقد دعا الله طالباً منه ( الهداية - المغفرة - الرحمة - السداد - الغنى -  
العفاف - العفو - العافية - الرزق - صلاح الدين والدنيا - السلامة -  
الفوز بالجنة - النجاة من النار .. إلخ ) واستعاذ ربه من عدة أمور كالعجز -  
الكسل - الهرم - الجبن - البخل - عذاب القبر - فتنة الحيا والممات - غلبة  
الدين - سوء القضاء - شماتة الأعداء - العلم الذي لا ينفع - القلب الذي  
لا يخشع - الجذام - البرص - الجنون - سائر الأسقام - الخيانة - الجوع -  
الدعوة التي لا يستجاب لها ... إلخ.

فكما نرى كان دعاؤه عليه الصلاة والسلام دعاءً شاملاً يصلح أن يُدعى  
به في كل زمان ومكان .

وقد كان عليه السلام حريصاً على تعليم أمته من خلال الدعاء الذي  
يدعو به ، أو من خلال التعليم المباشر ، فهو رسول الأمة ومعلمها الأول ،  
نراه يعلم أصحابه كيفية الدعاء . من ذلك ما رواه طارق بن أشيم رضي الله  
عنه أن الرجل إذا أسلم علمه النبي ﷺ الصلاة ، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء  
الكلمات : « اللهم اغفر لي ، وارحمي ، واهدني ، وعافني ، وارزقني »<sup>(١)</sup> .  
وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ علمني دعاءً أدعو به في  
صلاتي ، قال : « قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، ولا يغفر  
الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمي ، إنك أنت الغفور  
الرحيم »<sup>(٢)</sup> .

(١) صحيح مسلم ٣ / ٢٠٧٣ في الذكر والدعاء .

(٢) البخاري ١ / ٢٨٦ ، صحيح مسلم ٤ / ٢٠٧٨ .

ومن دعائه عليه السلام الذي جمع فيه بين خيري الدنيا والآخرة ما رواه أنس رضي الله عنه قال : كان أكثر دعاء النبي ﷺ : « اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار »<sup>(١)</sup> .

لقد تمثل الرسول عليه السلام في دعائه هذا ما جاء في القرآن الكريم في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾<sup>(٢)</sup> . مع ما بين الدعائين من اختلاف يسير في صيغة الدعاء حيث كان دعاؤه عليه السلام بصيغة ( اللهم ) وفي القرآن بـ ( ربنا ) حيث يكثر النداء في القرآن بالربوبية ، وفي الحديث بالألوهية وقد أشار العلماء إلى سر كثرة النداء في القرآن بالربوبية وذلك في دراسات متعددة ، حيث أرجعوا ذلك إلى أمور منها :

( ١ - أن صفة الربوبية بما فيها من معاني التربية والإنعام والتفضل ، هي آثار لا تنقطع دنيا وأخرى - أنسب - وفيها اعتراف بالربوبية ولجوء إلى مصدر الخير أملاً في الإجابة .

٢ - أحسب أن الذي ألهم الداعين الالتزام بهذا الاسم الأعظم في دعائهم قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> فكانهم - وهم الحراس على تحري كل ما من شأنه جعل دعائهم أقرب إلى القبول - يؤثرون الالتزام بذات الاسم الأعظم الذي ذكره الله - تعالى - وهو يفتح أبوابه للعباد كي يتوجهوا إليه ويدعوه .

(١) البخاري في الدعوات ٧ / ١٦٣ ، صحيح مسلم في الذكر والدعاء الحديث ٣٦٩٠ .

(٢) البقرة / ٢٠١ .

(٣) غافر / ٦٠ .

٣ - النداء بالربوبية فيه تल्पف واستعطاف بذكر هذه الصفة الدالة على التربية والإصلاح بحال الداعي .

ولعل السر في كثرة النداء بـ( اللهم ) في الدعاء النبوي يرجع إلى ما في هذا الاسم ( الله ) من العموم ، لأنه - كما سبق - يشمل معاني الصفات الإلهية كلها ، ولذا كان الرسول ﷺ يستفتح به أكثر دعائه، مستحضراً عظمة المسمى ، متقرباً إلى الله بهذا الاسم المفرد الذي لا يطلق على غيره جل جلاله، ونظراً لما في هذا الاسم من العموم وردت الأحاديث عن النبي ﷺ تحت على الدعاء به في جميع الأمور كبيرها وصغيرها ...<sup>(١)</sup> .

ونرجع إلى حديث الرسول ذاته فنجده لم يقصره على الدنيا فقط بل تناول الآخرة ، وطلب الوقاية من عذاب النار . والحسنة التي طلبها عليه السلام اختلف المفسرون في تحديد المراد بحسنة الدنيا وحسنة الآخرة . والحسنة عامة « يُعَبَّرُ بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله ، والسيئة تضادها »<sup>(٢)</sup> . وقد ذكر الطبري<sup>(٣)</sup> في تفسيره لهذه

---

(١) بلاغة الدعاء في الحديث النبوي ( رسالة دكتوراه ) إعداد / سلامة جمعة علي داود / إشراف د. عبد الحميد العبيسي / ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م / جامعة الأزهر / ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٢) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني / ١١٨ / مادة ( حسن ) تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة - لبنان .

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ولد سنة ٢٢٤ هـ وتوفي سنة ٣١٠ هـ ، المؤرخ المفسر الإمام ، ولد في طبرستان واستوطن بغداد وتوفي فيها . من مؤلفاته أخبار الرسل والملوك ، وجامع البيان في تفسير القرآن . انظر ترجمته في : الأعلام ٦ / ٦٩ .

الآية المعاني التي دارت حول المراد بحسنة الدنيا والآخرة - أمّا حسنة الدنيا فذكروا أن المراد بها ( العلم - العبادة - الفهم في كتاب الله - الرزق الطيب - المال ) وأجمعوا أن الحسنة في الآخرة « الجنة » . لكن ما ارتضاه الطبري هو أن يقال : « إن الله جل ثناؤه أخبر عن قوم من أهل الإيمان به وبرسوله ، ممن حجّ بيته ، يسألون ربهم الحسنة في الدنيا ، والحسنة في الآخرة ، وأن يقيهم عذاب النار وقد تجمع الحسنة من الله عز وجل العافية في الجسم والمعاش والرزق وغير ذلك والعلم والعبادة ، وأما في الآخرة فلا شك أنها الجنة ، لأن من لم ينلها يومئذ ، فقد حرم جميع الحسنات ، وفارق جميع معاني العافية »<sup>(١)</sup> .

وبهذا الرأي نرى توافقاً بين ما قاله الطبري في معنى الحسنة وبين ما قاله الراغب<sup>(٢)</sup> .

أيضاً من دعائه عليه السلام الذي كان يكثر منه ما رواه شهر بن حوشب عن أم سلمة قالت : كان أكثر دعائه : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك »<sup>(٣)</sup> .

---

(١) تفسير الطبري ( جامع البيان عن تأويل آي القرآن ) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري / دار الفكر / بدون طبعة / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م / ٢ / ٣٠٠ .

(٢) الإمام أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل بن محمد ، المعروف بالراغب ، كان أديباً من الحكماء والعلماء من أهل أصبهان سكن بغداد واشتهر ، توفي سنة ٥٠٢ هـ وله عدة مؤلفات منها : المفردات في غريب القرآن ، الذريعة إلى مكارم الشريعة .

انظر ترجمته في : الأعلام ٢ / ٢٥٥ .

(٣) الترمذي في سننه ٥ / ٥٣٨ .

لقد أدرك عليه السلام وظيفة القلب وأثره في باقي الجسد حيث نراه في حديث آخر يقول : « ألا إنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب »<sup>(١)</sup> . إذا فالقلب بمثابة المحرك لهذا الجسد فمتى ما حاد عن طريقه وانحرف عن مساره تضرر باقي الجسد ، فانحرف القلب عن هذا الدين هو الهلاك المحقق لذا دعا بثباته على الإيمان .

ومن صور تعليم الرسول لأصحابه الدعاء حثهم على الدعاء للغير في ظهر الغيب ، من ذلك ما رواه أبو الدرداء أن رسول الله ﷺ كان يقول : « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ... »<sup>(٢)</sup> .

وقد سار السلف رضوان الله عليهم على نهج المصطفى عليه السلام فمن دعاء علي رضي الله عنه : « اللهم صُنْ وجهي باليسار ولا تَبْدُلْ جاهي بالإقتار فأسترزقَ طالبي رزقك ، واستعطف شرار خلقك ، وأبتلى بحمد من أعطاني ، وأفتن بدم من منعي ، وأنت من وراء ذلك كله وليُّ الإعطاء والمنع إنك على كل شيء قدير »<sup>(٣)</sup> .

ومن دعائه أيضاً : « اللهم إنَّ ذنوبي لا تضرك ، وإنَّ رحمتك إيَّاي لا تنقصك فاغفر لي ما لا يضرك ، وأعطني ما لا ينقصك »<sup>(٤)</sup> . ومن دعاء أبي

(١) البخاري ١ / ٢٨ ، مسلم ٣ / ١٢١٩ .

(٢) صحيح مسلم ٤ / ٢٠٩٤ .

(٣) نهج البلاغة / لعلي بن أبي طالب / شرح الشيخ / محمد عبده / دار الكتب العلمية بيروت - لبنان / ط ١ ١٤١٠ هـ / ٢ / ٣٠٢ .

(٤) البيان والتبيين / لأبي عثمان الجاحظ / تحقيق عبد السلام هارون / دار الجيل ، بيروت /

الدرء : « اللهم أمتعنا بخيارنا ، وأعنا على شرارنا ، واجعلنا خياراً كلنا ،  
وإذا ذهب الصالحون فلا تبقنا »<sup>(١)</sup> .

ومن دعاء السلف : « اللهم احمنا من الرُّجلة<sup>(٢)</sup> واغننا من العيلة<sup>(٣)</sup> ،  
وكان محمد بن علي بن الحسين بن علي يقول : « اللهم أعني على الدنيا  
بالغنى ، وعلى الآخرة بالتقوى »<sup>(٤)</sup> . ومن قول بعضهم<sup>(٥)</sup> : « اللهم إني  
أعوذ بك من طول الغفلة وإفراط الفطنة ، اللهم لا تجعل قولي فوق عملي ،  
ولا تجعل أسوأ عملي ما قارب أجلي »<sup>(٦)</sup> .

وقد قيل : « إذا أردت أن تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الأعراب »<sup>(٧)</sup> ،  
لسلامة ألسنتهم من اللحن ، وسمو قرائحهم وقد ذكر الجاحظ<sup>(٨)</sup> نماذج  
متنوعة لدعائهم من ذلك قول أعرابي : « اللهم إنك حبست عنا قطر  
السماء ، فذاب الشحم ، وذهب اللحم ، ورقَّ العظم ، فارحم أنين الآنة ،  
وحنين الحائنة ، اللهم ارحم تحيرها في مراتعها ، وأنينها في مراتعها »<sup>(٩)</sup> .

---

(١) المصدر السابق ٣ / ٢٨٢ .

(٢) الرجلة : السفر على الرجلين .

(٣) البيان والتبيين ٣ / ٢٧٠ .

(٤) المصدر السابق ٣ / ٢٧١ .

(٥) عمر بن هبيرة .

(٦) المصدر السابق ٣ / ٢٧١ .

(٧) البيان والتبيين ٣ / ٢٧١ .

(٨) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء ، الليثى الشهير بالجاحظ ، كبير أئمة  
الأدب ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ولد سنة ١٦٣ هـ ، وتوفي سنة ٢٥٥ هـ بالبصرة ،  
له تصانيف كثيرة منها : الحيوان ، البيان والتبيين ، والبخلاء .

انظر ترجمته في : الأعلام ٥ / ٧٤ .

(٩) البيان والتبيين ٣ / ٢٧١ .

فهذا الأعرابي دعا ربّه مبيناً في البداية حالهم عند حجب المطر عنهم والذي عبّر عنه بقوله : « قطر السماء » مع أن القطر يدل على القلّة ، إلا أن هذا المطر القليل كافٍ لإقامة أودهم وإنعاش ماشيتهم ، وحجبه عنهم ألحق الضرر بهذه الماشية ، وصوّر هذا الضرر مبتدئاً من الخارج إلى الداخل فالشحم قد ذاب ، ليس ذلك فحسب بل تلاه اللحم ، ولم يسلم العظم كذلك ، وفي هذا دلالة على طول مدة الجذب ، حتى وصل هزال ماشيتهم إلى عظامها ، فهذا الأعرابي عبّر في دعائه عن حاجته ، والدعاء هو تعبير صريح عن آمال كانت تجول في أذهان أصحابها ، وبصدورها على ألسنتهم أصبحت تحمل اسم ( دعاء ) .

ومن كلام الأعراب الموجز ما قالته أعرابية حجّت فلما صارت بالموقف قالت : « أسألك الصحبة يا كريم الصحبة ، وأسألك سترك الذي لا تزيله الرياح ولا تحرقه الرماح »<sup>(١)</sup> . فهذه الأعرابية دعت جاعلة الستر ثوباً لها يغطيها ، وهو الستر المحفوظ من نوائب الأيام وصروف الدهر والستر المحفوظ من تحرق الرماح هو الستر المحفوظ بقوة قومها ومنعتهم وقدرتهم على حفظ ديارهم وأموالهم وأعراضهم وخرق الرماح للستر يعني السبي في الحروب .

ومما دعت به الأعراب ما جاء في قول أعرابي : « أعوذ بك من سُقم وعَدْوَاهُ ، وذِي رحم ودعواه ، ومن فاجرٍ وجدّوَاهُ ، ومن عملٍ لا ترضاه »<sup>(٢)</sup> ، ومن أراد الاستزادة من دعاء الأعراب فعليه الرجوع إلى كتاب البيان والتبيين للوقوف على نماذج أخرى من دعائهم<sup>(٣)</sup> ، وقد يكون الدعاء من باب الدعاء

(١) المصدر السابق ٣ / ٢٨١ .

(٢) المصدر السابق ٣ / ٢٧٠ .

(٣) المصدر السابق ٣ / من ٢٦٨ إلى ٢٨٩ .



على الإنسان نحو قولهم : « لا أبقى الله له سارحاً ولا جارحاً »<sup>(١)(٢)</sup> والدعاء،  
في كتاب ذيل الأمالي لأبي علي القالي<sup>(٣)</sup> كله من باب الدعاء على الغير<sup>(٤)</sup> .  
ومن قبيل ذلك في القرآن قوله تعالى : ﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ﴾<sup>(٥)</sup> ،  
و ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾<sup>(٦)</sup> و ﴿ وَيَلِّ لِلْمُطَفِّينَ ﴾<sup>(٧)</sup> .

والآيات السابقة لم أتناولها بالدراسة وإن كانت دعاءً وذلك لأمرين :

أولاً : إن هذه الأدعية تعلق فيها نبرة التهديد والوعيد من الله .

ثانياً : بما أنها من الله فهي خالية تماماً من التذلل والخضوع الذي  
يميز الدعاء - والبشري خاصة - وقد ركزنا في الدراسة على ما كان فيه  
تذلل وخضوع ، ولذلك تركنا دعاء إبليس : ﴿ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ

---

(١) ذيل الأمالي والنوادر لأبي علي القالي / دار الكتب العلمية بيروت لبنان / ط ١ / ١٤١٦ هـ  
(٣ / ٥٨) .

(٢) السارح : الحاشية من إبل وبقرة وغنم لأنها تسرح في المرعى ، والجارح : الفرس والحمار  
لأنها تجرح الأرض بجوافرها . وهو هنا يريد الدعاء عليه بزوال المال والقوة والمنفعة لأن  
السارح المال والجارح القوة والمنفعة .

(٣) إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان أبو علي القالي ولد  
في منازل جرد قرب بحيرة وإن عام ٢٨٨ هـ ، وتوفي عام ٣٥٦ هـ ، من أشهر تصانيفه كتاب  
" النوادر " ويسمى ( أمالي القالي ) ، وله " البارع في اللغة " و " المقصود والمدود والمهموز " .  
انظر ترجمته في : الأعلام ١ / ٣٢١ - ٣٢٢ .

(٤) ذيل الأمالي والنوادر ٥٥ / ٥٧ / ٥٨ .

(٥) الهمزة / ١ .

(٦) المسد / ١ .

(٧) المطففين / ١ .

يُبْعَثُونَ ﴿١﴾ لأنه لا خضوع فيه ولا تذلل بل على العكس عنادٌ وتكبرٌ وتحديٌّ  
للله عز وجل .

### ثانياً : الشعر :

الشعر سجل العرب الحافل وديوانها الراصد للأحداث وبدراسته تمكنا  
من معرفة أيام العرب ، وعاداتهم ، وتقاليدهم ، وثقافتهم ، واعتقاداتهم ،  
ذلك لأن الشعر « ذاتي يصور نفسية الفرد وما يختلجه من عواطف  
وأحاسيس، سواء حين يتحمس الشاعر ويفتخر أو حين يمدح ويهجو أو حين  
يتغزل أو يرثي أو حين يعتذر ويعاتب ، أو حين يصف أي شيء مما ينبت  
حوله في جزيرته »<sup>(٢)</sup> .

لذا كان الشعر متنفساً تبت من خلاله النفوس القلقة المنهكة - بمشاكل  
الحياة - شكواها ، والدعاء مطلب بشري حظي كغيره من المطالب بنصيب  
في الشعر ، فذكر كغرضٍ مفردٍ - وهذا نادر - أو في سياق أغراض شعرية  
مختلفة ، وفيما يلي سنعرض نماذج شعرية لبعض الأدعية :

من ذلك قول أبي نواس<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup> :

(١) الحجر / ٣٦ .

(٢) العصر الجاهلي / شوقي ضيف / دار المعارف بمصر / ط ٨ / ١٩٠ .

(٣) هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء ، مولى الحكم بن سعد العشيرة  
من اليمن ، كان أبو نواس بصرياً وهو شاعر العراق في عصره ، ولد بالأهواز سنة ١٤٦ هـ ،  
وتوفي في بغداد سنة ١٩٨ هـ ، وله عدة دواوين منها : ديوان شعر ، وديوان الفكاهة  
والإتناس في مجون أبي نواس .

انظر الشعر والشعراء / ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، انظر أيضاً الأعلام / ٢ / ٢٢٥ .

(٤) ديوان أبي نواس / تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي / دار الكتاب العربي لبنان / ٦١٨ .

يَا رَبِّ إِنَّ عَظَمَتَ ذُنُوبِي كَثْرَةً      فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ  
إِنَّ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ      فَبِمَنْ يَلُودُ ، وَيَسْتَجِيرُ الْمُجْرِمُ  
أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا      فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ  
مَالِي إِلَيْكَ وَسَيْلَةٌ إِلَّا الرَّجَا      وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ... ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ

يشير الشاعر إلى عظمة عفو الله وأنه رجاء كل داعٍ وملاذه سواء كان محسنًا أم مجرمًا وفي البيت الثالث يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> ونرى شدة تذلل الخالق ، وأنه سيسعر بخيبة كبيرة إذا لم يغفر له الله .

ونراه يقول أيضاً<sup>(٢)</sup> :

أَدْعُوكَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ فَاعْفُ كَمَا      عَفَوْتَ يَا ذَا الْعَلِيِّ عَنْ صَاحِبِ الْحَوْتِ

فقوله : « عن صاحب الحوت » إشارة إلى قصة سيدنا يونس عليه السلام ، فهو النبي الوحيد الذي أذنب ذنباً في نفسه بخروجه من قريته قبل أن يأذن له الله ، فيطلب من ربه أن يعفو عنه كما عفا عن سيدنا يونس .

ومن الشعر الذي يظهر فيه التذلل والخضوع قول أبي العتاهية<sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> :

إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي      مُقِرٌّ بِالذِّي قَدْ كَانَ مِنِّي  
وَمَالِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي      وَعَفْوِكَ إِنَّ عَفْوَتَ وَحُسْنَ ظَنِّي

(١) غافر / ٦٠ .

(٢) ديوان أبي نواس / ٤٠ .

(٣) هو إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي ، ويكنى أبا إسحاق مولى لعنزة ولقبه أبو العتاهية كان جرّاراً ويرمى بالزندقة ، شاعر مكث ، سريع الخاطر ، في شعره إبداع ، ولد في عين التمر بقرب الكوفة سنة ١٣٠ هـ ، وتوفي في بغداد سنة ٢١١ هـ .

انظر : الشعر والشعراء / ٥٣٨ ، انظر أيضاً الأعلام / ١ / ٣٢١ .

(٤) أبو العتاهية رائد الزهد في الشعر العربي / أسامة عانوني / بيروت منشورات المكتبة الأهلية

١٩٦٢ م / ١٤٥ .

فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الْبِرَائَا وَأَنْتَ عَلَيَّ ذُو فَضْلٍ وَمَنْ  
إِذَا فَكَّرْتُ فِي قَدَمِي عَلَيْهَا عَضَّضْتُ أَنَامِلِي وَقَرَعْتُ سِنِّي

نرى في هذه الأبيات اعتراف الشاعر بذنوبه وحسرتة وندمه على  
اقترافها، ونراه يشير إلى أمر مهم جداً مفقود - بين بعض المسلمين - ألا وهو  
حسن الظن بالله ، فالمسلم إذا أحسن الظن بربه فإنه سيعلم علماً يقيناً أن الله  
لن يرد العبد التائب العائد إليه ، المخلص في توبته ، فما عليه إلا أن يسارع  
في التوبة قبل فوات الأوان ومن شعر الدعاء قول حسان بن ثابت<sup>(١)</sup> (٢)  
- رضي الله عنه - :

يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِينَا فِي جَنَّةِ تُثْنِي عُيُونَ الْحُسَدِ  
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ وَاكْتُبْهَا لَنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالسُّودِدِ

طلب حسان رضي الله عنه من ربه فيما سبق الاجتماع مع النبي عليه  
السلام في الجنة ( جنة الفردوس ) ، وفي قوله إشارة إلى قول الله تعالى :  
﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ<sup>(٣)</sup> ومن ذلك أيضاً قول العباس بن الأحنف<sup>(٤)</sup> (٥) :

(١) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري ويكنى أبا الوليد وأبا الحسام وأمه الفريفة  
من الخزرج ، وهو جاهلي إسلامي متقدم الإسلام إلا أنه لم يشهد مع النبي ﷺ مشهداً لأنه  
كان جبانا ، عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام ستين سنة ومات في خلافة معاوية  
وعمي في آخر عمره ، وتوفي سنة ٥٤ هـ .

انظر : الشعر والشعراء / ١٩٢ ، انظر أيضاً الأعلام ٢ / ١٧٥ - ١٧٦ .

(٢) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري / دار صادر - دار بيروت / ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م / ٥٨ .

(٣) المؤمنون / ١٠ - ١١ .

(٤) أبو الفضل العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي ، من بني حنيفة ، كان منشأه  
ببغداد ، شاعر غزل رقيق ، لم يمدح ولم يهج ، كان شعره كله غزلاً ، حيث قُتِلَ عشقاً  
وتوفي سنة ١٩٢ هـ ببغداد وقيل بالبصرة .

انظر ترجمته في : الأعلام ٣ / ٢٥٩ ، انظر أيضاً الشعر والشعراء / ٥٦٥ .

(٥) ديوان العباس بن الأحنف / دار صادر - دار بيروت / ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م / ٢٩٦ .

يَا رَبِّ رُدَّ عَلَيْنَا  
مَنْ لَا نُسَرُّ بِعَيْشِ  
مَنْ كَانَ أُنْسًا وَزَيْتًا  
حَتَّى يَكُونَنَّ لَدَيْتَنَا

وقوله<sup>(١)</sup> :

وَيَا رَبِّ صَبِّرْنِي عَلَى مَا أَصَابَنِي  
وَيَا رَبِّ عَذِّبْهَا بِمَا بِي مِنَ الْهَوَى  
فَأَنْتَ الَّذِي تَكْفِي وَأَنْتَ الَّذِي تُغْفِي  
وَلَا كَالَّذِي عَذَّبْتَ قَارُونََ بِالْحَسْفِ

فدعا في الأبيات الأولى برد عزيز لديه حتى تكمل سعادته ، أما في الأبيات الثانية فهو يدعو ربه بأن يرزقه الصبر على مصيبته ، ويدعو لمحبوته بأن يصبها الهوى الذي أصابه حتى تعاني ما يعانیه ، ويشير إلى قصة قارون وخسفه .

وقول ذي الرمة<sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup> :

يَا رَبِّ قَدْ أَشْرَقَتْ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمْتُ  
يَا مُخْرِجَ الرُّوحِ مِنْ جِسْمِي إِذَا أَحْتَضَرْتُ  
عِلْمًا يَقِينًا لَقَدْ أَحْصَيْتَ آثَارِي  
وَفَارِجَ الْكَرْبِ زَحْزِحِي عَنِ النَّارِ

فذو الرمة يشير إلى سعة علم الله وإحاطته بكل صغيرة وكبيرة ، وقد طلب منه أن يزحزحه عن النار ، وفيه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ زُحِّحَ

(١) المصدر السابق .

(٢) هو غيلان بن عتبة بن نهيس وقيل (بُهَيْش) بن مسعود العدوي من مضر ، أبو الحارث كنيته ذو الرمة ، شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره وأحد عشاق العرب المشهورين بذلك وصاحبه مئة بنت فلان بن طلبة ، ولد سنة ٧٧ هـ ، وتوفي سنة ١١٧ هـ بأصبهان وقيل بالبادية .

انظر : الأعلام ٥ / ١٢٤ ، انظر أيضاً الشعر والشعراء / ٣٥٦ - ٣٥٧ .

(٣) العصر الإسلامي / شوقي ضيف / دار المعارف بمصر / ط ٧ / ١٩٦٣ م / ٣٧١ .

عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴿١﴾ . وقد قدّم بين يدي دعائه ذكر  
صفتين لله ( المميت وفارج الكربات ) . وليس من هدف هذه الدراسة  
استقصاء جميع ما دعت به الشعراء على مرّ العصور لأن ذلك ليس في  
طاقتها، بل حسبها الإشارة إلى ورود الدعاء في بيان العربية شعراً ونثراً .

# الباب الأول

الدعاء أساليبه ومقاصده في القرآن الكريم

# الفصل الأول

أساليب الدعاء في محكم التنزيل



## الفصل الأول

### أساليب الدعاء في محكم التنزيل

الأساليب : جمع أسلوب ، وكل طريق ممتد فهو أسلوب ، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب ، والأسلوبُ بالضم : الفن ، يقال : أخذ فلانٌ في أساليب من القول ، أي أفانين منه ، ويُجمع أساليب<sup>(١)</sup> .

يظهر للمتأمل تنوع أساليب القرآن ، وتغاير صيغته ، وهذا من فريد النظم . حيث نرى في آياته تلوناً في الصيغ ، مما يضيف على المعنى جمالاً يأسر الألباب ، ويشد القارئ ، فيجعله مترقباً - في شوق - متتبعاً لكل ما يأتي به السياق .

نجد أنّ الدعاء القرآني قائم على أساليب إنشائية متنوعة . إذ أنّ الدعاء في الأصل صورة من صور الإنشاء الطلبي ، فهو من المعاني التي يخرج عنها الأمر .

وقد أفاض البلاغيون في دراسة صور الإنشاء الطلبي وذلك لتوارد المعاني عليه فهو من الأساليب الغنية ذات العطاء والتأثير<sup>(٢)</sup> .

ومن الأساليب التي جاء بها الدعاء القرآني ما يلي :

(١) اللسان ٦ / ٣١٩ .

(٢) انظر دلالات التراكيب / د. محمد محمد أبو موسى / مكتبة وهبة/ الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ -

١٩٨٧ م / ١٩٢ .

## ١ - الدعاء بأسلوب الأمر :

الأمر هو أحد أنواع الإنشاء الطلبي ، ويراد به « طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء »<sup>(١)</sup> وقيل : « هو طلب الفعل استعلاءً »<sup>(٢)</sup> وهو كذلك : « استعمال صيغة دالة على طلب من المخاطب على طريق الاستعلاء »<sup>(٣)</sup> ومما سبق نلاحظ اشتراط « الاستعلاء في الطلب بالأمر أي عد الطالب نفسه عالياً وإن لم يكن في الواقع كذلك ليخرج به الدعاء والالتماس بما هو بطريق الخضوع والتساوي »<sup>(٤)</sup> .

وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي إلى معانٍ بلاغية تعرف بمعونة السياق وقرائن الأحوال بسطها البلاغيون في كتبهم<sup>(٥)</sup> . وما يهمنا هو خروج الأمر إلى معنى الدعاء . فالدعاء هو : « الطلب على وجه التضرع والخضوع نحو قولك ( رب اغفر لي ) »<sup>(٦)</sup> ويكون من الأدنى إلى الأعلى منزلةً<sup>(٧)</sup> .

- 
- (١) مختصر السعد على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني / ضمن شروح التلخيص / دار الكتب العلمية ٢ / ٣٠٨ .
- (٢) الإيضاح للخطيب القزويني / شرح د. محمد عبد المنعم خفاجي / المكتبة الأزهرية للتراث / الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م / ٣ / ٨١ .
- (٣) الكليات لأبي البقاء الكفوي / تحقيق / عدنان درويش ومحمد المصري / دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ط ٢ ١٤١٣ هـ - ١ / ٢٩٢ .
- (٤) المرحع السابق ١ / ٢٩٥ .
- (٥) كالإباحة - التهديد - التعجيز - التسخير - الإهانة - التسوية - التمني - الاحتقار - الالتماس - الدعاء . راجع الإيضاح ٣ / ٨٢ - ٨٦ ، وقد زاد عليها الكفوي ( الإرشاد - الإذن - التأديب ... ) راجع الكليات ١ / ٢٩٧ - ٢٩٩ .
- (٦) الأعراف / ١٥١ .
- (٧) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي ضمن شروح التلخيص ٢ / ٣٢٠ .

فالتضرع هو القيد الذي اشترطه البلاغيون لعد الأمر دعاءً وبذلك تخرج بعض الصور التي يخلو منها هذا القيد ، ونجد ذلك في قوله تعالى على لسان إبليس : ﴿ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾<sup>(١)</sup> . فقوله هذا يُظهر مدى تمرده وعصيانه وعناده « لأنه ما طلب الإنظار إلا لتضليل الناس ، وتشعر الفناء في قوله : ( فانظرنني ) بتمرده وتوعده ، كأنه رتب على طرد الله أمراً طلب من أجله الإنظار ، وعندما أجابه إلى ما طلب أفصح عن مراده بقوله : ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> «<sup>(٣)</sup> .

أمّا الشيخ محمد الطاهر بن عاشور<sup>(٤)</sup> فقد عدّ خطاب إبليس لله بصفة الربوبية « تخضعاً وحنثاً على الإجابة »<sup>(٥)</sup> .

ويخرج أيضاً دعاء مشركي مكة : ﴿ رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ آلْحِسَابِ ﴾<sup>(٦)</sup> .

(١) ص / ٧٩ .

(٢) الحجر / ٣٩ .

(٣) الحوار في القرآن الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية / بحث مخطوط بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر ( رسالة دكتوراه ) / محمد إبراهيم شادي / ١٧٤ .

(٤) محمد الطاهر بن عاشور : رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس ، مولده ووفاته ودراسته بها ، حيث ولد سنة ١٢٩٦ هـ ، وتوفي سنة ١٣٩٣ هـ ، له مصنفات مطبوعة من أشهرها : التحرير والتنوير في تفسير القرآن ، مقاصد الشريعة الإسلامية . انظر ترجمته في : الأعلام / ٦ / ١٧٤ .

(٥) التحرير والتنوير / ١٤ / ٤٨ .

(٦) ص / ١٦ .

فهم لم يدعوهُ سبحانه تضرعاً وخضوعاً بل تظهر في دعائهم نبرة العناد والاستبعاد لهذا الأمر . إذاً فدعاء إبليس ومشركي مكة على الرغم من صدوره من الأدنى إلى الأعلى لم يعدّ دعاءً لفقده قيد التضرع والخضوع . ومن خلال تتبع آيات الدعاء نرى كثرة الدعاء بأسلوب الأمر حيث جاء أكثر من مائتين وثلاثين مرة .

ولعل السر في مجيء « الدعاء بأسلوب الأمر بدلاً من الأسلوب الخيري <sup>(١)</sup> للتفاؤل بالاستجابة ، وإظهار الحرص في سرعة استجابته حتى لكأنه متحقق على الفور » <sup>(٢)</sup> .

ولم ترد في الدعاء من صيغ الأمر المعروفة <sup>(٣)</sup> سوى صيغتين :

الأولى : فعل الأمر ( افعل ) وهو أكثر الصيغ وروداً كقوله تعالى على لسان إبراهيم : ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup> وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَيِّبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٤﴾ . وقوله على لسان المؤمنين : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ <sup>(٥)</sup> وقولهم كذلك : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ

(١) نحو قولك : رحم الله فلاناً - غفر الله له . وهذا لم يرد في الدعاء القرآني مطلقاً .

(٢) الحوار في القرآن / ١٧٤ .

(٣) صيغ الأمر هي ( فعل الأمر نحو ( أكرم أخاك ) والفعل المضارع المقترن بلام الأمر نحو

( ليحضر الرجل ) واسم الفعل الدال على الأمر نحو ( رويدك ) والمصدر النائب عن فعل

الأمر نحو ( غفرانك ) راجع هامش الإيضاح / تعليق محمد عبد المنعم خفاجي ٣ / ٨١ .

(٤) الشعراء / ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ .

(٥) المؤمنون / ١٠٩ .

وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿١﴾ . وجاءت كذلك على السنة المعذبين عند  
تضرعهم لربهم وهم في نار جهنم في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا  
عُذْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ ﴿٢﴾ . وقوله : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا  
نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا ﴾ ﴿٣﴾ وفيها أيضاً قوله تعالى تعليماً لنبية :  
﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ  
لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ ﴿٤﴾ .

وقد تكون صيغة فعل الأمر غير ( افعل ) نحو قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ  
مِنَّا إِنَّا كُنَّا نَسِيئًا وَأَنَا نَسِيءٌ ﴾ ﴿٥﴾ فتقبَّل على وزن ( تفعَّل ) ومنها  
كذلك قوله تعالى : ﴿ أَنْتَ وَلِيِّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا  
وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ ﴿٦﴾ . وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا  
وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ ﴿٧﴾ .

أما الصيغة الثانية - من صيغ الأمر - التي جاء الدعاء القرآني بها فهي  
المصدر النائب عن فعل الأمر حيث جاء مرة واحدة وذلك في قوله تعالى :  
﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ ﴿٨﴾ ، أي ( اغفر لي ) .

(١) الفرقان / ٧٤ .

(٢) المؤمنون / ١٠٧ .

(٣) فاطر / ٣٧ .

(٤) الإسراء / ٨٠ .

(٥) البقرة / ١٢٧ .

(٦) يوسف / ١٠١ .

(٧) آل عمران / ١٩٣ .

(٨) البقرة / ٢٨٥ .

( ٢ ) - الدعاء بأسلوب النهي :

النهي هو « طلب الكف عن الفعل استعلاء ، وله صيغة واحدة وهي لا تفعل »<sup>(١)</sup> . وهو كالأمر في أنه قد يخرج عن معناه الأصلي إلى معانٍ بلاغية<sup>(٢)</sup> منها ( الدعاء ) وذلك إذا كان على وجه التذلل والخضوع لله عز وجل وقد جاء الدعاء بأسلوب النهي خمس عشرة مرة من ذلك قوله تعالى :

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾<sup>(٣)</sup> ،

وقوله أيضاً : ﴿ رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾<sup>(٤)</sup> . وقوله كذلك :

﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾<sup>(٥)</sup>

وقوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾<sup>(٦)</sup> .

ومن تتبع أسلوب الأمر والنهي - عند دلالتهما على الدعاء - تظهر لنا بعض المميزات من أهمها :

١ - قد تأتي صيغة الأمر في الآية منفردة مرة واحدة نحو قوله تعالى :

﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾<sup>(٧)</sup> .

(١) مختصر السعد ضمن شروح التلخيص ٢ / ٣٢٤ .

(٢) كالتهديد - الالتماس ، التمني ، الإرشاد .

(٣) البقرة / ٢٨٦ .

(٤) آل عمران / ٨ .

(٥) الأنبياء / ٨٩ .

(٦) الممتحنة / ٥ .

(٧) الفاتحة / ٦ .

وقوله تعالى : ﴿ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقوله كذلك :  
﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> أو تأتي أكثر من مرة كقوله تعالى :  
﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ  
الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> . فبرى كل فعلٍ بُني على سابقه ، إفراغ الصبر عليهم  
مدعاة لثبيت أقدامهم في أرض المعركة . ولا نتيجة لثباتهم سوى النصر .

ومثل الأمر النهي فقد تأتي صيغة النهي في الآية مرة واحدة منفردة نحو  
قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا  
تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله كذلك : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى  
رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> . أو قد تأتي أكثر من  
مرة نحو قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا  
تَحْمِلْ عَلَيْنَا أَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا  
لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾<sup>(٦)</sup> .

٢ - قد يتوحد أسلوب الدعاء في الآية الواحدة كأن يكون أمراً أو نهياً .  
فمن الأول قوله تعالى : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ

(١) المؤمنون / ٢٦ - ٣٩ .

(٢) الشعراء / ١٦٩ .

(٣) البقرة / ٢٥٠ .

(٤) الأعراف / ٤٧ .

(٥) الأنبياء / ٨٩ .

(٦) البقرة / ٢٨٦ .

وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ  
إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾ . أما الثاني فكقوله تعالى : ﴿ عَلَى اللَّهِ  
تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

وقد يذكران معاً وذلك في مثل قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا  
عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (٣) . وقوله  
تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ  
أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٤) . وليس لذكرهما معاً قاعدة معينة في الترتيب فقد يذكر  
الأمر أولاً ثم يليه النهي وذلك كالأية الأولى ، أو العكس فيبدأ الدعاء بالنهي  
ثم يتبعه الدعاء بالأمر كالأية الثانية . أو أن تتوالى النواهي وبعدها تتوالى  
الأوامر كقوله تعالى في آخر سورة البقرة : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ  
أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا  
... ﴾ (٥) .

٣ - غالباً ما يذكر بعد الدعاء بهاتين الصيغتين ما يقوي الدعاء ويؤكد كده  
في توافق تام ونسج محكم من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً  
إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٦) .

(١) الأحقاف / ١٥ .

(٢) يونس / ٨٥ .

(٣) آل عمران / ١٩٤ .

(٤) آل عمران / ٨ .

(٥) البقرة / ٢٨٦ .

(٦) آل عمران / ٨ .



فجملة : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ جاءت تذييلاً مؤكداً لمضمون الجملة قبله . ومثله قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾<sup>(١)</sup> وقوله كذلك : ﴿ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾<sup>(٢)</sup> . فجملتها ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ و ﴿ إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ جاءتا تأكيداً لما قبلها .

٤ - إن كثرة الدعاء بأسلوب الأمر قد ترجع - والله أعلم - إلى خفة النطق بفعل الأمر دون النهي الذي في صيغته ( لا تفعل ) شيء من الثقل ، ومعلوم أنّ النفس الداعية الراجية تحرص على بث حاجاتها في أسلوب سهل واضح مرعيّ فيه الخفة والبعد عن التعقيد ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> . فالفعل ( افرق ) أخف وأسرع في النطق من الفعل ( لا تذرني ) كما في قوله تعالى على لسان زكريا : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> . والأمثلة على ذلك واضحة جلية .

(١) الفرقان / ٦٥ .

(٢) التحريم / ٨ .

(٣) المائدة / ٢٥ .

(٤) الأنبياء / ٨٩ .

( ٣ ) - الدعاء بأسلوب الخبر :

جاء الدعاء بالأسلوب الخبري في تسع آيات عبّر الداعون من خلاله عن حاجاتهم وللأسلوب الخبري مزية ينفرد بها دون غيره من أساليب القول " الإنشائية " إذ أنّ المحرك له والباعث عليه عاملٌ نفسي خاصٌ . فنفسية الداعي المرهفة هي التي جعلته يعبر عن حاجته بهذا الأسلوب الرقيق مظهراً تأدبه ، مبدياً تفاؤله في تحقق مطلوبه فجاء الأمر - أي الدعاء - « بلفظ الخبر الحاصل تحقيقاً لثبوته ؛ وأنه مما ينبغي أن يكون واقعاً ولا بد ، وهذا هو المشهور »<sup>(١)</sup> . إذاً فالخبر قد يقع موقع الإنشاء « إما للتفاؤل ، أو لإظهار الحرص في وقوعه - والدعاء بصيغة الماضي من البليغ يحتمل الوجهين - أو للاحتراز عن صورة الأمر ، كقول العبد للمولى إذا حول عنه وجهه : ينظر المولى إلى ساعة . أو لحمل المخاطب على المطلوب ، أن يكون المخاطب ممن لا يجب أن يكذب الطالب . أو لنحو ذلك »<sup>(٢)</sup> .

ونجد أنّ الدعاء بأسلوب الخبر قد التزم الجملة الاسمية للتعبير عن حاجات الداعين ومطالبهم كما في قوله تعالى : ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> . فقوله عليه السلام : لا إله إلا أنت ... يُعَدُّ دعاءً وإن لم يكن ذلك ظاهراً « أي وإن لم يكن بأسلوب الدعاء المشهورين " الأمر والنهي " وإنما جاء بالأسلوب الخبري ، والذي دلّ

(١) البرهان في علوم القرآن / لسدر الدين الزركشي / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / دار

المعرفة بيروت - لبنان ، ٣ / ٣٤٩ .

(٢) الإيضاح ٣ / ٩٣ .

(٣) الأنبياء / ٨٧ .

أنه دعاء قوله تعالى بعده : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ  
نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(١)</sup> . وكذلك ما جاء في دعاء سيدنا أيوب  
عليه السلام : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ  
الرَّحِيمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

فهو عليه السلام لم يدع الله صراحة بل عرض حاجته في أدب وأطلقها  
على حياءٍ من الله فعرض وكنى عن طلبه - رفع البلاء والضرر عنه - بالخبر  
دون الانشاء . جاءت الآية بعد قوله هذا فدلّت على أن ما صدر منه هو  
دعاء وتضرع قال تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّ  
وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

ومن أمثلة الدعاء بأسلوب الخبر ما جاء حكايةً عن موسى عليه السلام  
في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ  
خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾<sup>(٤)</sup> . وقوله تعالى على السنة أهل الجنة : ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا  
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَعَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

(١) الأنبياء / ٨٨ .

(٢) الأنبياء / ٨٣ .

(٣) الأنبياء / ٨٤ .

(٤) القصص : ٢٤ .

(٥) يونس / ١٠ .

ومنه ما جاء في قوله تعالى تعليماً لرسوله كيفية الدعاء عند إعراض قومه:  
﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ  
الْعَظِيمِ ﴾<sup>(١)</sup>.

#### ( ٤ ) - الدعاء بأسلوب الاستفهام :

جاء الدعاء بأسلوب الاستفهام في موضعين والاستفهام في حقيقته يستعمل ( لطلب حصول صورة الشيء في الذهن )<sup>(٢)</sup> وقيل : هو ( طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل )<sup>(٣)</sup> . وقد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معانٍ بلاغية تفهم من السياق<sup>(٤)</sup> . فيخرج للدعاء وهو « كالنهي إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى »<sup>(٥)</sup> . منه قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : ( أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ... )<sup>(٦)</sup> أي لا تهلكنا<sup>(٧)</sup> .

(١) التوبة / ١٢٩ .

(٢) مختصر السعد / ومواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ٢ / ٢٤٦ .

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها / د. أحمد مطلوب / مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، ١ / ١٨١ .

(٤) فقد يخرج إلى ( التهكم - الإنكار - الإثبات - التقرير - التأكيد - التثبيت - التحذير -

التحقير - التعظيم - التعجب - التفجع - التفخيم - التمني - التهكم ..... وغيرها راجع

معجم المصطلحات البلاغية من ص ١٨٣ إلى ص ١٩٤ .

(٥) معجم المصطلحات ١ / ١٩٣ .

(٦) الأعراف / ١٥٥ .

(٧) راجع فتح القدير / للشوكاني / عالم الكتب / بدون ٢ / ٢٥٢ ، والأساليب الإنشائية /

صباح عبيد دراز / مطبعة الأمانة بمصر / الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

( فهذا استفهام على سبيل الإدلاء بالحجة في صيغة استعطاف  
وتذلل )<sup>(١)</sup> . ومثله قوله تعالى : ﴿ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن  
سَبِيلٍ ﴾<sup>(٢)</sup> . أي أخرجنا .

من ذلك كله نجد أن :

١ - أكثر أساليب الدعاء وروداً في القرآن الكريم الدعاء بأسلوب الأمر  
يليه النهي ثم الخبر وأقلها الدعاء بأسلوب الاستفهام .

٢ - الدعاء بالأمر والنهي قد يجتمعان في آية واحدة . في حين أن  
الدعاء بالخبر لا يأتي إلا منفرداً في الآية .

٣ - الدعاء بالأمر والنهي - إذا اجتمعا - ليس لهما ترتيباً واحداً يلتزم  
في كل الآيات . بل قد يذكر الأمر أولاً يليه النهي أو العكس . وقد تتابع  
الأوامر ثم تأتي بعدها النواهي أو العكس كما سبق توضيحه .

٤ - الدعاء بأسلوب الخبر يعتمد في الأساس على الناحية النفسية من  
إظهار للتفاؤل والحرص على الاستجابة ، والتأدب والحياء مع الله في عدم  
التصريح بالطلب أو إظهاره في صورة فعل الأمر أو النهي .

---

(١) البحر المحيط / لأبي حيان الأندلسي الغرناطي / دار الفكر ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

. ١٨٩ / ٥

(٢) غافر / ١١ .

# الفصل الثاني

أصناف الداعين

## الفصل الثاني

### أصناف الداعين

من الممكن أن توصلد أمام المرء جميع الأبواب ، ولكن يبقى بابٌ واحدٌ مفتوح على مصراعيه دائماً ، لا يغلق أبداً ، إنه باب المولى سبحانه وتعالى ، رب العباد جميعاً ترفع رأسك تناجيه وتخاطبه ، وتتضرع إليه دونما وسيط ، ومن فضله علينا أن جعل الدعاء والمناجاة حقاً مشروعاً للجميع بلا استثناء ، ويبقى الفيصل في ذلك هو القبول أو الرفض .

فمنذ أن أوجد الله الخليفة كان الدعاء بما فيه من إلحاحٍ ورجوع وإنابة ، وتضمنينه لحاجات الدنيا والآخرة ، كان دليلاً ظاهراً على العبودية الحقة لله . ولا مرأى أن جميع عباد الله نبههم وعابدهم ، تقيهم وفاجرهم ، يتجهون بالضراعة لله سبحانه وتعالى وإن اختلفت مقاصدهم وغاياتهم .

والتأمل لآيات الدعاء يجد الداعين متحدي الوجهة إلى رب الأرباب سبحانه وتعالى يضرعون إليه ويدعونه كما أمرهم بذلك قال تعالى : ﴿ اَدْعُونِيْ اَسْتَجِبْ لَكُمْ اِنَّ الَّذِيْنَ يَسْتَكْبِرُوْنَ عَنْ عِبَادَتِيْ سَيَدْخُلُوْنَ جَهَنَّمَ دَاخِرِيْنَ ﴾<sup>(١)</sup> ، فامتثل الداعون لهذا الأمر ، واتجهوا إليه ضارعين متذللين ، فهو نعم المعين وخير مجيب .

وبتأمل الدعاء القرآني يمكن تصنيف الداعين على النحو الآتي :

(١) غافر / ٦٠ .

## أولاً : الداعون في الدنيا :

### أ - آدم وحواء عليهما السلام :

آدم عليه السلام أبو البشرية اتجه ضارعاً إلى ربه طالباً غفرانه لما ارتكبه من ذنب هو وزوجه عند أكلهما من الشجرة المحرمة التي نهاهما الله عنها في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(١)</sup> . ولكن كان الشيطان حريصاً على إغوائهما فلم يستجيباً لأمر الله قال تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾<sup>(٢)</sup> . عندها ندم آدم عليه السلام وزوجه واتجها إلى الله في ذل وانكسار واعتراف بالذنب واصفينه بالظلم في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> وذلك عندما « قال آدم: أي ربّ رأيت إن تبت واستغفرت، قال إذاً أدخلك الجنة فقالا - قولهما السابق - وهي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه »<sup>(٤)</sup> .

### ب - الأنبياء والرسل :

لاشك أنّ الأنبياء والرسل هم السُّرُج المضيئة التي تنير ظلام البشرية تحمل رسالة السماء لتبلغها لأهل الأرض ، حياتهم عمل دائم ، وصيرهم لا

(١) البقرة / ٣٥ .

(٢) البقرة / ٣٦ .

(٣) الأعراف / ٢٣ .

(٤) تفسير القرآن العظيم / لابن كثير دار الفكر ٢ / ٢٠٦ .



ينقطع . فهم من أشد الخلق تعذيباً واططهاداً ، تقف أمامهم قوى الشر تحاول جاهدة صرفهم عن مهمتهم الكبرى ، بل يصل الأمر بهم إلى حد التآمر والقتل ، ذلك حينما يصل الإنسان إلى مرحلة الجحود والاغترار بالنفس ونسيان الخالق سبحانه في غمرة الجاه والسلطان متجاوزاً ذلك إلى ما هو أخطر عند ادعاء التَّأُلُّه واستعباد الخلق من دون الله كما فعل فرعون . فيغتر بذلك الأتباع ، حينها يسفر الظلم عن وجهه في عنجهية وطغيان ، وأهل الحق والإيمان قد قَلَّتْ حيلتهم وأنصارهم فما هنالك ملجأ ولا مخرج من ذلك إلا بالرجوع إلى الله والاتجاه إلى مفرج الكربات ومعين ذوي الحاجات فهو وحده بيده إهلاك أعدائه الذين يقفون حائلاً دون وصول نور الحق إلى العباد في أرضه سبحانه وتعالى . فدعا كل نبي ربّه عارضاً حاجته في أسلوب متفرد من البلاغة . أورد القرآن بعضاً من أدعيتهم وهم حسب ترتيبهم الزمني<sup>(١)</sup> كالآتي :

## ١ - نوح عليه السلام :

نوح عليه السلام أول رسول بُعث إلى أهل الأرض ، بعثه الله سبحانه وتعالى عندما عُبدت الأصنام والطواغيت ، وشرع الناس في الكفر والضلال ، وقد كانت دعوته مثلاً حياً للدعوة إلى الله على بصيرة ، ومثلاً يجب أن يقتدي به دعاة اليوم . فقد دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، عرض فيها دعوته بشتى الطرق والوسائل ولكن دون جدوى جاء ذلك في قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿١٠١﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا

(١) اعتمدت في ترتيبهم تاريخياً على كتاب قصص الأنبياء لابن كثير / تحقيق عبد القادر أحمد

عطا / دار إحياء التراث العربي / الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م / ١ / ٣٣٤ .

فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِيءِ إِذَانِهِمْ  
وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا  
﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ .

لكن ذلك كله لم يغير من إعراضهم وصددهم شيئاً . بل استمروا في كفرهم حينها انقطعت الحجة واستحقوا العذاب فدعا عليهم عليه السلام بقوله : ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾<sup>(٢)</sup> . وقوله : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾<sup>(٣)</sup> . وقوله كذلك : ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾<sup>(٤)</sup> فاستجاب له ربه وأغرقهم بالطوفان وأنجاه ومن آمنوا معه . ذكرت قصته عليه السلام في عدّة مواضع من القرآن ونزلت سورة باسمه كذلك<sup>(٥)</sup> .

## ٢ - هود عليه السلام :

أرسل هود عليه السلام إلى قوم عاد قال تعالى : ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾<sup>(٦)</sup> . وهم أول من عبد الأصنام بعد الطوفان . وقد لقي من الإعراض والتكذيب ما لقيه نوح عليه السلام . فقومه عتاة متمردون، وجفاة كافرون،

(١) نوح (٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩) .

(٢) نوح / ٢٤ .

(٣) نوح / ٢٦ .

(٤) نوح / ٢٨ .

(٥) انظر قصص الأنبياء ١ / ١٠٤ .

(٦) الأعراف / ٦٥ .

كذبوه عليه السلام وخالفوه وتنقصوه<sup>(١)</sup> فتضرع لربه قائلاً : ﴿ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

### ٣ - إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام :

إبراهيم عليه السلام نبي الله وخليله ، ذكرت قصته في سور عديدة ، كان عليه السلام حليماً عطوفاً ، كثير الدعاء له ولأهله ولذريته من بعده ، من شفقتة وعطفه دعاؤه لأبيه رغم كفره وإعراضه قال تعالى : ﴿ وَأَعْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾<sup>(٣)</sup> وذلك لأنه قد وعده بالاستغفار له كما جاء في قوله : ﴿ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقد استجاب لأمر الله بإسكان ذريته عند البيت المحرم ( مكة ) فتضرع لربه في دعاء طويل مظهراً شدة ضعفه وحاجته ونراه عليه السلام يشرك إسماعيل في الدعاء كما أشركه في البناء . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>(٥)</sup> . وقوله تعالى كذلك : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ

(١) انظر قصص الأنبياء ١ / ١٥٤ .

(٢) المؤمنون / ٣٩ .

(٣) الشعراء / ٨٦ .

(٤) مريم / ٤٧ .

(٥) البقرة / ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ .

الْأَصْنَامَ ﴿١﴾ . وقوله أيضاً : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ  
﴿٢﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٣﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ  
النَّعِيمِ ﴿٤﴾ .

#### ٤ - لوط عليه السلام :

أحد أنبياء الله عز وجل بعثه إلى قومٍ « ابتدعوا فاحشة »<sup>(٣)</sup> لم يسبقهم إليها  
أحد من بني آدم ، وكانوا من أفجر الناس وأسوأهم طوية ، وأردأهم سريرة  
وسيرة «<sup>(٤)</sup> .

فأخذ يدعوهم ، ولكن هيئات أن يجيبوا داعي الله ، وهمُّوا بإخراجه  
قال تعالى على لسانهم : ﴿ أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ  
يَتَطَهَّرُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> « فلما طال تماديهم في غيِّهم ولم ينزجروا دعا عليهم لوطٌ  
وقال : ﴿ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> «<sup>(٧)</sup> .

(١) إبراهيم / ٣٥ .

(٢) الشعراء / ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ .

(٣) اللواط .

(٤) قصص الأنبياء / ١ / ٢٦٨ .

(٥) النمل / ٥٦ .

(٦) بصائر ذوي التمييز / ٦ / ٥٦ .

(٧) العنكبوت / ٣٠ .

## ٥ - يوسف عليه السلام :

هو يوسف بن يعقوب وهبة الله شطر الحسن كما جاء في حديث الإسراء : « فمرت بيوسف وإذا هو أعطي شطر الحسن »<sup>(١)</sup> . فكان ذلك سبباً في تعلق امرأة العزيز به ، وراودتها إياه ، وكان نساء المدينة « قد حرصنه على السمع والطاعة لسيدته ، فأبى أشد الإباء ، ونأى لأنه من سلالة الأنبياء ، ودعا فقال في دعائه لرب العالمين في سورة يوسف : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣١﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٢﴾ »<sup>(٢)</sup> ،<sup>(٣)</sup> .

## ٦ - أيوب عليه السلام :

هو ذلك العبد الصابر المحتسب الذي ابتلاه الله في جسده حتى عافه القريب والبعيد ، ولكنه ظل قريباً من ربه يذكره ويدعوه ، حتى فرج الله ما به من البلاء ، وأبدله الصحة بعد المرض ، والغنى بعد الفقر ، قال تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٤١﴾ . فهو « لم يدع صراحة حتى لا يتهم نفسه بشيء من الجزع ، إنه مقام عالٍ لنبى مقرب ، اكتفى بالتعريض المهذب »<sup>(٥)</sup> .

(١) قصص الأنبياء ١ / ٣٣٤ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٣٣٤ - ٣٣٥ .

(٣) يوسف / ٣٣ - ٣٤ .

(٤) الأنبياء / ٨٣ .

(٥) الأساليب الإنشائية / ٦٣ - ٦٤ .

## ٧ - يونس عليه السلام :

ذو النون الذي حبسه الله في ظلماتٍ ثلاثٍ « قال ابن مسعود وابن عباس وعمرو بن ميمون وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والحسن وقتادة والضحاك : ظلمة الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل »<sup>(١)</sup> .

« وكان يونس ينوح على نفسه في جوف الحوت ، ويقول : إلهي من الجبال أنزلتني ، ومن بين العباد أخرجتني ، وفي البحار صيرتني ، وفي بطن الحوت حبستني ، وبشؤم الزَّلَّةِ ابتليتني ، فلو نجيتني من سجنك لأعبدنك عبادةً لم يعبدك أحد من العالمين ، ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> »<sup>(٣)</sup> .

## ٨ - موسى عليه السلام :

كليم الله ، الذي أرسله إلى فرعون ، « سئل النبي ﷺ ما بال الله أكثر ذكر موسى في القرآن ؟ فقال : لأن الله يحبه ، ومن أحب شيئاً أكثر ذكره »<sup>(٤)</sup> .

وموسى عليه السلام لقي من الأمور العظام ما لقي ، حتى من قومه ، فقد عبدوا العجل بعد أن منَّ الله عليهم بالخلاص من فرعون وقومه . وقد دعا ربه طالباً عوناً للقيام بمهمة التبليغ على أكمل وجه فقال : ﴿ قَالَ رَبِّ

(١) قصص الأنبياء ١ / ٣٩٤ .

(٢) الأنبياء / ٨٧ .

(٣) بصائر ذوي التمييز ٦ / ٥٤ .

(٤) بصائر ذوي التمييز ٦ / ٦١ .

أَشْرَحَ لِي صَدْرِي ﴿١٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿١٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿١٧﴾  
يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿١٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿١٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٢٠﴾ أَشَدُّ  
بِهِنَّ أَرْزِي ﴿٢١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٢٢﴾<sup>(١)</sup>.

ولكن بعد أن وجد من الإعراض والعناد ما وجد دعا على فرعون وقومه  
في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَأَشَدِّدْ عَلَيَّ قُلُوبِهِمْ فَلَا  
يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

#### ٩ - سليمان عليه السلام :

أتاه الله الملك ، وسخر له الريح ، وعلمه منطق الطير ، وجعل جنوده من  
الثقلين ، فدعا الله بأن لا يكون هذا الملك لأحد من بعده ، قال تعالى :  
﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ  
الْوَهَّابُ ﴾<sup>(٣)</sup>.

#### ١٠ - زكريا عليه السلام :

دعا ربه طالباً الدرّية ، مع علمه أنه شيخ كبير وأنّ زوجته عاقرة لا تلد ،  
إلا أنه أخذ يناجي ربه ويدعوه خفية قال تعالى : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ  
زَكَرِيَّا ﴿١﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي

(١) طه / ٢٥ - ٣٢ .

(٢) يونس / ٨٨ .

(٣) ص / ٣٥ .

وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٦﴾ وَإِنِّي خِفْتُ  
الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٧﴾  
يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٨﴾ (١) . فاستجاب الله له  
ورزقه بيحيى سيداً وحصوراً .

## ١١ - عيسى عليه السلام :

كلمة الله ألقاها إلى مريم ، ورسوله إلى بني إسرائيل ، أجرى الله على  
يديه من المعجزات ، كالتكلم في المهد ، وإبراء الأكمه ، والأبرص ، وإحياء  
الموتى - بإذن الله - مما جعل بني إسرائيل يتخذونه وأمه إلهين . قال تعالى :  
﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (٢) .

ومن معجزاته أيضاً المائدة التي دعا ربه أن ينزلها على قومه كما طلبوا منه ،  
لتكون دليلاً على نبوته . فقال : « اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء  
تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين » (٣) .

## ١٢ - محمد ﷺ :

غالباً ما يُصدَّر دعاءه بالفعل ( قل ) ، لأنه تعليم من الله عز وجل لرسوله  
كيفية الدعاء . والأمر للرسول أمرٌ لأُمَّته أيضاً قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ

(١) مريم / ٢ - ٦ .

(٢) المائدة / ١١٦ .

(٣) المائدة / ١١٤ .



حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١﴾ .  
وقوله : ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ﴿٢﴾ .

## ج - المؤمنون :

عرض القرآن الكريم لعدد من أدعية أهل الإيمان ، الذين اتجهوا إلى الله عز وجل في تذلل وخشوع ، يرجون رحمته ويخافون عذابه ، مظهرين شدة حاجتهم إلى عونه ونصره فجمعهم الإيمان ووجد وجهتهم إلى رب الأرباب ، يترقبون بابه في كل حاجة من حوائجهم موقنين بالإجابة . وفيما يلي نذكر نماذج لأدعيتهم .

### ١ - الذين آمنوا مع شعيب عليه السلام :

من المعلوم أن أتباع الأنبياء ، يتعرضون للأذى كأنيائهم تماماً ، لا فرق بينهم في ذلك بل إنهم يخصوصونهم بمزيد من العذاب طمعاً في صرفهم عن دين الله . حينها لا يملكون سوى الالتجاء إلى الله عز وجل قائلين : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ ﴿٣﴾ .

### ٢ - الذين آمنوا مع موسى عليه السلام :

نرى ابتهاهم وتضرعهم إلى الله عز وجل في قوله تعالى : ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٤﴾ .

(١) التوبة / ١٢٩ .

(٢) المؤمنون / ١١٨ .

(٣) الأعراف / ٨٩ .

(٤) يونس / ٨٥ .

### ٣ - السحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام :

آمن سحرة فرعون برب موسى بعدما دحض عليه السلام حججهم وأظهر كذبهم ، وعرفوا أنه الحق من عند ربهم ، فخرُّوا لله سجداً ، ولكن فرعون لم يرض بذلك وأنكر عليهم فعلتهم تلك وأمر بتنكيلهم ، حينها دعوا الله عز وجل قائلين : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ ﴾<sup>(١)</sup> .

### ٤ - أصحاب الكهف :

فتية آمنوا بربهم ، وخافوا الافتتان في دينهم ، فهربوا إلى الكهف ، ودعوا الله ربهم قائلين : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾<sup>(٢)</sup> فلبثوا فيه عدداً من السنين كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾<sup>(٣)</sup> قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾<sup>(٤)</sup> .

### ٥ - جنود طالوت :

هم الذين ثبتهم الله وقاتلوا جالوت ، وقد طلبوا من الله النصر في ضراعة قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) الأعراف / ١٢٦ .

(٢) الكهف / ١٠ .

(٣) الكهف / ٢٥ - ٢٦ .

(٤) البقرة / ٢٥٠ .

٦ - الحواريون :

هم أنصار عيسى عليه السلام وتلاميذه دعوا الله قائلين : ﴿ رَبَّنَا  
ءَامِنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾<sup>(١)</sup> .

٧ - رهبان النصارى :

هم الذين فاضت أعينهم بالدمع عند سماعهم القرآن ، لمعرفة أنهم الحق  
من ربهم ﴿ رَبَّنَا ءَامِنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

٨ - امرأة عمران :

أم مريم البتول والتي دعت ربها قائلة : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ  
إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي  
سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

٩ - امرأة فرعون :

آسيا بنت مزاحم ، التي ضربها الله مثلاً للذين آمنوا ، فقد كانت زوجة  
لفرعون ، فدعت ربها وتضرعت إليه قال تعالى : ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا  
فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ  
الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) آل عمران / ٥٣ .

(٢) المائدة / ٨٣ .

(٣) آل عمران / ٣٦ .

(٤) التحريم / ١١ .

١٠ - الرّبيون :

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا  
وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> .

١١ - المستضعفون :

قال تعالى : ﴿ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ الَّذِينَ  
يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ  
وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾<sup>(٢)</sup> .

١٢ - عباد الرحمن :

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ  
عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾<sup>(٣)</sup> .

ومما جاء على لسان أهل الإيمان دون تحديد لشخصهم قوله تعالى :  
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿١٥٦﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾<sup>(٤)</sup> .  
وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي

(١) آل عمران / ١٤٧ .

(٢) النساء / ٧٥ .

(٣) الفرقان / ٦٥ .

(٤) الفاتحة / ٥ - ٦ .

الْآخِرَةَ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١﴾ . وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا  
إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ  
مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا  
وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٢﴾ . وكذلك  
قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ  
رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ﴿٣﴾ . وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا  
إِنَّا ءَامَنَّا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ﴿٤﴾ . وقوله تعالى :  
﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا  
فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ ﴿٥﴾ . وقوله  
تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامِنَّا فَاعْفِرْ لَنَا  
وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ﴿٦﴾ .

وقوله : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى  
وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ  
وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٧﴾ .

(١) البقرة / ٢٠١ .

(٢) البقرة / ٢٨٦ .

(٣) آل عمران / ٨ .

(٤) آل عمران / ١٦ .

(٥) آل عمران / ١٩٣ .

(٦) المؤمنون / ١٠٩ .

(٧) الأحقاف / ١٥ .

## ثانياً - في الآخرة :

### أ - الملائكة :

الذين يحملون عرش الرحمن ، يسبحونه ، ويستغفرون للذين آمنوا ويتشفعون لهم عند ربهم قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ (١)

### ب - الْمُنْعَمُونَ :

الذين آمنوا بالله ، وصدّقوا رُسله ، فجازاهم بالإحسان إحساناً ، وأدخلهم جنات النعيم قال تعالى : ﴿ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَحَيْثُ هُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَعَاخِرُ دَعْوَتِهِمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .  
وعندما يرون أهل النار وما هم فيه من العذاب المهين يقولون : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) .

(١) غافر / ٧ - ٨ - ٩ .

(٢) يونس / ١٠ .

(٣) الأعراف / ٤٧ .

وهؤلاء هم الذين أخبر الله عنهم بأن نورهم يسعى بين أيديهم  
وأنهم يقولون : ﴿ رَبَّنَا أَتَمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ ﴾<sup>(١)</sup> .

### ج - الْمُعَذَّبُونَ :

الدعاء في الآخرة قد صدر في معظمه من المعذبين ، الذين يدعون ربهم ،  
وقد امتزج دعاؤهم بصراخهم ليخلصهم مما هم فيه من العذاب ، بعد أن  
تعالوا عن دعائه في الدنيا ، ولكن هيهات أن يُجاب دعاؤهم . قال تعالى :  
﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾<sup>(٢)</sup> رَبَّنَا  
أَخْرَجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿<sup>(٣)</sup> . وقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ  
يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وكل أمة تدخل النار فإنها تلعن أختها لاعتقادهم أنهم السبب في ضلالتهم  
قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارُكُوا فِيهَا جَمِيعًا  
قَالَتْ أُخْرِبُهُمْ لِأَوْلِيهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ  
النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> بل إنهم يلقون اللوم على  
كبرائهم في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا  
فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴾<sup>(٦)</sup> رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا  
كَبِيرًا ﴿<sup>(٧)</sup> .

(١) التحريم / ٨ .

(٢) المؤمنون / ١٠٦ - ١٠٧ .

(٣) فاطر / ٣٧ .

(٤) الأعراف / ٣٨ .

(٥) الأحزاب / ٦٧ - ٦٨ .

# الفصل الثالث

مقاصد الدعاء



## الفصل الثالث

### مقاصد الدعاء

المقاصد : جمع مَقْصِد ، « وهو موضع القَصْد »<sup>(١)</sup> والقصد هو إتيان الشيء ، تقول : قصدته ، وقصدت له ، وقصدت إليه ...<sup>(٢)</sup> .

ويمكن للقارئ أن يلاحظ تنوع المقاصد - المطالب - في الدعاء القرآني نظراً لتنوع الداعين ، فمع اتحادهم في التوجه إلى الله عز وجل إلا أنه لم تتوحد مطالبهم ، وهذه المطالب هي :

أ - مطالب دنيوية .

ب - مطالب أخروية .

### أولاً : المطالب الدنيوية :

مما لا شك فيه أن قصد الداعي من دعائه منبثق عن حاجته ، وحاجات الداعين مختلفة ومتنوعة ، وهي في معظمها مطالب دنيوية ، كيف لا ؟ وقد خُلِق من ضعفٍ ، وكُلِّف بعمارة الأرض ، تلك العمارة التي تستدعي أموراً لا بد من توافرها له حتى يقوم بهذه المهمة خير قيام .

---

(١) المعجم الوسيط / إبراهيم أنيس وآخرون / ط ٢ / المكتبة الإسلامية استانبول / تركيا / بدون / ٢ / ٧٣٨ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ١١ / ١٧٩ .

وانظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ٤ / ٢٧١ .

ولا يخلو الدعاء الدنيوي من التباين ، فدعاء الأنبياء يختلف عن دعاء عباد الرحمن وهؤلاء يختلف دعاؤهم عن دعاء أهل الشرك والضلال ، لاختلاف العقيدة واختلاف المهمة التي يؤدونها في هذه الحياة .

ومن المطالب الدنيوية التي تردت على ألسنة الداعين ما يلي :

## ١ - الأمن والرزق :

الأمن مطلب أساسي ، لولاه لما أُسِّتَ المدن ولا أقيمت الحضارات ، وقد طلبه الخليل عليه السلام من ربه عندما وضع زوجه هاجر ووليدها في وادٍ قفرٍ : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ... ﴾<sup>(١)</sup> وأتبعه بطلب الرزق فهو مستتبع له ، لأن الأمن من شأنه أن يرسى دعائم التجارة والاقتصاد متى ما ساد في منطقة معينة قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ... ﴾<sup>(٢)</sup> وقال سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾<sup>(٣)</sup> وقال أيضاً : ﴿ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> . وقد طلب الرزق موسى عليه السلام عند وصوله إلى أرض مدين هرباً من أرض مصر<sup>(٥)</sup> بعد أن أخذ الجوع منه كل مأخذ قائلاً :

(١) إبراهيم / ٣٧ .

(٢) البقرة / ١٢٦ .

(٣) إبراهيم / ٣٥ .

(٤) إبراهيم / ٣٧ .

(٥) قصص الأنبياء لابن كثير ٢ / ١٦ .

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾<sup>(١)</sup> . ومن الرزق المطلوب ما جاء على لسان عيسى عليه السلام حين طلبه من ربه دلالة على صدق نبوته، واستجابة لما طلبه أتباعه في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> فكانت المائدة دليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً على صدق نبوته .

## ٢ - الولد والذرية الصالحة :

متى ما توافر الأمن والرزق تتطلع النفس البشرية إلى أبعد من ذلك بما جبلت عليه من حب المال والبنين قال تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾<sup>(٣)</sup> . وقوله تعالى : ﴿ أَلْهَيْكُمْ التَّكَاثُرُ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقد جاء طلب الولد والذرية على لسان إبراهيم عليه السلام في قوله : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> ، وكذلك على لسان زكريا عليه السلام الذي تآقت نفسه إلى الولد ليرثه ويرث من آل يعقوب فدعا ربه قائلاً : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> و ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾<sup>(٧)</sup> وقد « جاء الطلب بلفظ :

(١) القصص / ٢٤ .

(٢) المائدة / ١١٤ .

(٣) الكهف / ٤٦ .

(٤) التكاثر / ١ .

(٥) الصافات / ١٠١ .

(٦) الأنبياء / ٨٩ .

(٧) آل عمران / ٣٨ .

هب، لأن الهبة إحسان محض ليس في مقابلتها شيء يكون عوضاً للواهب»<sup>(١)</sup> ونرى الأنبياء في طلبهم للذرية يقرنون الدعوة بصلاحها كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْلَحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾<sup>(٢)</sup> رغبة منهم في الكمال وتمام الخير ، لأن الولد الصالح من مباحج الدنيا والآخرة قال عليه السلام فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثٍ صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »<sup>(٣)</sup> .

وقد حرص نوح عليه السلام على هداية ابنه ولكنه عندما عجز عن رد أمر الله ، قال : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

### ٣ - النصره :

« النصره : حُسن المعونة »<sup>(٥)</sup> ومن أحسن من الله معيناً ؟ يقف بجوار عبده في شدته وورعائه ويلحظ المتأمل لآيات الدعاء أن أكثر الفئات طلباً للنصره هم الأنبياء ، لما يلقونه من تكذيب أقوامهم ، وإعراضهم عن الحق قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ

(١) البحر المحيط ٣ / ١٢٦ .

(٢) الأحقاف / ١٥ .

(٣) مسلم في صحيحه / كتاب الوصية ٣ / ١٢٥٥ ، ورواه أيضاً : أبو داود في الوصايا باب ما

جاء في الصدقة عن الميت ٣ / ١١٧ ، الترمذي في الأحكام باب في الوقف ٣ / ٦٥١ وقال :

حسن صحيح . كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) هود / ٤٧ .

(٥) لسان العرب / مادة نصر ٤ / ١٦٠ .

فَأَنْتَصِرَ ﴿١﴾ « أي أنصر . وإنما قال انتصر ولم يقل انصر تنبيهاً أن ما يلحقني يلحقك من حيث إني جئتهم بأمرك فإذا نصرته فقد انتصرت لنفسك » ﴿٢﴾ . وعندما زاد إعراض قومه وصددهم قال : ﴿ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾ ﴿٣﴾ ، وهذا المطلب ورد أيضاً على لسان هود عليه السلام ، عندما لقي التكذيب من قومه . ومعلوم أن من عادة البشر في كل عصر وأوان عندما يرسل إليهم ربهم منقذين يخرجونهم من الظلمات إلى النور . نرى الفئة الظالمة تحاربهم بكل قوة ولهذا يلجأ الأنبياء إلى طلب نصر الله وعونه قال تعالى على لسان هود : ﴿ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾ ﴿٤﴾ .

وممن دعا بذلك أيضاً لوط عليه السلام بعدما استشرى في قومه الفساد حتى كان كالداء العضال الذي لا شفاء منه ، فرغم محاولاته عليه السلام دعوتهم وإصلاحهم فقد عجز في استمالة قلوبهم إلى الطريق السوي ، فلجأ إلى ربه قائلاً : ﴿ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿٥﴾ ونعتهم بالمفسدين لعظم جرمهم - وهو اللواط - حيث ابتدعوه وجعلوه سنة فيمن بعدهم إلى يومنا هذا وفي هذا فساد عظيم .

أمّا موسى عليه السلام فكان أشد ما يكون حاجةً إلى نصره ربّه فقد كلفه الله أن يذهب إلى جبار من جبابرة الأرض - فرعون مصر - ليدعوه

(١) القمر / ١٠ .

(٢) بصائر ذوي التمييز ٥ / ٦٩ .

(٣) المؤمنون / ٢٦ .

(٤) المؤمنون / ٣٩ .

(٥) القمر / ١٠ .

إلى الإيمان بالله عز وجل ، عندها أحس عليه السلام عِظَم هذا الأمر فدعا ربّه قائلًا : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ (١) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴿ (١)

ثم نراه يعلل خوفه من لقاء فرعون بقوله : ﴿ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ (٢) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿ (٢)

ومما زاد الأمر صعوبة عليه ، ما كان يعانيه من عقدة لسانه ، وعدم قدرته على المحاجة والبيان ، فنراه يطلب من ربه أن يحلّ هذه العقدة بقوله : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ (٣) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ (٣) وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّي لِسَانِي ﴾ (٤) يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ (٤) وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾ (٥) هَارُونَ أَخِي ﴾ (٥) أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴾ (٥) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿ (٥)

وقد جاء طلب النصره على لسان المؤمنين بقولهم : ﴿ فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٦) . ونرى المستضعفين في الأرض يطلبون من الله تسخير من يحسن إليهم ويولي أمرهم وينصرهم فيعيد لهم ما سلبه الطغاة فهم بقولهم : ﴿ وَأَجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَأَجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ (٥)

(١) الشعراء / ١٢ - ١٣ .

(٢) القصص / ٣٣ - ٣٤ .

(٣) طه / ٢٥ - ٣٢ .

(٤) البقرة / ٢٨٦ / ( وانصرنا ) - آل عمران / ١٤٧ .

(٥) النساء / ٧٥ .

وطلب النصرة أمرٌ عظيم يعلمه الله لنبيه ويحثه على طلبه منه بقوله :  
﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴾<sup>(١)</sup> .

#### ٤ - النجاة من أهل الظلم والطغيان وأعمالهم :

يحظى أهل الظلم في كل زمان ومكان بالقوة والسيادة ، ويقفون دوماً في وجه الأنبياء والمصلحين ، يحاولون بشتى الطرق طمس الحقائق وصرف الناس عن اتباع الحق ، فمتى ما تعاضمت هذه الأيدي الظالمة مُحاولَةً إجهاض دعوة التوحيد ، نرى طلب النجاة أمراً لا مندوحة عنه ، حتى لو استدعى ذلك طلب الخروج والهجرة من أرض إلى أخرى نجد ذلك في قول المسـتضعفين : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾<sup>(٢)</sup> يقصدون بها مكة ، فعلى الرغم مما ذاقوه من تعذيب قريش وبطشها نلمح مزيد تآدبٍ في دعائهم من خلال إسناد الظلم إلى أهل القرية لا إليها كما جرت عادة القرآن حين يتحدث عن القرى وفي هذا الصدد يقول ابن المنير<sup>(٣)</sup> ولعله أول من أشار إلى هذا الملمح : إنَّ « كل قرية ذكرت في الكتاب العزيز فالظلم ينسب إليها بطريق المجاز كقوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ﴾

(١) الإسراء / ٨٠ .

(٢) النساء / ٧٥ .

(٣) هو أحمد بن محمد بن منصور : من علماء الإسكندرية وأدبائها ، ولي قضاءها وخطابتها

مرتين له تصانيف منها : الانتصاف من الكشاف ، تفسير حديث الإسراء ، وولد سنة

٦٢٠ هـ ، وتوفي سنة ٦٨٣ هـ .

انظر ترجمته في : الأعلام / ١ / ٢٢٠ .

كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴿١﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾ ... وَأَمَا فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ فَيُنْسَبُ الظُّلْمُ إِلَى أَهْلِهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا مَكَّةَ فَوْقَتْ عَنْ نِسْبَةِ الظُّلْمِ إِلَيْهَا تَشْرِيفًا لَهَا «<sup>(١)</sup> .

وَقَدْ طَلَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَنْجِيَهُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ بِقَوْلِهِ : ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> وَكَذَلِكَ وَرَدَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ : ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> وَقَوْلُ مَنْ آمَنَ مَعَ مُوسَى : ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup> وَرَبَّمَا يَجْتَمِعُ الْكُفْرُ وَالْإِيمَانُ مَعًا ، لَكِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَالِمُهُ الْخَاصُّ بِهِ فَلَا يَتَأَثَّرُ بِالْآخَرِ ، بَلْ نَرَى الْإِيمَانَ يَحَاوِلُ الْحِفَاظَ عَلَى ذَاتِهِ مِنْ وَطْأَةِ الْكُفْرِ وَجَبْرُوتِهِ ، فَيُفَرِّقُ بِصَاحِبِهِ إِلَى اللَّهِ ، طَالِبًا النِّجَاةَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْخِلَاصَ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ كَمَا فَعَلَتْ آسِيَا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ حَيْثُ عَدَّبَهَا عِنْدَمَا أَحْسَسَ مِنْهَا الْإِيمَانَ فَدَعَتْ رَبَّهَا قَائِلَةً ﴿ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ <sup>(٥)</sup> . « وَتَعْنِي بِالْعَمَلِ الْكُفْرَ . وَقِيلَ : مِنْ عَمَلِهِ مِنْ عَذَابِهِ وَظُلْمِهِ وَشِمَاتِهِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْجَمَاعُ » <sup>(٦)</sup> .

(١) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير بهامش تفسير الكشاف ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان / الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م / ١ / ٥٢٤ .

(٢) القصص / ٢١ .

(٣) المؤمنون / ٩٤ .

(٤) يونس / ٨٦ .

(٥) التحريم / ١١ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن / لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي / تحقيق - أحمد عبد العليم البردوني / دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م /



## ٥ - طلب الملك :

جاء طلب الملك على لسان سيدنا سليمان عليه السلام في قوله :  
﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ  
الْوَهَّابُ ﴾<sup>(١)</sup> ولم يكن سؤاله عليه السلام « طلباً لنفس الدنيا ؛ لأنه  
هو والأنبياء أزهد خلق الله فيها ، وإنما سأل مملكتها لله ، كما سأل نوح  
دمارها وهلاكها لله ؛ فكانا محمودين مجابين إلى ذلك ، فأجيب نوح فأهلك  
من عليها ، وأعطى سليمان المملكة »<sup>(٢)</sup> أمّا قوله : ﴿ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ  
بَعْدِي ﴾<sup>(٣)</sup> « أي أن يسأله فكأنه سأل منع السؤال بعده ، حتى لا يتعلق به  
أمل أحد ، ولم يسأل منع الإجابة ... »<sup>(٤)</sup> .

## ٦ - طلب الهلاك والعذاب للكافرين :

جاء الدعاء على الكافرين بالهلاك والعذاب على لساني نوح  
وموسى عليهما السلام فهما من أشد الرسل معاناة مع أقوامهم . أمّا نوح  
عليه السلام فقد دعا على قومه بزيادة الضلال : ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا  
ضَلَالًا ﴾<sup>(٥)</sup> وبزيادة الهلاك : ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾<sup>(٦)</sup> ودعا

(١) ص / ٣٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن / ١٥ / ٢٠٤ .

(٣) ص ٣٥ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن / ١٥ / ٢٠٤ .

(٥) نوح / ٢٤ .

(٦) نوح / ٢٨ .

كذلك بقوله : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرَّ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾<sup>(١)</sup>  
وعلل ذلك بقوله : ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوْا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوْا إِلَّا فَاجِرًا  
كَفَّارًا ﴾<sup>(٢)</sup> . فدعاؤه عليهم بعدما يئس من اتباعهم له وبعد أن جاء  
الوحي قائلاً : ﴿ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّءَ أَمْنًا ﴾<sup>(٣)</sup> .

أمَّا موسى عليه السلام فدعا على فرعون وقومه بقوله : ﴿ رَبَّنَا  
أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوْبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوْا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ  
الْأَلِيمَ ﴾<sup>(٤)</sup> . فكان طلبه إهلاك أموالهم والدعوة بقسوة قلوبهم فلا تنشرح  
للإيمان أبداً ، وفعلاً لم يؤمن فرعون إلا حينما رأى الغرق ولكن لم ينفعه  
ذلك .

## ٧ - شكر النعمة والقدرة على العمل الصالح :

« النعمة في القرآن خاصة بما أنعم الله به على عباده في الدنيا لا الآخرة...  
سواء أكانت خيراً مادياً كالمال والجاه والصحة أو هداية وإرشاداً إلى الصواب  
والتوفيق للعمل به »<sup>(٥)</sup> .

(١) نوح / ٢٦ .

(٢) نوح / ٢٦ .

(٣) هود / ٣٦ .

(٤) يونس / ٨٨ .

(٥) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية د/ عبد العظيم المطعني / مكتبة وهبة - القاهرة /

وهذه النعم لا بد أن يقابلها المنعم عليه بالشكر حتى تدوم بل تزيد قال تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۗ ﴾<sup>(١)</sup> . وقد جاء هذا المطلب على لسان سيدنا سليمان عليه السلام الذي وهبه الله عز وجل نعماً عظيمة لم توهب لأحد قبله ولا بعده ، فحين شعر بعظمتها عليه خاصة حين أمكنه الله من سماع النملة قال : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ۗ ﴾<sup>(٢)</sup> . وقد أدرج عليه السلام ذكر والديه « تكثيراً للنعمة ، فإن الإنعام عليهما إنعام عليه مستوجب للشكر »<sup>(٣)</sup> .

وقد جاء هذا المطلب على لسان الإنسان<sup>(٤)</sup> ، بعد وصيته بالإحسان إلى والديه وخاصة أمه ، لما لقيته في سبيله من مشقة وعناء ، قائلاً : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ۗ ﴾<sup>(٥)</sup> وقد اشترط في الدعائين السابقين أن يكون عملهما صالحاً يرضى الله عنه ويتقبله وفي هذا إتماماً للشكر واعترافاً بالفضل .

(١) إبراهيم / ٧ .

(٢) النمل / ١٩ .

(٣) تفسير أبي السعود المسمى ( إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ) لأبي السعود العمادي / دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

٦ / ٢٧٩ .

(٤) ذكرت بعض الروايات أنها نزلت في أبي بكر الصديق ، وقيل : في سعد بن أبي وقاص .

وقيل : نزلت على العموم / راجع الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٩٤ .

(٥) الأحقاف / ١٥ .

## ٨ - تثبيت الأقدام وقت الشدة والكرب :

جاء هذا المطلب على لسان جند الله مع طالوت ، حينما برزوا لقتال جالوت ، وقد كانوا فئة قليلة ولكنها واثقة من نصر الله لها ، وقد طلبوا قبل تثبيت أقدامهم ، إفراغ الصبر عليهم بقولهم ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> « وهو تعبير يصور مشهد الصبر فيضاً من الله يفرغه عليهم فيغمرهم وينسكب عليهم طمأنينة وسكينة واحتمالاً للهول والمشقة »<sup>(٢)</sup> ثم أعقبوا ذلك بطلب تثبيت الأقدام ، وهذا ما طلبه الربيون كذلك بقولهم : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> . « وقد خصوا الأقدام بالثبات دون غيرها من الجوارح لأن الاعتماد عليها »<sup>(٤)</sup> . « وثبات القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة لا مجرد التقرر في حيز واحد »<sup>(٥)</sup> .

## ٩ - طلب التأخير والرجوع للدنيا عند رؤية الموت :

جعل الله عز وجل الدنيا للعمل والآخرة للجزاء ، غير أن الإنسان قد يغتر بالدنيا فينصرف عن العمل لآخرفته ، وينسى أن بقاءه في هذه الدنيا محدد

(١) البقرة / ٢٥٠ .

(٢) في ظلال القرآن / سيد قطب / دار الشروق / ط ١٧ - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م -

٢ / ٢٦٩ .

(٣) آل عمران / ١٤٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن / ٤ / ٢٣١ .

(٥) تفسير أبي السعود ١ / ٢٤٤ .

بوقت ، وأن لكل أجل كتاباً قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾<sup>(١)</sup> . ولا يشعر الإنسان في هذه الدنيا بانقضاء العمر إلا بعد أن يأتيه الموت : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾<sup>(٢)</sup> حينها يراجع نفسه هل قدم أعمالاً تنفعه في هذا اليوم ولكنه لا يجد شيئاً فيدعو قائلاً : ﴿ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> . ونظيره قوله تعالى : ﴿ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِيبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ ﴾<sup>(٤)</sup> . ولكن هيهات لهم أن يؤخروا .

#### ١٠ - التعوذ من همزات الشياطين :

الشيطان عدو الإنسان الأول ، يسعى لإغوائه ، وهو يجري منه مجرى الدم ، لذا يجب على الإنسان - المؤمن خاصة - أن يحذر منه ، وأن يتعوذ من وساوسه ، وقد أمر الله عز وجل نبيه عليه السلام بذلك في قوله : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾<sup>(٥)</sup> « وهمزات الشياطين : خطراتها التي تُخطرها بقلب الإنسان »<sup>(٦)</sup> وأمره كذلك بقوله : ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ

(١) الأعراف / ٣٤ .

(٢) المؤمنون / ٩٩ .

(٣) المنافقون / ١٠ .

(٤) إبراهيم / ٤٤ .

(٥) المؤمنون / ٩٧ .

(٦) بصائر ذوي التمييز / ٥ / ٣٤٣ .

يُحْضِرُونَ ﴿١﴾ فقد أمر رسوله « بأن يعوذ به تعالى من حضورهم بعدما أمر بالعوذ من همزاتهم للمبالغة في التحذير من ملابستهم وإعادة الفعل مع تكرير النداء لإظهار كمال الاعتناء بالمأمور به ... وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وحال حلول الأجل كما روي عن عكرمة رحمه الله لأنها أحرى الأحوال بالاستعاذة منها » (٢) .

## ١١ - إرسال الرسل :

الرسل هم دعاة الحق أرسلهم الله لغاية معينة قال تعالى : ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (٣) .

وقد تعددت رسل الله ، قال تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٤) . وإبراهيم عليه السلام طلب من ربه أن يبعث في أمته « ذريته » المسلمة رسولا بقوله : ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٥) . دعا بذلك بعد أن طلب لهم الأمن والرزق ، وذلك لتكامل سعادتهم الدنيوية والأخروية وقد طلب أن يكون الرسول منهم « لأنه يكون أشفق على قومه ويكونون هم أعز به وأشرف وأقرب للإجابة ، لأنهم

(١) المؤمنون / ٩٨ .

(٢) تفسير أبي السعود ٦ / ١٥٠ .

(٣) النساء / ١٦٥ .

(٤) فاطر / ٢٤ .

(٥) البقرة / ١٢٩ .

يعرفون منشأه وصنفه وأمانته»<sup>(١)</sup> . ثم نراه يبين الحكمة من ذلك بقوله :  
﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ والآيات  
هنا « القرآن ، وقيل : خبر من مضى ، وخبر من يأتي إلى يوم القيامة ، وقال  
الفضل : معناه يبين لهم دينهم »<sup>(٢)</sup> . فيعلمهم هذا الرسول « القرآن وما  
يكمل به نفوسهم من أحكام الشريعة والمعارف الحقة .... ويطهرهم عن  
دنس الشرك وفنون المعاصي »<sup>(٣)</sup> .

ومن عدل الله سبحانه وتعالى أنه لا يعذب حتى يبعث الرسل مبشرين  
ومنذرين لتنعدم حجج العباد حيث قال في محكم كتابه : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ  
حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾<sup>(٤)</sup> وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ  
قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ  
نُذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾<sup>(٥)</sup> ، وقوله : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ  
أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ  
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> .

(١) البحر المحيط ١ / ٦٢٥ .

(٢) البحر المحيط ١ / ٦٢٦ .

(٣) تفسير أبي السعود ١ / ١٦٢ .

(٤) الإسراء / ١٥ .

(٥) طه / ١٣٤ .

(٦) القصص / ٤٧ .

## ١٢ - الزيادة في العلم :

العلم نور الله يهدي إلى الخير والصلاح ، وهو من نعمه عز وجل على عباده قال تعالى : ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> . وقوله عز من قائل : ﴿ الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقد أمر الله عز وجل رسوله بأن يقول : ﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾<sup>(٤)</sup> أي أن يطلب الزيادة في العلم « وقيل : ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم »<sup>(٥)</sup> .

وهذا راجع إلى كون العلم هو السبيل الذي يصل الإنسان من خلاله إلى المعرفة الحقة بخالقه بعد أن يزيل عنه شوائب الجهل التي تصده عن الخضوع لله .

(١) العلق / ٤ - ٥ .

(٢) الأنعام / ٩١ .

(٣) الرحمن ١ - ٤ .

(٤) طه / ١١٤ .

(٥) الكشاف ( عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ) للزمخشري / دار

الكتب العلمية بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م / ٣ / ٨٧ ، البحر

المحيط / ٧ / ٣٨٧ .



وقد بين الله في كتابه العزيز أن العلماء هم أكثر الناس خشية لله قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾<sup>(١)</sup> . ذلك لأنهم بعلمهم ، وسيرهم أغوار الحقائق يستطيعون أن يميزوا ما كان من صنع إله قادر مبدع ، وبين ما كان من صنع بشر ، فيزداد إيمانهم بأن الله عز وجل هو الإله المتفرد بالألوهية .

### ١٣ - الشفاء من المرض :

المرض ابتلاء من الله وهو ( الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان )<sup>(٢)</sup> . وهو ضربان :

الأول جسدي ، والثاني عبارة عن الرذائل والجهل - أي المعنوي - أما الجسدي فيختبر الله به عباده ليرى مدى صبرهم وثباتهم ، وفيه تخفيف لذنوبهم ، قال عليه السلام : « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه »<sup>(٣)</sup> . وقد ابتلى الله نبيه أيوب عليه السلام بالمرض ، ووردت عدة قصص وروايات في كتب التفاسير وغيرها ، تذكر قصته وكيف أنه لم يطلب من الله صراحة أن يزيل ما به ، بل عرض بقوله : ﴿ أَنْتَ مَسْنِيَ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله : ﴿ أَنْتَ مَسْنِيَ الشَّيْطَانِ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾<sup>(٥)</sup>

(١) فاطر / ٢٨ .

(٢) مفردات الراغب / ٤٦٦ .

(٣) الحاكم في المستدرک / ١ / ١٠٠ ، والدارمي في سننه ٢ / ٤١٢ ، كلاهما من حديث سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٤) الأنبياء / ٨٣ .

(٥) ص / ٤١ .

وفي دعائه هذا أدب عظيم فقد تقلب عليه السلام في نعم عديدة ، ولما أصابه المرض لم يُصرِّح في دعائه بل عرَّض حياءً من الله عز وجل . وقد استجاب الله له فقال : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَعَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَبِيدِ ﴾<sup>(١)</sup> .

## ثانياً : المطالب الأخروية :

تنوعت المطالب الأخروية من ناحيتين :

أولاً : من حيث مكان صدورها فهي : إمَّا مطالب أخروية صادرة في الدنيا ، وإمَّا مطالب أخروية صادرة في الآخرة .

ثانياً : من حيث من صدرت عنهم فهي : إمَّا أن تكون صادرة عن أهل الإيمان ، وإمَّا أن تكون صادرة عن أهل الكفر .

أ - مطالب أهل الإيمان الأخروية :

لأهل الإيمان مطالبُ أخروية صدرت على ألسنتهم في الدنيا والآخرة وهي :

### ١ - الرحمة والغفران :

اتجه الداعون إلى ربهم طالبين منه الرحمة والغفران ؛ لأنه هو الرحمن الرحيم الذي قال في كتابه : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾<sup>(٢)</sup> لذلك طلبها الجميع مقترنة بالمغفرة وهي : « أن يصون الله العبد أن يمسه العذاب »<sup>(٣)</sup> .

(١) الأنبياء / ٨٤ .

(٢) الأعراف / ١٥٦ .

(٣) بصائر ذوي التمييز ٤ / ١٣٦ .

والأنبياء هم أول من طلبها من عهد آدم عليه السلام إلى نبينا عليه الصلاة والسلام قال تعالى على لسان آدم وحواء : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> طلباها بعدما أكلا من الشجرة المنهي عنها ، « وسميا ذنبهما وإن كان صغيراً مغفوراً ، ظلماً وقالوا ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ على عادة الأولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات »<sup>(٢)</sup> .

وقد طلبها نوح لنفسه : ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> بل إنه تجاوز ذلك وطلبها عامة شاملة لوالديه ولأهل الإيمان قائلًا : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾<sup>(٤)</sup> . وقد طلبها إبراهيم عليه السلام لوالده رغم كفره قائلًا : ﴿ وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾<sup>(٥)</sup> ثم شمل بدعائه أهل الإيمان بقوله : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾<sup>(٦)</sup> فهو كنوح عليه السلام « خصَّ أولاً من يتصل به ، لأنهم أولى وأحق بدعائه ، ثم عمَّ المؤمنين والمؤمنات »<sup>(٧)</sup> .

(١) الأعراف / ٢٣ .

(٢) البحر المحيط ٥ / ٢٨ .

(٣) هود / ٤٧ .

(٤) نوح / ٢٨ .

(٥) الشعراء / ٨٦ .

(٦) إبراهيم / ٤١ .

(٧) الكشاف ٢ / ٦٠٩ .

وتأمل الروعة في دعاء أيوب عليه السلام حين لجأ إلى ربه طالباً رحمته :  
﴿ أَنْتَ مَسْنِيَ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ ﴾<sup>(١)</sup> حيث سلك في دعائه  
مسلك الأدب مع الله ، إذ جعل ما نزل به وأصابه مساً خفيفاً ولم يطلب  
ذلك صراحةً بل عرّض في دعائه . وعباد الرحمن وأهل الإيمان ، لم يفتهم  
طلب الرحمة من الله ليكون سيرهم على بصيرة وارتحالهم عن يقين بقدرته  
تعالى على إفاضة الرحمات عليهم متى ما هبت أمامهم عواصف المحن وأعاصير  
الباطل ، ففتية الكهف قالوا : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾<sup>(٢)</sup> .

وكذلك أهل الإيمان استوهبوا ربهم رحمةً من عنده : ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن  
لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾<sup>(٣)</sup> وتبين لي من خلال تتبع آيات هذا  
المطلب أن لفظ الرحمة يأتي مؤخرأً دوماً عن لفظ الغفران إذا اجتمعا ، وهذا  
دليل على أن الرحمة أعم وأشمل « فرحمة الله غير متناهية تكفي أهل السموات  
والأرض وما بينهما ، وتزيد لتشمل كل شيء حتى الجمادات »<sup>(٤)</sup> فما بالك  
بهذا الإنسان ، ألا يحق له أن يتفياً ظلال رحمة ربه ؟ .

## ٢ - عدم الخزي ، والنجاة من الظالمين :

« الخزي: الانكسار من الوقوع في بليّة وشهرة ، وأخزاه الله: فضحه »<sup>(٥)</sup> .

(١) الأنبياء / ٨٣ .

(٢) الكهف / ١٠ .

(٣) آل عمران / ٩ .

(٤) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ١ / ٤١٣ .

(٥) بصائر ذوي التمييز ٢ / ٥٣٥ .

وقد طلب إبراهيم عليه السلام أن ينجيه ربه من الخزي يوم البعث بقوله:  
﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾<sup>(١)</sup> . « أي لا تفضحني على رؤوس الأشهاد ،  
أو لا تعذبني يوم القيامة »<sup>(٢)</sup> .

وجاء على لسان أهل الإيمان : ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ  
وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾<sup>(٣)</sup> . « قصدوا بذلك  
تذكير وعده تعالى بقوله : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾<sup>(٤)</sup>  
مظهرين أنهم ممن آمن معه رجاء للانتظام في سلوكهم »<sup>(٥)</sup> .

ومن الخزي أن يكون نصيب المرء في الآخرة النار، محشوراً مع المعذنين ،  
وهذا ما استجار منه أصحاب الأعراف<sup>(٦)</sup> ، فبعدما نظروا إلى أصحاب الجنة  
ونادوهم بالتسليم نظروا إلى أصحاب النار ، إلا أن نظرهم هذا لم يكن ناتجاً  
عن رغبتهم في ذلك بدليل بناء الفعل للمجهول ( صُرِفَتْ ) أي « أن صارفاً

(١) الشعراء / ٨٧ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ١١٤ .

(٣) آل عمران / ١٩٤ .

(٤) التحريم / ٨ .

(٥) تفسير أبي السعود ٢ / ١٣٢ .

(٦) « الأعراف : جمع عرف وهو كل عال مرتفع لأنه يكون أعرف مما انخفض وهي المشرفات

من ذلك الحجاب » وأصحابها « رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم فوقفوا هنالك حتى

يقضي الله فيهم ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته ... » راجع نظم الدر في تناسب الآيات

والسور للبقاعي / دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان / ط الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا»<sup>(١)</sup> قائلين : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ  
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> « أي في النار ، وفي وصفهم بالظلم دون ما هم عليه  
حينئذ من العذاب وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء إشعار بأن المحذور  
عندهم ليس نفي العذاب فقط بل مع ما يوجبه ويؤدي إليه من الظلم»<sup>(٣)</sup> .

### ٣ - الوقاية من عذاب النار والانصراف عنه :

« الوقاية : حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره»<sup>(٤)</sup> ولا أضر من النار ، فالوقاية  
من عذابها مطلبٌ عظيمٌ حرص الداعون على طلبه في قولهم : ﴿ رَبَّنَا  
ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾<sup>(٥)</sup>  
وقولهم : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا ءَامَنَّا بِآمَانَتِكَ فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾<sup>(٦)</sup> .  
وقولهم كذلك : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ  
النَّارِ ﴾<sup>(٧)</sup> وأيضاً في قولهم : ﴿ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا  
كَانَ غَرَامًا ﴾<sup>(٨)</sup> .

(١) الكشاف / ٢ / ١٠٣ .

(٢) الأعراف / ٤٧ .

(٣) تفسير أبي السعود / ٣ / ٢٠٣ .

(٤) المفردات / ٥٣٠ .

(٥) البقرة / ٢٠١ .

(٦) آل عمران / ١٦ .

(٧) آل عمران / ١٩١ .

(٨) الفرقان / ٦٥ .

#### ٤ - الوفاة على الإسلام والانضمام إلى الصالحين :

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾<sup>(١)</sup>. الموت نهاية الحياة الدنيوية وبداية لمرحلة أخرى ، وهو أجل مكتوب على الجميع قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾<sup>(٢)</sup> . وقد طلب الداعون أن توفى آجالهم وهم على الإسلام قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقوله: ﴿ تَوَقَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وأن يلحقهم كذلك بالصالحين والأبرار قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾<sup>(٥)</sup> وقوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> . بل نراهم يطلبون أن يكتبهم الله مع الشهداء قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾<sup>(٧)</sup> وقوله : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾<sup>(٨)</sup> .

(١) آل عمران / ١٤٥ .

(٢) آل عمران / ١٨٥ .

(٣) الأعراف / ١٢٦ .

(٤) يوسف / ١٠١ .

(٥) آل عمران / ١٩٣ .

(٦) النمل / ١٩ .

(٧) المائدة / ٨٣ .

(٨) آل عمران / ٥٣ .

## ٥ - الجنة والفوز بها :

الجنة « كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض ... وسميت الجنة إمّا تشبيهاً بالجنة في الأرض وإن كان بينهما بون ، وإمّا لستره نعمها عنا المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾<sup>(١)</sup> «<sup>(٢)</sup> والجنة ثواب الله الذي أعده لعباده وفي مقابلها النار للمعاندين المعتدين . وهي مطلبٌ تردده ألسنة الداعين ، وتأمل من الله الفوز به ، وقد طلبه إبراهيم عليه السلام في قوله : ﴿ وَأَجْعَلْنِي مِّن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وطلبت آسيا عليها السلام بيتاً في الجنة : ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾<sup>(٤)</sup> وقد جمعت بين ( عندك وفي الجنة ) لأنها أرادت « القرب من رحمة الله والبعد من عذاب أعدائه . ثم بينت مكان القرب بقولها : ( في الجنة ) ، أو أرادت ارتفاع الدرجة في الجنة وأن تكون جنتها من الجنان التي هي أقرب إلى العرش وهي جنات المأوى فعبّرت عن القرب إلى العرش بقولها : ( عندك ) »<sup>(٥)</sup> .

وقد أجمع المفسرون على أن المراد بالحسنة في الآخرة الجنة<sup>(٦)</sup> ، لذا طلبها الداعون بقولهم : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً

(١) السجدة / ١٧ .

(٢) مفردات الراغب / ٩٨ .

(٣) الشعراء / ٨٥ .

(٤) التحريم / ١١ .

(٥) الكشاف / ٤ / ٥٥٩ .

(٦) راجع الدعاء في بيان العربية / ص ١٧٤ .



وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١﴾ وقولهم : ﴿وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً  
وَفِي الْآخِرَةِ﴾ ﴿٢﴾ أي في الآخرة حسنة وهي الجنة .

وجاءت على لسان الملائكة ( حملة العرش ) حين طلبوها من ربهم للذين  
تابوا واتبعوا سبيله بقولهم : ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ  
صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣﴾ .

## ٦ - إتمام نور المؤمنين على الصراط :

يطلب أهل الإيمان من ربهم يوم القيامة أن يتم عليهم نورهم الذي  
يهتدون به أثناء سيرهم على الصراط قائلين : ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا  
وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٤﴾ . « قال ابن عباس والحسن :  
يقولون ذلك إذا اطفئ نور المنافقين » ﴿٥﴾ . « وعن ابن مسعود : يؤتون نورهم  
على قدر أعمالهم ؛ فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره  
كالرجل القائم ، وأدناهم نوراً من نوره على إبهام رجله فيطفأ مرة ويوقد  
أخرى » ﴿٦﴾ .

(١) البقرة / ٢٠١ .

(٢) الأعراف / ١٥٦ .

(٣) غافر / ٨ .

(٤) التحريم / ٨ .

(٥) البحر المحيط / ١٠ / ٢١٤ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن / ١٧ / ٢٤٤ .

وجاءت هذه الآية متحدثة « عن النبي ﷺ والذين آمنوا معه لا عن عامة المؤمنين وذلك للتنويه بشأنهم والتنبيه على علو منزلتهم ، ولهذا كان من المناسب التأكيد على أن النور ليس لعامة المؤمنين وإنما هو نور النبي والذين آمنوا معه ، ومن مقتضيات عدم إخراج الله النبي والذين آمنوا معه الدلالة على أن نورهم يسعى بين أيديهم بتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي ليتناسب هذا التأكيد مع علو مقام المخاطبين ورفعة منزلتهم وهم النبي والذين آمنوا معه ، كما أن التعبير بالجملة الاسمية ﴿ نُوْرُهُمْ يَسْعَى ﴾ لإفادة ثبوت النور لهم وديمومته»<sup>(١)</sup> وهذه الآية تختلف عما جاء في سورة الحديد في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup> .

فهذه الآية « جاءت متممة للآيات التي قبلها<sup>(٣)</sup> فهي نتيجة للإنفاق وحث عليه وبشارة من الله لعباده بهذا الجزاء الذي أعده الله للمنفقين منهم تكريماً لهم وتنويهاً بشأنهم والمراد بالمؤمنين عامة المؤمنين وليس الصحابة لأنه لم يأت في السياق ما يدل على ذلك كما دلَّ عليه في آية التحريم ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ . ولما كانت هذه الآية وعداً وبشارة من الله آثر القرآن التعبير بالجملة الفعلية ﴿ يَسْعَى نُورُهُمْ ﴾ المشعرة بالتجدد والحدوث للدلالة على تجدد هذا الوعد لهم بتأكيد سعي النور وتجده حلاً فحلاً<sup>(٤)</sup> .

(١) علم البيان وثرء المعاني في القرآن الكريم / د. يوسف عبد الله الأنصاري / الطبعة ١ /

١٤١٨ هـ - دار الأنصاري ، مكة المكرمة / ص ١٥ .

(٢) الحديد / ١٢ .

(٣) الآيات هي : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ

الْفَتْحِ وَقَتْلٌ ﴾ ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ ﴿ يُقْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ الحديد / ١٠ / ١١ .

(٤) علم البيان وثرء المعاني في القرآن الكريم / ١٤ .

ومما سبق يمكن القول إجمالاً إن مطالب المؤمنين الأخروية قد دارت حول أمرين أساسيين هما :

- ١ - الجنة وكل ما يقرب إليها من قول أو فعل أو عمل .
- ٢ - النار وكل ما يصرف عنها من قول أو فعل أو عمل .

### مطالب أهل الكفر

تبين لنا فيما سبق مطالب المؤمنين الدنيوية والأخروية ، وسنعرض لمطالب الكافرين ، وهي تختلف عن سابقتها في كون دعاء الكافرين - الدنيوي خاصة - قد فقد القيد الذي ذكرناه في تعريف الدعاء ، وهو أن يصدر عن العبد على وجه التذلل والخضوع لله عز وجل حيث أن قولهم : ﴿ رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾<sup>(١)</sup> وقولهم كذلك : ﴿ اَللّٰهُمَّ اِن كَان هٰذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَاَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ اَوْ اَنْتِنَا بِعَذَابٍ اَلِيْمٍ ﴾<sup>(٢)</sup> قد خلا من التذلل والانكسار ، بل علت فيه نبرة السخرية والتحدي .

لهذا فإننا سنقتصر على دراسة دعائهم الأخروي والذي دار حول مقصدين هما :

(١) ص / ١٦ .

(٢) الأنفال / ٣٢ .

## ١ - طلب الخروج من النار والرجوع للدنيا :

عرض القرآن لأحوال الكفار يوم القيامة ، وهم منكسوا رؤوسهم عند ربهم خوفاً وخزياً حين عرفوا حقيقة مصيرهم وجزاء عملهم لذلك قالوا : ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .

أي « أبصرنا ما كنا نكذب به وسمعنا منك ومن ملائكتك ومن أصوات النيران وغير ذلك ما كنا نستبعده فصرنا في غاية العلم بتمام قدرتك وصدق وعودك »<sup>(٢)</sup> . فما أبصروه وما سمعوه جعلهم يطلبون الرجوع للدنيا رغبةً في العمل الصالح ، ولكن لا أمل في رجوعهم ، بل يُلقون في النار ، حينها يتعالى صراخهم ألماً مما هم فيه فيدعون ربهم قائلين : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> و ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾<sup>(٤)</sup> وقولهم : ﴿ رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾<sup>(٥)</sup> .

فرغم يقينهم بأن ما طلبوه مستحيل ، وأن ما هم فيه أبدي لا ينفك عنهم تحقيقاً لوعده الله لهم بذلك في قوله : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ

(١) السجدة / ١٢ .

(٢) نظم الدرر / ٦ / ٥٥ .

(٣) المؤمنون / ١٠٧ .

(٤) فاطر / ٣٧ .

(٥) غافر / ١١ .

وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿١﴾ فهم مع هذا يطلبون الخروج ، ويتمنون أن يجدوا خلاصاً من عذابهم ونلمح في دعائهم بأسلوب الاستفهام « هل » المراد به التمني والاستعطاف رغبة قوية منهم في إبراز غير الممكن في صورة الممكن ففي طلبهم الخروج بأسلوب الاستفهام ( فهل إلى خروج من سبيل ) دون أخرجنا كما سبق ملمح بلاغي حاولت الوقوف عليه بالرجوع إلى كتب التفسير وغيرها فلم أظفر بشيء حتى فتح الله عليّ بأن الاستفهام هنا قد تقدمه قولهم ﴿ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا ﴾ . فهم اعتقدوا أن اعترافهم بذنوبهم يكون فيه مندوحة لهم في إيجاد خلاصٍ أو سبيلٍ ولو واحدٍ للخروج من النار لا سبلاً متعددة . ومع مواصلة البحث مكنتني الله من العثور على ما يقوي كلامي ويؤيده ، وهو قولٌ للعلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في معرض تفسيره للآية حيث قال : « وجعلوا هذا الاعتراف ضرباً من التوبة توهماً منهم أن التوبة تنفع يومئذ فلذلك فرعوا عليه ﴿ فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ ... قال في الكشاف « وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط »<sup>(٢)</sup> يريد أنّ في اقتناعهم بخروج مّا دلالة على أنهم يستبعدون حصول الخروج »<sup>(٣)</sup> .

## ٢ - طلب مضاعفة العذاب للمضلين :

عندما يعجز المعذبون عن الخروج من النار ، يزداد حقدهم وغيظهم على من أضلهم من السادة والكبراء . فلا يملكون سوى الدعاء عليهم بقولهم :

(١) التوبة / ٨٦ .

(٢) الكشاف / ٤ / ١٥١ .

(٣) التحرير والتنوير / ٢٤ / ٩٩ .

﴿ رَبَّنَا آتِنَاهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾<sup>(١)</sup> . وقولهم  
في موضع آخر: ﴿ رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴾<sup>(٢)</sup> .  
وقولهم كذلك: ﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِنَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ  
النَّارِ ﴾<sup>(٣)</sup> . وتأمل الآيات السابقة نجدها متفقة في معناها العام وهو طلب  
مضاعفة العذاب لمن كان سبباً في إضلال هؤلاء الداعين . ولكن ما السر في  
تثنية (ضعفين) وإفراد (ضعفاً)؟ وبالرجوع لما كتبه علماء المتشابه  
- كالكرماني<sup>(٤)</sup> والإسكافي<sup>(٥)</sup> - الذين قدموا جهوداً مشكورة في بيان مثل  
هذه الأسرار واللمحات الدقيقة بين الصيغ ، لم أجد ضالتي . وبعد إنعام  
النظر في الآيات الثلاث وسياقاتها . يمكن القول - والله أعلم - أن في  
تنصيب القرآن على ذكر السادة والكبراء في سورة الأحزاب يكمن السر ،  
حيث نجده يتلائم مع قوله: ﴿ ضِعْفَيْنِ ﴾ للإشارة أن لكل صنف من هذين  
الصنفين ضعف من العذاب . لكون كل واحد منهما كان له أثر بارز في  
الإغواء والإضلال .

(١) الأحزاب / ٦٨ .

(٢) ص / ٦١ .

(٣) الأعراف / ٣٨ .

(٤) محمود بن حمزة بن نصر ، أبو القاسم برهان الدين الكرماني ، ويعرف بتاج القراء : عالم  
بالقرآآت وتوفي نحو ٥٠٥ هـ . ومن كتبه : لباب التفاسير ، العجائب والغرائب .

انظر ترجمته في : الأعلام ٧ / ١٦٨ .

(٥) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي ، عالم بالأدب واللغة من أهل أصبهان توفي  
سنة ٤٢٠ هـ . من كتبه : مبادئ اللغة ، درة التنزيل وغرة التأويل في الآيات المتشابهة .

انظر ترجمته في : الأعلام ٦ / ٢٢٧ .

و حين نتأمل الآية في سورة ( ص ) نجد الفعل ( زده ) قد وقع موقعه في إظهار شدة الحقد على هؤلاء المضلين ، وذلك بطلب زيادة العذاب المضاعف لهم . والتعبير بالجار والمجرور ( في النار ) قوَّى المعنى حيث جعل العذاب يحيط بهم في النار من كل جانب كإحاطة الظرف بالمظروفين . وهذه الآية تختلف عما في الأعراف لأن السياق فيها للطاغين أما في الأعراف فهو لمطلق الكافرين<sup>(١)</sup> . ذلك أن الطغاة أشد بطشاً من الكفار .

ومما سبق يمكن الخلوص إلى أمور هي :

- ١ - تنوعت مقاصد الداعين من مؤمنين وكفار زماناً ومكاناً .
- ٢ - الدعاء الدنيوي أكثر من الدعاء الأخروي ، لأن الدنيا دار عمل فالمؤمنون في حاجة إلى عون ربهم للظفر بالأعمال الصالحة التي تدخلهم الجنة فيلجأون إليه بالدعاء .
- ٣ - دعاء المؤمنين أكثر من دعاء الكافرين ، لأن المؤمنين موقنون بكرم ربهم فهم يدعونه خوفاً وطمعاً في السراء والضراء على خلاف الكافرين ، فالعند قد أعماهم فاعتقدوا أنهم في غنى عن عون الله ، ونراهم لا يلجأون إليه إلا في الشدة والكرب قال تعالى : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا إِلَهُ مَخْلُصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله : ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

٤ - خروج دعاء الكافرين الدنيوي من الدراسة لخلوه من التذلل والخضوع .

(١) راجع نظم الدرر ٦ / ٣٩٨ .

(٢) لقمان / ٣٢ .

(٣) الروم / ٣٣ .

# الباب الثاني

التحليل البلاغي لأيات الدعاء



# الفصل الأول

## دراسة تركيب الجملة

ويضم ستة مباحث :

- ١ - المبحث الأول : التقديم وأساراه .
- ٢ - المبحث الثاني : أسلوب التوكيد ودلالاته البلاغية .
- ٣ - المبحث الثالث : التعريف والتنكير .
- ٤ - المبحث الرابع : المشتقات وصيغ الأفعال ومعانيها البلاغية .
- ٥ - المبحث الخامس : دلالات إنما والنفي والاستثناء .
- ٦ - المبحث السادس : أسرار الإفراد والجمع في آيات الدعاء .

## المبحث الأول

### التقديم وأساره

يعد التقديم من أهم المباحث البلاغية لكثرة استعماله وتنوع تصرفاته في الأساليب البليغة ، ويُعنى الدارس للتقديم بإبراز أغراض التقديم ودواعيه البلاغية كتقديم المسند إليه والمسند وبعض متعلقات الفعل ، وتقديم بعض الجمل على بعض ، وبعض الفقر على بعض ، مبرزاً تلك اللطائف البلاغية والأسرار الأسلوبية في تراكيب الجمل العربية .

ومع ذلك لم يحظ التقديم بإهتمام العلماء حتى جاء إمام البلاغيين الشيخ عبد القاهر الجرجاني فعني به عناية فائقة وأبرزه للوجود ، وأثنى عليه بقوله : « هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتّر ذلك عن بديعه ، ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قدّم فيه شيء ، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان » (١) .

ذكر عبد القاهر ذلك في الشعر ، فما بالناس بما هو خير منه وأفصح ، وأكمل منه وأعجز ، إنه القرآن الكريم ، نرى فيه ألواناً مختلفة من الأوجه البلاغية المعجزة - والتقديم أحدها - حيث جاء في القرآن متنوعاً على النحو الآتي :

(١) دلائل الإعجاز / لعبد القاهر الجرجاني / تحقيق محمود محمد شاكر / مطبعة المدني بالقاهرة

ودار المدني بجدة / ط (٣) ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م / ١٠٦ .

(١) تقديم بعض المفردات على بعض .

(٢) تقديم بعض أجزاء الجملة الواحدة على بعض .

(٣) تقديم الجمل بعضها على بعض « وهذا سيفرد له مبحث خاص به عند دراسة تركيب الجمل » .

أمّا الأول والثاني فستتناولهما بالبحث والتحليل كالاتي :

### أولاً : تقديم بعض المفردات على بعض :

لا يكاد الباحث يجد في كتب علماء البلاغة المتأخرين حديثاً عن تقديم بعض المفردات على بعض ، مما يدل على عدم عنايتهم بهذا اللون من التقديم، وإنما عنوا بدراسة تقديم المسند إليه ودلالته على التخصيص والإهتمام في باب أحوال المسند إليه ، وعنوا بدراسة تقديم المسند وإفادته الحصر في باب أحوال المسند ، كما عنوا بدراسة تقديم بعض المعمولات على بعض في باب متعلقات الفعل ، ولم يعنوا بتقديم المفردات بعضها على بعض ، وإن كان لغيرهم من العلماء جهود مباركة مشكورة في هذا الصدد ، بينوا من خلالها أسرار البلاغية كالسهيلي في كتابه نتائج الفكر في النحو ، والزرکشي<sup>(١)</sup> في كتابه البرهان في علوم القرآن والسيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن .

---

(١) هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزرکشي بدر الدين أبو عبد الله ( ٧٤٥ هـ - ٧٩٤ هـ )

عالم بفقہ الشافعية والأصول ، تركي الأصل مصري المولد والوفاة . من مؤلفاته : الديباج

في توضیح المنهاج ، ولفظة العجلان في أصول الفقه ، والبرهان في علوم القرآن .

انظر ترجمته في : الأعلام ٦ / ٦٠ - ٦١ .

ولعل السهيلي<sup>(١)</sup> أول من حاول حصر أسباب التقديم بقوله : « ما تقدم من الكلام فتقديمه في اللسان على حسب تقديم المعاني في الجنان . والمعاني تتقدم بأحد خمسة أشياء : إمّا بالزمان ، وإمّا بالطبع ، وإمّا بالرتبة ، وإمّا بالسبب ، وإمّا بالفضل ... »<sup>(٢)</sup> .

ثم جاء بعده الزركشي وأوصلها إلى أكثر من عشرين سبباً<sup>(٣)</sup> .

ويلحظ الدارس أن ألفاظ الدعاء القرآني - كغيرها من ألفاظ القرآن - جاءت متناسقة تامة ، وفي ترتيبها على هذا الوجه أسرارها الدقيقة التي تحمل في ثناياها سر ذكر اللفظة مقدمةً على غيرها ، مما يثير في النفس تساؤلاً عن سر هذا التقديم ، وأثره في المعنى .

ومن الألفاظ التي تقدم بعضها على بعض في الدعاء القرآني ما يأتي :

## ١ - تقديم الدنيا على الآخرة :

وردت لفظة الدنيا مقدمة على لفظة الآخرة في الدعاء القرآني في ثلاثة مواضع في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي ، حافظ ، عالم باللغة والسير ، ضريير ، ولد سنة ٥٠٨ هـ بمدينة مالقة وتوفي بمراكش سنة ٥٨١ هـ ، من مؤلفاته : الروض الأنف ، ونتائج الفكر ، والتعريف ، والإعلام في ما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام . انظر ترجمته في : الأعلام ٣ / ٣١٣ .

(٢) نتائج الفكر / لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي ، تحقيق / د. محمد إبراهيم البنا / دار الرياض / ٢٦٧ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ٣ / ٢٣٨ - ٢٧٥ .

حَسَنَةٌ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ ﴿<sup>(١)</sup>﴾ وقوله : ﴿ وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا  
حَسَنَةٌ فِي الْآخِرَةِ ﴾ ﴿<sup>(٢)</sup>﴾ وقوله : ﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَِّّ فِي  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ ﴿<sup>(٣)</sup>﴾ .

لبيان أن الدنيا دار العمل والآخرة دار الجزاء ، والمؤمن متعلق بما يقدمه  
في دار العمل ، والحسنة فيها هي العافية في الدين والدنيا ، ولأن الإنسان حيٌ  
يعيش هذه الدنيا بمغرياتها وصوارفها فهو يدعو أن ينجيه من فتنها . أمّا  
الآية الثالثة فقد جاءت على لسان يوسف عليه السلام ، وتقديم الدنيا على  
الآخرة فيها لأن الدنيا هي المكان الأول للظهور للإنسان وفيه تتحقق ولاية  
الله له ، فالله تولى يوسف عليه السلام في الدنيا أي كان قريباً له في الباطن  
والظاهر<sup>(٤)</sup> ، وكذلك سيتولاه في الآخرة . ويمكن القول كذلك : إن  
التقديم هنا راجع إلى التقدم الزمني فالدنيا قبل الآخرة .

## ٢ - تقديم إسماعيل على إسحاق :

ورد ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في الدعاء القرآني على لسان  
إبراهيم عليه السلام في معرض شكره لله على أن أكرمه بالذرية الطيبة في  
قوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي  
لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ ﴿<sup>(٥)</sup>﴾ فقدّم ذكر إسماعيل على إسحاق وفي ذلك مراعاة  
للترتيب الزمني فقد ولد إسماعيل قبل إسحاق فقدم الأول في الوجود .

(١) البقرة / ٢٠١ .

(٢) الأعراف / ١٥٦ .

(٣) يوسف / ١٠١ .

(٤) انظر نظم الدرر / ٤ / ١٠٠ .

(٥) إبراهيم / ٣٩ .

ويؤكد ما ذكرناه قوله : على الكبر ، ومعناه بعد اليأس من أن يولد له ومثل هذه الحالة ترجح أنه يذكر أول من جاء على حالة اليأس هذه وهو إسماعيل عليه السلام ، مع ملاحظة أن إسماعيل جاء من أم لم تبلغ حد اليأس ومن أب بلغ حد الكبر ، وإسحاق جاء من أم عجوز كما قالت : أألد وأنا عجوز . فكانت العجبية من إسحاق أكثر . ولولا الدلالة على الزمن لقدم إسحاق لأن العجبية فيه أخطر .

### ٣ - تقديم الآباء على الأزواج والذرية :

تقدم ذكر الآباء على الأزواج والذرية ، في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾<sup>(١)</sup> التقديم هنا روعي فيه الترتيب الزمني في الوجود فالآباء وجودهم متقدم على الأزواج والذرية ، وفيه احترام وتقدير لهؤلاء الآباء وتأدب معهم واعتراف بفضلهم .

### ٤ - تقديم الأزواج على الذرية :

في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ... ﴾<sup>(٢)</sup> .

تقدم ذكر الأزواج على الذرية تمشياً مع الترتيب الطبيعي ، فوجود الأزواج سابق على وجود الذرية . وقيل : إنَّ في ذلك إشارة إلى الارتباط الوثيق بين الزوجة الصالحة والولد الصالح ، فالزوجة الصالحة غالباً ما يكون ولدها صالحاً لحسن تربيتها له<sup>(٣)</sup> .

(١) غافر / ٨ .

(٢) الفرقان / ٦٥ .

(٣) راجع دلالات التراكيب / ٣٧٥ .

## ٥ - تقديم الأمن على الرزق :

الأمن والرزق مطلبان ضروريان لقيام المجتمعات وتكوين الحضارات ، وقد طلبهما إبراهيم عليه السلام من ربه لمكة في قوله : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾<sup>(١)</sup> لكنه قدّم طلب الأمن على طلب الرزق ، وهذا من باب تقديم السبب على المسبب وذلك أنه « إذا كان البلد ذا أمن ، أمكن وفود التجار إليه لطلب الربح »<sup>(٢)</sup> فالأمن إذاً سببٌ في حصول الرزق لذا قدّم ، وجاء اللفظ بعده موافقاً له في المعنى حيث جعل الرزق من الثمار بدلاً من الحبوب « لما في تعاطيها من الذل المنافي للأمن »<sup>(٣)</sup>.

## ٦ - تقديم الزينة على الأموال :

تقدمت الزينة على الأموال في الدعاء القرآني على لسان موسى عليه السلام في معرض دعائه على فرعون وقومه في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ... ﴾<sup>(٤)</sup> ولعل هذا التقديم راجعٌ إلى معنى الزينة ، فإن كانت « ما يتزين به من لبس أو حلي أو فرش أو أثاث أو غير ذلك »<sup>(٥)</sup> فهي من الزينة الظاهرة التي غالباً ما تبهر بل قد تفتن أحياناً ،

(١) البقرة / ١٢٦ .

(٢) البحر المحيط ١ / ٦١٣ .

(٣) نظم الدرر ١ / ٢٤١ .

(٤) يونس / ٨٨ .

(٥) الكشاف ٢ / ٣٥١ .

كما فتنت زينة قارون بعض قومه حينما خرج عليهم فيها قال تعالى :  
﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا  
مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾<sup>(١)</sup> أما الأموال فهي من الأمور  
المستترة والتي غالباً ما يظهر أثرها لذلك قُدِّم ما هو ظاهر على ما هو مستتر .  
أما إذا أريد بالزينة الزينة البدنية ( كالقوة وطول القامة )<sup>(٢)</sup> .

فالتقديم هنا من باب تقديم السبب على المسبب ، ذلك أن هذه الزينة  
هي سبب في حصول المال .

#### ٧ - تقديم الجن على الإنس :

وردت في القرآن عدة آيات جمعت بين لفظي الإنس والجن<sup>(٣)</sup> وقد تتقدم  
إحدهما على الأخرى وذلك حسبما يقتضيه السياق، وقد تقدمت لفظة الجن  
على الإنس تسع مرات بينما تقدمت لفظة الإنس على الجن أربع مرات ،  
وفي الدعاء القرآني ورد ذكرهما مرة واحدة ، تقدمت فيها لفظة  
الجن على الإنس في قوله تعالى على لسان المعذبين في النار : ﴿ رَبَّنَا أَرِنَا  
الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ جَعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ  
الْأَسْفَلِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> وقد قُدِّم المعذبون لفظة الجن على الإنس لأنهم أكثر إغواءً

(١) القصص / ٧٩ .

(٢) مفردات الراغب مادة ( زين ) / ٢١٨ .

(٣) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن / وضع محمد فؤاد عبد الباقي / دار المعرفة بيروت /

ط ٢ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م / ٢٢٨ .

(٤) فصلت / ٢٩ .



وإضلالاً من الإنس حيث توعد بذلك إبليس اللعين في قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾<sup>(١)</sup> .

#### ٨ - تقديم السادة على الكبراء<sup>(٢)</sup> :

جاء تقديم السادة على الكبراء في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴾<sup>(٣)</sup> رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَّةُ لَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾<sup>(٤)</sup> . فتقديم السادة على الكبراء جاء لأنهم يملكون « قوة البطش بهم لو لم يطيعوهم فكان ذلك أحق بالتقديم في مقام الاعتذار وطلب التشفّي »<sup>(٤)</sup> .

(١) الحجر / ١٥ .

(٢) السادة هم الملوك والولاة الذين يتولون تدبير السواد الأعظم منهم .

والكبراء هم الرؤساء الذين يأخذون عنهم فنون الشر . انظر روح المعاني في تفسير القرآن

العظيم والسبع المثاني / للألوسي / دار إحياء التراث العربي / ط ٤ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م /

٢٢ / ٩٣ .

(٣) الأحزاب / ٦٧ - ٦٨ .

(٤) روح المعاني ٢٢ / ٩٣ .

## ثانياً : تقديم بعض أجزاء الجملة على بعض :

« إذا كان من الجائز أن يتقدم بعض أجزاء الجملة على بعض ، فقد حرصت الجملة في القرآن على أن يكون هذا التقديم ، مشيراً إلى مغزى ، دالاً على هدف ، حتى تصبح الآية بتكوينها ، تابعة لمنهج نفسي ، يتقدم عندها فيها ما تجد النفس تقديمه أفضل من التأخير ، فيتقدم مثلاً بعض أجزاء الجملة حين يكون المحور الذي يدور حوله الحديث وحده ، فيكون هو المقصود والمعني ، والنفس يتقدم عندها من يكون هذا شأنه ، فلا جرم أن يتقدم في الجملة ، كما تقدم في النفس »<sup>(١)</sup> .

ومن تقديم بعض أجزاء الجملة على بعض في آيات الدعاء ما يأتي :

### ١ - تقديم المفعول به على الفعل :

تقديم المفعول به على فعله جاء في الدعاء القرآني مرتين في آية واحدة في قوله تعالى : ﴿ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فالفعالان ( نعبد - ونستعين ) قد تقدم مفعولهما وهو الضمير ( ك ) وللعلماء في سر هذا التقديم آراء مختلفة وتحليلات متنوعة فمنهم من يرجعه للقصر ومنهم من يرجعه للاهتمام والتخصيص وآخرون لا يرون فرقاً بين الاثنين . فالزخشري أرجع التقديم هنا لقصد الاختصاص وجعل المعنى نخصك بالعبادة ، ونخصك بطلب المعونة<sup>(٣)</sup> ،

(١) من بلاغة القرآن / أحمد أحمد بدوي / دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٧ م / ١١٢ .

(٢) الفاتحة / ٤ .

(٣) راجع الكشف ١ / ٢٢ - ٢٥ .

وقد اعترض عليه أبو حيان<sup>(١)</sup> بقوله : « التقديم عندنا إنما هو للاعتناء والاهتمام بالمفعول »<sup>(٢)</sup> . على حين أن أبا السعود البيضاوي<sup>(٣)</sup> وغيرهم<sup>(٤)</sup> قد أجمعوا على أنه لا خلاف بين القصر والاهتمام إذ أن التقديم يفيدهما معاً ، فالتقديم في الآية قد جاء للقصر أي نخصك بالعبادة وبطلب المعونة أنت لا غيرك ، وهذا قصر حقيقي تحقيقي من باب قصر الصفة على الموصوف وهو الله عز وجل . وهنالك من يرجع التقديم للناحية اللفظية وأنه لمشاكله رؤوس الآي ، والعلوي<sup>(٥)</sup> لا يرى منافاة بين أن يكون التقديم هنا راجعاً للأمرين معاً للاختصاص ولمراعاة رؤوس الآي<sup>(٦)</sup> .

(١) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي ، ولد سنة ٦٥٤ هـ وتوفي سنة ٧٤٥ هـ من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد في غرناطة وتوفي بالقاهرة ، من مصنفاته : البحر المحيط ، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب .

انظر ترجمته في : الأعلام ٧ / ١٥٢ .

(٢) البحر المحيط ١ / ٤٠ .

(٣) أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي ناصر الدين البيضاوي ، وقيل أبو سعيد ، أو أبو الخير المتوفى سنة ٦٨٥ هـ قاض ، ومفسر ، وعلامة ، توفي في تبريز ، من مصنفاته : منهاج الوصول إلى عالم الأصول ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير .

انظر ترجمته في : الأعلام ٤ / ١١٠ .

(٤) راجع تفسير أبي السعود ١ / ١٦ ، وتفسير البيضاوي بهامش حاشية الشهاب ١ / ١١ .

(٥) يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحصيني العلوي الطالبي ، من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم في اليمن ، ولد في صنعاء سنة ٦٦٩ هـ وتوفي في حصن هيران سنة ٧٤٥ هـ . وله مصنفات كثيرة منها : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم وحقائق الإعجاز ، والانتصار في الفقه .

انظر ترجمته في : الأعلام ٨ / ١٤٣ - ١٤٤ .

(٦) الطراز للعلوي / دار الكتب العلمية بيروت / ط ١ ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م /

٢٣٤ - ٢٣٥ .

ويمكن القول : إن التقديم هنا جاء لإبراز حقيقة واحدة ، وهي أن الله سبحانه وتعالى هو الأساس الذي يتعلق به قلب المؤمن ، فيظهر في كلامه ما يدل على هذا التعلق وهذا الاهتمام ، وما يعتره من يقين تام بحقوق الله عليه التي يجب أن تصرف له وحده دون غيره .

## ٢ - تقديم أحد المفعولين على الآخر :

قد يقدم أحد المفعولين على الآخر وجاء هذا في الدعاء القرآني في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام في قوله : ﴿ وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾ هَرُونَ أَخِي <sup>(١)</sup> .

فقد تقدم ( وزيراً ) المفعول الثاني ( لاجعل ) على ( هارون ) المفعول الأول ، وذلك لعظم أمر الوزارة ولاهتمامه بها <sup>(٢)</sup> وعنايته بأمرها .

وفي قوله : اجعل لي نجد كلمة ( لي ) متعلقة بوزير ، والأصل وزيراً لي من أهلي وإنما قُدِّم لأن مدخول اللام وهو ضمير المتكلم هو الأهم لأنه هو المكلف بأمر الرسالة وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً ﴾ <sup>(٣)</sup> .

التقديم بين مفعولي اجعل ( لي وآية ) جاء لصحة العبارة فهو « يتعين تقديمه لأنه قبل دخول اجعل ، هو مصحح لجواز الابتداء بالنكرة » <sup>(٤)</sup>

(١) طه / ٢٩ - ٣٠ .

(٢) راجع ( الكشاف ٣ / ٦٠ ، البحر المحيط ٧ / ٣٢٨ ، تفسير البيضاوي وحاشية الشهاب ٦ / ١٩٩ ، تفسير أبي السعود ٦ / ١٣ ، التحرير والتنوير ١٦ / ٢١٣ ) .

(٣) آل عمران / ٤١ - مريم / ١٠ .

(٤) البحر المحيط ٣ / ١٣٩ ، راجع تفسير أبي السعود ٣ / ٤٣ ، ٥ / ٢٥٨ .

وفيه أيضاً نوع من إثارة شوق السامع لمعرفة ما سيطلبه زكريا من ربه بعد تلك البشارة العظيمة ، وتقديم ( لي ) لأن الحديث عنه والبشارة له والآية له فهو معقد الكلام .

ثم نرى الله سبحانه وتعالى يجيبه على طلبه مباشرة في قوله : ﴿ قَالَ ءَأَيُّكَ إِلَّا تَكَلَّمِ النَّاسَ ... ﴾<sup>(١)</sup> ليطمئنه ونجد فيها كذلك عدم اكتراث من قبل زكريا بغيره أصدق أم لا .

ومثل هذا التقديم نجده في الآيتين الآتيتين من قوله تعالى : ﴿ وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله : ﴿ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَصِيرًا ﴾<sup>(٣)</sup> ، فقد قُدِّمَ المجروران على المفعول ( ولياً ) و ( سلطاناً ) و ( نصيراً ) وذلك « لإظهار الاعتناء بهما وإبراز الرغبة في المؤخر بتقديم أحواله فإن تأخير ما حقه التقديم عما هو من أحواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع إلى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة »<sup>(٤)</sup> .

### ٣ - تقديم المتعلق ( الجار والمجرور ) على الفعل :

هذا النوع من التقديم لم يكن من الكثرة . يمكن في آيات الدعاء حيث ورد في أربع آيات فقط وهي قوله تعالى : ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾<sup>(٥)</sup>

(١) آل عمران / ٤١ .

(٢) النساء / ٧٥ .

(٣) الإسراء / ٨٠ .

(٤) تفسير أبي السعود ٣ / ٢٠٢ .

(٥) الأعراف / ٨٩ ، يوسف / ٨٥ .

وقوله : ﴿ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾<sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا ﴾<sup>(٢)</sup> .  
وكان في تلك الآيات بنفس حرف الجر ( على ) وبنفس الفعل ( توكلنا )  
مع اختلاف بسيط بين هذه الآيات في كون حرف الجر مرةً بعده اسم  
ظاهر ( الله ) ومرةً بعد ( ضميره ) وهذا التقديم جاء للقصر ، حيث في  
الآيات كلها كان الهدف منه قصر صفة التوكل على الله ، وأنهم يتوكلون  
عليه وحده دون غيره ، وهو قصر حقيقي تحقيقي من قصر الصفة على  
الموصوف .

وفيه أيضاً : « إفادة الاختصاص وتحقيقاً لمعنى التوحيد ونبذ غير الله ،  
ولما في قوله : ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ من التفويض إليه في كفايتهم أمر  
أعدائهم »<sup>(٣)</sup> . أما اختلاف الجورور فيعود لاختلاف الدعاء ففي الآيتين  
الأولتين صدر عن المؤمنين بموسى عليه السلام وبشعيب وهم يدعون ربهم  
بالنجاة من قومهم وأن يخلصهم مما هم فيه ، أمّا في الآية الثالثة فهي جاءت  
كتعليم للرسول ﷺ لكيفية الدعاء ، أما الآية الرابعة فهي على لسان إبراهيم  
عليه السلام ومن آمن معه . وقد جاء بعدها قولهم : ﴿ وَإِلَيْكَ أَنبْنَا ﴾<sup>(٤)</sup>  
وفيها قصر الإنابة إلى الله وهي « الرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل »<sup>(٥)</sup>  
فهم قد قصروا توكلهم وتوبتهم ورجوعهم إلى - الله عز وجل - عليه وحده

(١) التوبة / ١٢٩ .

(٢) המתحنة / ٤ .

(٣) التحرير والتنوير / ٨ / ١١ .

(٤) המתحنة / ٤ .

(٥) مفردات الراغب مادة ( نوب ) / ٥٠٨ .

وهذا القصر قصر حقيقي تحقيقي من قصر الصفة على الموصوف . فتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في الآيات السابقة جاء بقصد القصر فهذا هو غرضه الأساسي ، الذي نلمح فور قراءتنا للآيات تحقق معناه ، وجماله الذي أكسبه للآية ، ذلك الجمال الذي يظهر في شدة إيمان هؤلاء الرجال وشدة تعلقهم بخالقهم الذي انساب على أفواههم بتقديم اسمه ، وضميره . والتوكل والإنابة أمران مهمان بالنسبة للمؤمنين دعا إليهما الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم في قوله : « لو أنكم توكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خصاصاً وتعود بطناناً »<sup>(١)</sup> .

#### ٤ - تقديم الجار والمجرور أو الظرف على المفعول به :

من الكثير جداً أن يتقدم الجار والمجرور أو الظرف على المفعول به ، وهو طبعاً لغاية يفرضها السياق ، من ذلك ما نجد على لسان موسى عليه السلام في قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿<sup>(٢)</sup> وقد جاء في الانتصاف أن الفائدة من ذكر ( لي ) الجار والمجرور مقدماً على المفعول به للدلالة « على أن منفعة شرح الصدر راجعة إليه فإنه تعالى لا يبالي بوجوده وعدمه ، وقس عليه يسر لي أمري »<sup>(٣)</sup> ونجد أيضاً أبا السعود<sup>(٤)</sup>

(١) الترمذي ٥٧٣ / ٤ .

(٢) طه / ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) حاشية الشهاب ١٩٨ / ٦ .

(٤) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي المعروف بأبي السعود ولد سنة ٨٩٨ هـ وتوفي سنة ٩٨٢ هـ ، فقيه أصولي ومفسر من علماء الترك المستعربين كان عارفاً باللغات والفارسية ولد بقرب القسطنطينية ثم تقلد فيما بعد القضاء فيها وبها مات .

انظر ترجمته في : الأعلام ٥٩ / ٧ .

يرجع هذا التقديم إلى العناية والاهتمام بالمقدم واختصاصه به . أما التقديم عند ابن عاشور فنظر إليه من زاوية أخرى وهي الإجمال ثم التفصيل وهذا نظر آخر حيث قال : « فليحصل الإجمال ثم التفصيل فيفيد مفاد التأكيد من أجل تكرير الإسناد »<sup>(١)</sup> .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾<sup>(٢)</sup> فقد تقدم ( من لذنك ) على المفعول به ( رحمة ) للاهتمام بالمقدم ، فهم في ذلك الكهف بحاجة إلى رحمة خاصة تفيض عليهم من الله « وذلك أبلغ مما لو قالوا : آتنا رحمة ، لأن الخلق كلهم بمحل الرحمة من الله ، ولكنهم سألوا رحمة خاصة وافرة »<sup>(٣)</sup> ، ومثل ذلك الآيات ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾<sup>(٤)</sup> و ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾<sup>(٥)</sup> و ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾<sup>(٦)</sup> حيث تقدم ( لي ) على ( من لذنك ) « لأنه الأهم في غرض الداعي وهو غرض خاص يقدم على الغرض العام »<sup>(٧)</sup> . ونجد أيضاً صورة هذا التقديم على لسان آسيا ﴿ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾<sup>(٨)</sup> وعلى

(١) التحرير والتنوير ١٦ / ٢١١ .

(٢) الكهف / ١٠ .

(٣) التحرير والتنوير ١٥ / ٢٦٦ .

(٤) آل عمران / ٨ .

(٥) آل عمران / ٣٨ .

(٦) مريم / ٥ .

(٧) التحرير والتنوير ١٦ / ٦٧ .

(٨) التحريم / ١١ .



لسان فتية الكهف : ﴿ وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾<sup>(١)</sup> وعلى لسان والدة

مريم عليها السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي ﴾<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup> .

ففي الآيات السابقة جاء التقديم للعناية والاهتمام بالمقدم .

---

(١) الكهف / ١٠ .

(٢) آل عمران / ٣٥ .

(٣) راجع تفسير أبي السعود ٢ / ٢٧ ، وفتح القدير ١ / ٣٣٤ .

## البحث الثاني

### أسلوب التوكيد ودلالاته البلاغية

التوكيد لون من ألوان التعبير يكثر في الكلام البليغ ، وهو « تمكين الشيء في نفسه ، وتقوية أثره ، وفائدته : إزالة الشكوك ، وإمطة الشبهات عما أنت بصدده ، وهو دقيق المآخذ ، كثير الفوائد ... »<sup>(١)</sup> ويكون تبعاً لحال المخاطب في الغالب ، إما بناءً على مقتضى الظاهر - وهو ما يعرف بأضرب الخبر الثلاثة<sup>(٢)</sup> - وإما على خلاف الظاهر من حال المخاطب وهو ما يعرف بالأحوال التنزيلية .

والمؤكدات في الجملة تتفاوت في كثرتها تبعاً لتفاوت درجة الإنكار ، فكلما ازداد إنكار المخاطب ازدادت المؤكدات ، على نحو ما جاء في قوله تعالى في شأن أصحاب القرية : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٢﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ

(١) الطراز / للعلوي / ٢٨٧ .

(٢) أضرب الخبر الثلاثة هي : الضرب الابتدائي وهو الذي يلقي إلى خالي الذهن ويخلو من المؤكدات ، والضرب الطلبي وهو الذي يلقي إلى المتردد في الخبر ويؤكد بمؤكد واحد . والضرب الثالث الإنكاري وهو الذي يلقي إلى المنكر ويؤكد بأكثر من مؤكد . انظر ( التبيان في علم المعاني والبدیع والبيان ) للطبيي / تحقيق د. هادي عطية الهلالي / عالم اللكتب / ط ١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م / ٥١ . الإيضاح للخطيب القزويني / شرح عبد المنعم خفاجي ( ١ / ٧١ - ٧٢ - ٧٣ ) ، خصائص التراكيب للدكتور محمد محمد أبو موسى / مكتبة وهبة / ط ٣ / ٤٨ .

الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ (١) . فالآيات السابقة تعلو فيها نبرة التأكيد كلما علت نبرة الإنكار ، فهما في تصاعد متناسق يأخذ بالألباب (٢) .

وفي دراستنا للتوكيد في آيات الدعاء لن ننظر إلى تلك الأضرب ولا إلى مقاماتها التنزيلية لأمر بسيط جداً وهو أنّ المخاطب في الدعاء هو الله عز وجل ، فمن غير الممكن النظر إليه من باب كونه جاهلاً ، أو متردداً ، أو منكراً - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

غير أن هناك ضروباً من التوكيد لا ينظر فيها المتكلم إلى حال المخاطب أمامه بل إلى حال نفسه هو . وهذا مقام عالٍ في أحوال الخطاب أهمله المتأخرون ، وركزوا جهودهم في بيان ما جاء التوكيد فيه مراعاةً لحال المخاطب ، مطبقين الأضرب الثلاثة ومقاماتها التنزيلية ، في حين أن للمتقدمين إشارات إلى ذلك المستوى الأعلى للخطاب المراعى فيه حال المتكلم لا حال المخاطب ، وعلى رأس هؤلاء وأولهم الشيخ عبد القاهر (٣) أثناء حديثه عن ( إن ) حيث قال : « واعلم أنها قد تدخل للدلالة على أنّ الظن قد كان منك أيها المتكلم في الذي كان أنّه لا يكون ، وذلك قولك

(١) يس / ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ .

(٢) انظر خصائص التراكيب / ٤٨ - ٤٩ .

(٣) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني : واضع أصول البلاغة ، كان من أئمة اللغة ، من أهل جرجان ، له شعر رقيق توفي سنة ٤٧١ هـ ، من كتبه : أسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز ، وإعجاز القرآن .

انظر ترجمته في : الأعلام / ٤ / ٤٨ - ٤٩ .

للشيء هو بمراى من المخاطب ومسمع : ( أنه كان من الأمر ما ترى ،  
وكان مني إلى فلان إحسان ومعروف ، ثم إنه جعل جزائي ما رأيت ) ،  
فتجعلك كأنك ترد على نفسك ظنك الذي ظننت ، وتبين الخطأ الذي  
توهمت . وعلى ذلك - والله أعلم - قوله تعالى حكاية عن أم مريم رضي  
الله عنها : ﴿ قَالَتْ رَبِّ انِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾<sup>(١)</sup>  
وكذلك قوله عز وجل حكاية عن نوح عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي  
كَذِبُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> وليس الذي يعرض بسبب هذا الحرف من الدقائق والأمور  
الخفية ، بالشيء يدرك بالهويينا ... »<sup>(٣)</sup> . وقد استثمر هذا القول بعض علماء  
التفسير كالزمخشري<sup>(٤)</sup> في حديثه عن التأكيد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ  
إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> . واستند على هذا القول الطيبي<sup>(٦)</sup> في كشفه

(١) آل عمران / ٣٦ .

(٢) الشعراء / ١١٧ .

(٣) دلائل الإعجاز / ٣٢٧ .

(٤) جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري ، ولد سنة ٤٦٧ هـ  
وتوفي سنة ٥٣٨ هـ ، ولد في زمخشر وتوفي في الجرجانية ، من مصنفاته الكشاف وأساس  
البلاغة والمستقصى في الأمثال .

انظر ترجمته في : الأعلام ٧ / ١٧٨ .

(٥) البقرة / ١٤ .

(٦) الحسين بن محمد بن عبد الله ، شرف الدين الطيبي ، من علماء الحديث والتفسير والبيان  
من أهل توريث من عراق العجم كان متواضعاً ، ضعيف البصر توفي سنة ٧٤٣ هـ ، من  
كتبه : فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ، التبيان في المعاني والبيان ، والخلاصة في  
معرفة الحديث .

انظر ترجمته في : الأعلام ٢ / ٢٥٦ .

حيث يقول : « قوله - أي الزمخشري - ألا ترى حكاية الله قول المؤمنين : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أِتَّيْنَاكَ بِإِيمَانٍ ﴾ استئناف وحاصل التأويل أن معنى التوكيد الذي تعطيه إنَّ هاهنا ليس راجعاً إلى المخاطب في إزالة تردده أو نفي شكه بل إلى المتكلم في إظهار نشاطه ووفور ارتياحه إيذاناً بأن المقام خليق الإطناب وإبداء ارتياحه ونشاطه وإعلامه بأن السامع يتلقاه بالقبول ويصغي إليه »<sup>(١)</sup> .

وهكذا فالطبيبي يقرر أن التوكيد قد يكون لمراعاة حال المتكلم فالأمر لا ينصرف إلى حال المخاطب كلياً . وممن تنبه إلى هذا الأمر من المحدثين الدكتور أبو موسى فذكر أن هنالك ضروباً من التوكيد يُنظر فيها لحال المتكلم دون المخاطب حيث يقول : « هناك ضروب من التوكيد لا يُنظر فيها إلى حال المخاطب وإنما ينظر فيها المتكلم إلى حال نفسه ومدى انفعاله بهذه الحقائق ، وحرصه على إذاعتها وتقريرها في النفوس كما أحسها مقرررة أكيدة في نفسه »<sup>(٢)</sup> وقد عرض لنماذج رائعة جاءت مؤكدة تبعاً لحال المتكلم نفسه<sup>(٣)</sup> .

ونجد الأمر ذاته في آيات الدعاء التي جاء توكيدها مراعاةً لحال الداعين وكان هذا التوكيد لأغراضٍ منها :

(١) الكشف عن قناع الريب نقلاً عن كتاب ( من سمات التراكيب ) ، د/ عبد الستار زموط /

ط ١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ، مطبعة الحسين الإسلامية ، القاهرة .

(٢) خصائص التراكيب / ٥٧ .

(٣) انظر المرجع السابق / ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٣ - ٦٤ .

## (١) إظهار اليقين بمضمون الجملة :

وردت في الدعاء آيات كثيرة جاء التأكيد فيها لإظهار كمال يقين الداعي بمضمونها من ذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ <sup>(١)</sup> ﴾ <sup>(٢)</sup> فتأكيدها « لإظهار كمال اليقين بمضمونها والإيذان بشدة الخوف » <sup>(٣)</sup> . وقوله : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ <sup>(٤)</sup> ﴾ على لسان امرأة عمران ولسان إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل ، جاء مؤكداً كذلك ليقين امرأة عمران بمضمون الآية حيث إن الله سامعٌ لدعائها عالمٌ بحالها ، وكمال اليقين كذلك عند إبراهيم وابنه إسماعيل لعلمهما بأن الله يسمع دعاءهما ويعلم بحالهما <sup>(٥)</sup> . وفي الآيات التالية :

قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ <sup>(٦)</sup> ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِعَادَ <sup>(٧)</sup> ﴾ وقوله : ﴿ وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ <sup>(٨)</sup> ﴾ وقوله كذلك : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ <sup>(٩)</sup> ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ <sup>(١٠)</sup> ﴾

(١) هذه الجملة تعليل للدعاء ، وهي ذات صلة وثيقة بجملة الدعاء ﴿ سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ فهذه الجملة بعدها مؤكدة لطلب الوقاية من النار وأن النار عذاب وخزاية والحزني ضرب من العذاب .

(٢) آل عمران / ١٩٢ .

(٣) تفسير أبي السعود / ٣ - ١٣١ .

(٤) البقرة / ١٢٧ - آل عمران / ٣٥ .

(٥) راجع أبا السعود / ٢ / ٢٧ - ١ / ١٦٠ - ١٦١ .

(٦) آل عمران / ٩ .

(٧) آل عمران / ١٩٤ .

(٨) هود / ٤٥ .

(٩) إبراهيم / ٣٩ .

(١٠) آل عمران / ٣٨ .

أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾ وقوله : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٢﴾ وقوله :  
﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ﴿٣﴾ وقوله : ﴿ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿٤﴾ وقوله :  
﴿ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿٥﴾ وقوله : ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٦﴾ . نجد  
أن الداعي وإن تنوع ، فهو في الآيات السابقة يقرر حقائق معينة تمكنت في  
قلبه ، ووثق بها ، فهو يثبت لله القدرة على الجمع يوم القيامة وأن ذلك ميعاد  
محدود لا يخلفه سبحانه فوعده صادق ، يحكم فيه بين الخلائق . ثم نرى  
الداعي يؤكد لله صفاتٍ استشعر انفراده بها جل وعلا .

ولتمكن هذه الحقائق داخله فهو يؤكدها تحقيقاً لما يحسه من قوتها في  
نفسه ، فالله عزيز حكيم ، تواب رحيم ، غفور رؤوف ، يسمع دعاء من  
دعاه ، بيده القدرة التامة المطلقة ، إذا أراد شيئاً فإنه يقول له : كن فيكون .

## (٢) الاهتمام بالمؤكد :

جاء التوكيد للاهتمام بالمؤكد في الدعاء القرآني على لسان نوح عليه  
السلام في قوله : ﴿ إِنَّ أَبْنِيَّ مِنْ أَهْلِي .. ﴾ ﴿٧﴾ باعتبار أنه يمثل أمراً مهماً له  
« فقوله : ﴿ إِنَّ أَبْنِيَّ مِنْ أَهْلِي ﴾ خبر مستعمل في الاعتذار ، والتمهيد لأنه

(١) البقرة / ١٢٨ .

(٢) البقرة / ١٢٩ - الممتحنة / ٥ .

(٣) آل عمران / ٨ - ص / ٣٥ .

(٤) الحشر / ١٠ .

(٥) إبراهيم / ٣٦ .

(٦) التحريم / ٨ .

(٧) هود / ٤٥ .

يريد أن يسأل سؤالاً لا يدري قبوله ولكنه اقتحمه لأن المسؤول له من أهله  
فله عذر الشفقة عليه . وتأكيده الخبر بـ ( إن ) للاهتمام به «<sup>(١)</sup> .

### (٣) طلب النصرة والعون من الله إظهاراً للضعف وشدة الحاجة :

من ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ... ﴾<sup>(٢)</sup>  
« فتأكيده الخبر بـ ( إن ) للاهتمام بما استعمل فيه من التحسر والاستنصار »<sup>(٣)</sup>  
وفي قوله تعالى : ﴿ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

جاءت الجملة الاسمية مؤكدة لإثبات جرمهم . فلا طاقة لموسى بهم ،  
لذا طلب العون من ربه . ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا  
يُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> وقوله : ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴾<sup>(٦)</sup> فالتوكيد بياناً والجملة  
الاسمية دالٌّ على شدة الحاجة إلى النصر والعون من الله عز وجل .

ومن الآيات التي جاء التأكيد فيها إظهاراً للحاجة والضعف وطلباً للعون  
والمساعدة من الله ما جاء على لسان موسى عليه السلام في قوله تعالى :  
﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾<sup>(٧)</sup> . فهو يبيث شكواه إلى الله  
مظهراً ضعفه وفقره إلى خير ربه .

(١) التحرير والتنوير ١٢ / ٨٤ .

(٢) نوح / ٢١ .

(٣) التحرير والتنوير / ٢٩ - ٢٠٦ .

(٤) الدخان / ٢٢ .

(٥) الزخرف / ٨٨ .

(٦) القمر / ١٠ .

(٧) القصص / ٢٤ .



وفي قوله تعالى على لسان إبراهيم : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .  
نجد التأكيد في هذه الآية الكريمة دالاً على حرصه عليه السلام على ذريته ،  
ففي هذا التأكيد تظهر العاطفة الأبوية المتأججة شفقةً وحناناً بهذه الذرية  
الضعيفة التي صور ضعفها هذا بقوله : ﴿ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ  
ذِي زَرْعٍ ... ﴾ فهذا المكان قد خلا من أدنى مقومات الحياة ، فالهلاك  
محتمل ، وحاجتهم إلى عون الله ورحمته أمر مؤكد ، لهذا جاء هذا الدعاء  
مؤكداً للدلالة على شدة الضعف والحاجة .

ومن الآيات التي جاء فيها التأكيد لإظهار الحاجة والعون قوله تعالى :  
﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> فهؤلاء في حاجة إلى عون الله  
ورحمته لإزالة ما حلَّ بهم من العذاب بسبب إيمانهم الذي جاؤوا به مؤكداً  
﴿ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ رغبةً وطمعاً في الإجابة .

#### (٤) الاعتذار والندم والرجوع إلى الإسلام :

قال تعالى : ﴿ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> . غير خاف  
أننا نلمح من خلال تأكيد الداعي للتوبة والإسلام اعتذاراً وندماً عما بدر  
منه، وعزماً صادقاً على العمل الصالح .

(١) إبراهيم / ٣٨ .

(٢) الدخان / ١٢ .

(٣) الأحقاف / ١٥ .

ومثله قوله تعالى : ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾<sup>(١)</sup> فالداعون في هذه الآية الكريمة نراهم يعتذرون عن فعلتهم ويعلنونها توبة خالصة لله . معلنين كذلك رجوعهم إلى الله بكل عزيمة وتصميم مؤكدين هذه العودة وهذا الرجوع ومصرحين بنسبته إليهم .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾<sup>(٢)</sup> . فنوح عليه السلام يعتذر عن سؤال الله عن ابنه ، لذا طلب المغفرة من ربه مبيناً أن الله إذا لم يرحمه فمن ذا الذي يرحمه ويغفر له بقوله : ﴿ وَاللَّا تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

ونجد في قوله تعالى على لساني آدم وحواء : ﴿ وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> أنهما قد « أكدا جملة جواب الشرط بلام القسم ونون التوكيد إظهاراً لتحقيق الخسران استرحاماً واستغفاراً من الله تعالى »<sup>(٥)</sup> .

ومن ذلك أيضاً ما جاء على لسان يونس عليه السلام : ﴿ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاسْبِحْهُ ﴾<sup>(٦)</sup> . فقد نزه الله وسبَّحه ناسباً للظلم إلى نفسه مؤكداً إيَّاه لإظهار التوبة والاعتذار عما قام به في حق قومه .

(١) الأعراف / ١٥٦ .

(٢) هود / ٤٧ .

(٣) هود / ٤٧ .

(٤) الأعراف / ٢٣ .

(٥) التحرير والتنوير ٨ / ٦٧ .

(٦) الأنبياء / ٨٧ .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾<sup>(١)</sup> نجد الجملة الاسمية مؤكدة لتظهر مدى « ثباتهم على الإيقان وكمال رغبتهم فيه ، وكل ذلك للجد في الاستدعاء طمعاً في الإجابة إلى ما سألوه من الرجعة وأتى لهم ذلك »<sup>(٢)</sup>.

#### (٥) إظهار اليقين لما سيحصل :

قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾<sup>(٣)</sup> فقوله ﴿ أَخَافُ ﴾ جاء محققاً بحرف التأكيد « لأنه أيقن بحصول ذلك »<sup>(٤)</sup> لأنه جبلي عند تلقي التكذيب ، ولأن أمانة الرسالة ، والحرص على تنفيذ مراد الله يحدث ذلك في نفسه لا محالة »<sup>(٥)</sup>.

#### (٦) إظهار حقيقة منشأ الإيمان في نفوس الداعين :

قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا .. ﴾<sup>(٦)</sup> فتأكيد الجملة جاء « لإظهار أن إيمانهم ناشيء عن وفور الرغبة وكمال النشاط »<sup>(٧)</sup>.

(١) السجدة / ١٢ .

(٢) تفسير أبي السعود ٧ / ٨٢ .

(٣) الشعراء / ١٢ .

(٤) أي ذلك الخوف .

(٥) التحرير والتنوير ١٩ / ١٠٦ .

(٦) آل عمران / ١٦ .

(٧) تفسير أبي السعود ٢ / ١٦ .

مما سبق نجد أن التأكيد في الدعاء القرآني لا يعتد فيه بأضرب الخبر الثلاثة ولا بمقاماتها التنزيلية ، ذلك لأن الخطاب - الدعاء - موجه إلى الله عز وجل . وقد جاء التأكيد فيما سبق من الآيات لأغراض نفسية يبشها الداعي مؤكدة حسب قوتها في نفسه . وقد كثر التأكيد في الحقائق المتعلقة بالله عز وجل لأن الداعي يشعر بقوتها في نفسه فيُظهرها قوية مؤكدة كما أحسها .

ونلاحظ كذلك أن التوكيد يكثر بأداة التوكيد « إِنَّ » ولعل ذلك يرجع إلى شهرتها في هذا الباب ، أو لأنها أخف وأسرع وقعاً .

## البحث الثالث

### التعريف والتنكير

تعد دراسة التعريف والتنكير في الدرس البلاغي من أكثر المباحث البلاغية ثراءً وتنوعاً - ولعل هذا راجع إلى أمرين - الأول : تنوع صور التعريف ، فلكل واحدٍ من تلك الصور دلالاته ، وأثره في تلوين العبارة ، وإخراج المعنى على وجه يغاير الآخر . والأمر الثاني : إنّ دراسة التعريف والتنكير تناولت كل الأسماء الداخلة في تكوين الكلام فكل اسم إما أن يكون نكرة أو معرفة .

وقد أفاض فيه علماؤنا - دراسة وتطبيقاً - فطبّقوه على البيان العربي عامة ، والقرآن على وجه الخصوص<sup>(١)</sup> . حيث ورد فيه ، وفي آيات الدعاء - موضوع الدراسة - والمتأمل للتعريف والتنكير في آيات الدعاء يجد التعريف بشتى صورته قد حظي بالنصيب الأكبر ، لمجيئه في أكثر من ألف موضع ، ثم يليه التنكير الذي جاء في مائة موضع تقريباً . وهذه الدراسة لا يمكنها الإحاطة بتتبع كل ما جاء في الدعاء القرآني من صورهما . وإنما سنكتفي بعرض نماذج لهما محاولة التركيز على أدلّها في تحقيق ما أرادت بيانه مستمدة من الله العون والسداد .

---

(١) انظر / الإتقان في علوم القرآن للسيوطي / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / المكتبة العصرية بيروت / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م / ٢ / ٢٩١ ، والبرهان للزركشي ٤ / ٨٧ ، والطراز للعلوي / ٢٠٨ وما بعدها حيث اكتفى بدراسة المعرف بأل فقط ، والتبيان في علم المعاني والبدیع والبيان للطبيسي / ٥٧ - ٨٣ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ ، والإيضاح للقزويني ٢ / ٩ إلى ٣٩ ، ١٢٨ - ١٢٩ .

## أولاً : التعريف في آيات الدعاء :

تنوعت صور التعريف في الدعاء القرآني ، حيث ورد التعريف بالضمير ،  
والاسم الموصول ، واسم الإشارة ، وبالإضافة ، والعلمية ، والتعريف بأل .  
وتفاوتت في كثرتها وهي على النحو الآتي :

### ( ١ ) التعريف بالضمير<sup>(١)</sup> :

يمكن القول : إن أكثر صور التعريف وروداً في الدعاء هو  
التعريف بالضمير حيث ورد فيما يقارب خمسمائة موضع . كان في معظمها  
دالاً على الاختصار ، وفي بعض الأحيان يكون - خاصة الضمير المنفصل  
حين يقدم يفيد معنى القصر كما في قوله تعالى : ﴿ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ  
نَسْتَعِينُ ﴾ ﴿١﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٢﴾ أي ( نعبدك ونستعينك )  
حيث قصروا العبادة والاستعانة على الله عز وجل وذلك بتقديم ضمير  
الخطاب وفصله . ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ﴿٣﴾ . فقصر  
صفة ( الوهاب ) على الله فهو لا غيره بيده الهبة المحضة التي يتفضل بها على  
عباده الصالحين فيغمرهم بها ، وقد بالغوا في هذه الصفة باستعمال صيغة  
المبالغة ( فعَّال ) . وجاء القصر السابق عن طريق تعريف الطرفين  
وتوسيط الضمير المنفصل ( أنت ) . ومثله قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

(١) الضمير الظاهر فقط ، وقد ألف ابن الانباري مجلدين في بيان الضمائر الواقعة في القرآن /

ذكره السيوطي في الإتقان ٢ / ٢٨١ .

(٢) الفاتحة / ٥ - ٦ .

(٣) آل عمران / ٨ ، ص / ٣٥ .

الْعَلِيمُ ﴿١﴾ في قصرهم صفتي السمع والعلم على الله عز وجل ، فهو وحده السميع لدعائهما ، العليم بحالهما . مبالغين في ذكر هاتين الصفتين ( سميع - عليم ) وذلك بذكرهما على صيغة ( فعيل ) .

ومن الضمائر كذلك ضمير الغائب ( هو ) فقد ورد في قوله تعالى : ﴿ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿٢﴾ فذكره في الآية مرتين رغبةً في الاختصار بإعادة ضمير الغائب ( هو ) على الله ، فلا إله إلا الله وحده لا شريك له المتفرد بالألوهية رب العرش العظيم لا ربَّ له سواه ، فهو الحقيق بالتوكل عليه والإناابة له .

أكثر الضمائر وروداً ( ياء المتكلم ) و ( نا الدالة على الفاعلين ) فالداعي المنفرد نراه يخص نفسه بالدعاء طالباً من ربه استجابة دعائه ، وتحقيق رجائه ، وهذا كثير جداً . نحو قوله تعالى : ﴿ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ ﴿٣﴾ . وقوله : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا ﴾ ﴿٤﴾ . وقوله : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ ﴾ ﴿٥﴾ .

(١) آل عمران / ٣٥ ، البقرة / ١٢٧ .

(٢) التوبة / ١٢٩ .

(٣) الإسراء / ٨٠ .

(٤) ص / ٣٥ .

(٥) إبراهيم / ٤٠ .

و حين يذوب الداعي في جماعة الداعين نراه يؤثر التعبير بضمير المتكلمين نحو قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾<sup>(١)</sup> . وقوله : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . فالداعي منفرداً كان أو مع جماعة نراه يتجه إلى الله يدعو راجياً منه القبول . يكثر من ضمائر بعينها حسبما يقتضيه السياق وتتطلبه الحال . وهذه الضمائر لا تخرج عن كونها - غالباً - للمتكلم ، والمخاطب .

## ٢ - التعريف بالإضافة :

يلي التعريف بالضمير - في الكثرة - التعريف بالإضافة حيث ورد في مائتين وأربعين موضعاً تقريباً . وهناك ألفاظ في الدعاء القرآني كثرت الإضافة إليها من أشهرها :

١ - لفظة ( رب ) - وفي الإضافة إليها أسرار ودقائق :

### أولاً : إضافة رب للضمير :

في أكثر آيات الدعاء القرآني وردت إضافة رب للضمير ، إذ لا تكاد تخلو منه آية ، فقد جاء مضافاً إلى ضمير المتكلم ( الداعي المنفرد ) أو إلى ضمير جماعة المتكلمين ( الداعين ) .

(١) الفرقان / ٧٤ .

(٢) آل عمران / ٥٣ .



فمن الأول قوله تعالى : ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(١)</sup> .  
وقوله : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . وقوله كذلك : ﴿ رَبِّ لَا  
تَذَرْنَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾<sup>(٣)</sup> . فقولهم ( رب ) الأصل فيه ( يا  
ربي ) ولكن حذفت منه ياء النداء<sup>(٤)</sup> وياء المتكلم .

ومن الثاني قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا  
وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا  
تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾<sup>(٥)</sup> . وقوله : ﴿ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ  
جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾<sup>(٦)</sup> . فأضيف لفظ ( رب ) إلى ضمير  
جماعة المتكلمين ( ربنا ) . وفي الإضافتين السابقتين تكمن لطائف أسلوبية  
وأسرار بلاغية .

« إضافة ( رب ) إلى ضمير المتكلم المفرد فيها إشعاراً بالوحدة والانفراد  
في مناجاة الداعي لربه وطلبه منه ما يصلحه ، وإضافته إلى ضمير الجماعة فيها  
إشعاراً بأن الداعين يلهجون بألسنتهم ويتوجهون بقلوبهم إلى الله لتحقيق  
رغباتهم ، ولهذا فإن الداعي بهذا الدعاء وإن كان فرداً نجده يحرص على  
التعبير بضمير الجماعة ويدمج ذاته في ذواتهم ولا يفرد نفسه دونهم بل

(١) القصص / ٣٣ .

(٢) الصافات / ١٠٠ .

(٣) نوح / ٢٦ .

(٤) سيرد لاحقاً سر حذفها ( راجع المبحث الثالث من الفصل الثاني ) ص ٢٤٥ .

(٥) البقرة / ٢٨٦ .

(٦) الفرقان / ٦٥ .

يقول : ” ربنا “ لتنصهر ذواتهم جميعاً وتتوجه إلى رب واحد يحقق له ما يرجونه «<sup>(١)</sup> هذا ما علل به بعض الدارسين لبلاغة الدعاء في الحديث النبوي إضافة ( رب ) إلى ضمير المتكلم وإلى ناء الفاعلين ، إذ أنّ الدعاء قد ورد على لسان الرسول ﷺ فهو يُعَلِّم النَّاسَ الدَّعَاءَ ، وفيه يتحقق ما ذكره الباحث ، غير أنه لا يمكننا الجزم بأن الآيات التي وردت فيها ( رب ) مضافة إلى ضمير المتكلمين بأنها وردت على لسان متكلم واحد .

---

(١) ينظر بلاغة الدعاء في الحديث النبوي بتصرف / ١٢٩ .

ثانياً : إضافته للمعرف بأل :

جاءت إضافة ( رب ) للمعرف بأل في الدعاء القرآني مرتين ، حيث أضيف في الأولى إلى ( العرش العظيم ) في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾<sup>(١)</sup> والثانية إلى ( العالمين ) في قوله تعالى : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . وفي الإضافة إلى ( العرش العظيم ) تعظيم وتشريف لهذا العرش ، فهو خلق عجيب لا مثيل له ، وقد وصفه بالعظيم ، لأنه « المحيط بجميع الأجسام الحاوي لسائر الأجرام الذي ثبت بأية الكرسي وغيرها أن ربه أعظم منه لأن عظمته على الإطلاق فلا شيء إلا وهو في قبضته وداخل في دائرة مملكته »<sup>(٣)</sup> . فتخصيص العرش بالذكر لأنه من أعظم المخلوقات<sup>(٤)</sup> .

أمّا إضافته إلى ( العالمين ) ففيها دلالة على ( تمام قدرته ، وحُسن تديره )<sup>(٥)</sup> .

وأنه رب العالمين جميعاً ، تخضع له رقابهم ، فلا ربّ سواه يعبد ، ربوبيته شاملة عامة تعم السماوات والأرض ومن فيهن .

(١) التوبة / ١٢٩ .

(٢) يونس / ١٠ .

(٣) نظم الدرر ٣ / ٤١٠ .

(٤) راجع البحر المحيط ٥ / ٥٣ .

(٥) نظم الدرر ٣ / ٤٢١ .

٢ - لفظ ( خير ) وما أضيف إليه :

ورد لفظ ( خير ) في الدعاء القرآني ثمان مرات أضيف في سبع منها ، في قوله تعالى : ﴿ وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾<sup>(١)</sup> . وقوله : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . وقوله : ﴿ فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> .  
وقوله : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> وقوله :  
﴿ فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> . وقوله كذلك : ﴿ رَبِّ  
اعْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾<sup>(٧)</sup> .

ففي الآيات السابقة أضيف لفظ ( خير ) لإظهار الأفضلية والخيرية ، في الرحمة والرزق والإنزال والغفران والفتح - أي الحكم والفصل - فالله هو خير من يتفضل بتحقيق تلك المطالب لعباده بمنه وكرمه ، فالإضافة هنا فيها تعظيم لله عز وجل ذلك بأنه فاق كل من يمكن أن يتأتى منه شيء من تلك

(١) المائة / ١١٤ .

(٢) الأعراف / ٨٩ .

(٣) الأعراف / ١٥٥ .

(٤) المؤمنون / ٢٩ .

(٥) الأنبياء / ٨٩ .

(٦) المؤمنون / ١٠٩ .

(٧) المؤمنون / ١١٨ .

الأفعال . فهو خيرهم وأفضلهم ، لأنه عندما يقدم ذلك لعباده ، يقدمه بلا عوض ، ويعطيه بلا منة ، ويهبه لطالبيه تماماً غير ناقص . بل يتكرم عليهم بفضله وإحسانه ويزيدهم ، على خلاف المخلوقين . فهو لا غيره ، أفضل من تحلى بتلك الصفات .

ومن بديع الإضافات في الدعاء القرآني الإضافة لكاف الخطاب كما في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾<sup>(١)</sup> فإضافة ( الآيات ) إلى الكاف فيها تشريف وتعظيم لها لكونها من عند الله عز وجل فهي أحق أن يستمعوا لتلاوتها ، ويتدبروا معانيها ، ويؤمنوا بما فيها ، لأنها كلام الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ومنه كذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله : ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> . فإضافة لفظ ( الرحمة ) إلى الكاف ، تعظيم وتشريف لهذه الرحمة لأنها مستمدة من الله عز وجل فهي واسعة عظيمة تحقيقاً لقوله : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾<sup>(٤)</sup> . وفي اختلاف حرف الجر في الآيتين أسراره البلاغية الدقيقة ففي الآية الأولى ( في رحمتك ) دلّ حرف الجر ( في ) على أن هذه الرحمة يدخل فيها وتحتوي المرحومين وتحيط بهم من كل جانب ، فيغمرهم فيضها الرحماني ، وهي الجنة

(١) البقرة / ١٢٩ .

(٢) الأعراف / ١٥١ .

(٣) النمل / ١٩ .

(٤) الأعراف / ١٥٦ .

كما قيل . أمّا الآية الثانية ( برحمتك ) جاء حرف الجر ( الباء ) دالاً على السبيل والواسطة للانضمام في زمرة الصالحين من عباد الله ، وذلك السبيل هو الرحمة لا شيء سواها وفي الآية ذاتها نرى إضافة ( العباد ) للكاف كذلك ، وذلك لإظهارهم بمظهر القدوة التي تُتَّبَع ، فيسير المرء على خطاهم ويتحلى بأخلاقهم ، لأنهم عباد الله المعدودون في الأخيار ، ووصفهم بالصلاح زيادة في التعظيم . وطمعاً في قبول دعائهم بذكر ما يقويه ( كالصلاح ) .

ومن الإضافة إلى الكاف قوله تعالى : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾<sup>(١)</sup> . ففي إضافة ( النعمة ) إلى ( الكاف ) تعظيم وتشريف لهذه النعمة ، فهي نعمة جليلة لا يقدر أحدٌ على إتيائها ، وظهرت عظمتها كذلك من إفرادها<sup>(٢)</sup> ، فقليل من الله كثير . وقيل : إن « إضافة النعمة للاستغراق أي جميع نعمك »<sup>(٣)</sup> .

ومنها كذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾<sup>(٤)</sup> . فإضافة ( السبيل ) إلى الكاف فيه مزيد تعظيم لهذا السبيل ، لأنه طريق الله الذي اتبعه المؤمنون ، فعملوا بما أمرهم الله به ، وانتهوا عما نهاهم عنه ، طمعاً فيما عنده سبحانه وقد دلَّ إفراده على أن سبيل الحق واحد ، لا يخفى على كل بصير .

(١) النمل / ١٩ - الأحقاف / ١٥ .

(٢) راجع مبحث الإفراد والجمع من هذا البحث / ص ١٩٩ .

(٣) روح المعاني ١٩ / ١٨٠ .

(٤) غافر / ٧ .

ومن الإضافات الثرية في الدعاء قوله تعالى : ﴿ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾<sup>(١)</sup> فإضافة الهمزات إلى الشياطين فيه تعظيم وتهويل لهذه الهمزات ، لا لعظم المضاف إليه كآيات السابقة ، بل لأن الشياطين مما يُحذر منهم لخفائهم وتسلطهم ، وفيها بيان أن هذه الوسوسة وذلك الهمز هو من أعمال الشياطين - خاصة - لهذا يجب التعوذ منهم ومن وساوسهم آناء الليل وأطراف النهار ومن تلك الإضافات ما جاء من إضافة ( العذاب ) إلى النار والجحيم الذي هو من أسمائها تهويلاً لأمر هذا العذاب ، وتفضيلاً لشأنه ، وتعظيماً لبشاعته وعجز الخيال عن تصور ما فيه من صنوف الأهوال ، فلفظة الجحيم ذاتها تلقي على هذا العذاب صفة القوة والعظمة لأن كل نار عظيمة في مهواة هي جحيم ، وقيل هي النار الشديدة التأجج<sup>(٢)</sup> . فعذاب النار عذاب لا يطيقه أحد ، لذا طلب الداعون من ربهم الوقاية منه . في قولهم : ﴿ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾<sup>(٣)</sup> وقولهم : ﴿ فَأَغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾<sup>(٤)</sup> .

### ٣ - التعريف ( بآل ) :

جاء التعريف بآل في آيات الدعاء في أكثر من مائة وستين موضعاً ، وحمل معه من الأسرار واللطائف الشيء الكثير ، وكسا الكلمات التي ارتدته ثوباً من الحسن البلاغي الذي لا نراه إلا في هذا النظم المعجز .

(١) المؤمنون / ٩٧ .

(٢) لسان العرب / مادة ( جحم ) .

(٣) آل عمران / ١٦ - ١٩١ .

(٤) غافر / ٧ .

ومن الألفاظ التي جاءت معرفة بأل ( لفظة الصراط ) في قوله تعالى :  
﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾<sup>(١)</sup> حيث جاء « مكملًا بكلمة ( أل ) لأنه  
الصراط الذي لا يضل بمهتديه لإحاطته ولشمول سريانه وفقاً لشمول معنى  
الحمد في الوجود كله - وهو الذي تشتت الآراء وتفرقت الفرق بالميل إلى  
واحد من جانبيه »<sup>(٢)</sup> .

ومما جاء منه كذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا  
الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾<sup>(٣)</sup> . فدخول ( أل ) على  
( البلد ) فيه دلالة على العهد أي مكة المكرمة شرفها الله . وهذا مغاير لما في  
سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾<sup>(٤)</sup> حيث وردت  
( بلداً ) منكرة وقيل : إن هذا راجع إلى اختلاف الدعائين . فما ورد في  
البقرة كان أولاً ، حيث سأل عليه السلام البلدية والأمن لهذا المكان المجدب ،  
أي أن يجعله الله بلداً صالحاً متصفاً بالأمن ، ثم وقع منه الدعاء الثاني ( في  
سورة إبراهيم ) الذي « اقتصر على حكاية سؤال الأمن لأن سؤال البلدية قد  
حكي بقوله : ﴿ فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾<sup>(٥)</sup> إذ المسئول  
هوياً إليهم للمساكنة ... لا للحج فقط وهو عين سؤال البلدية »<sup>(٦)</sup> . ومنه

(١) الفاتحة / ٦ .

(٢) نظم الدرر / ١ / ١٨ .

(٣) إبراهيم / ٣٥ .

(٤) البقرة / ١٢٦ .

(٥) إبراهيم / ٣٧ .

(٦) روح المعاني ١٣ / ٢٣٣ ، وانظر تفسير أبي السعود ١ / ١٥٨ - ٥٠ / ٥ .



كذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>(١)</sup> . حيث عرّف ( القواعد ) بأل دون الإضافة ( قواعد البيت ) فتعريف القواعد بالألف واللام للعهد ذلك لأن البيت « كان مؤسساً قبل إبراهيم فبني على الأساس »<sup>(٢)</sup> . « ولأن في إبهام القواعد وتبينها ما ليس في إضافتها لما في الإيضاح بعد الإبهام من تفخيم لشأن المبين »<sup>(٣)</sup> .

ومنه كذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾<sup>(٤)</sup> . فقد جاء التعريف في لفظي ( الكتاب والحكمة ) . وذلك للدلالة على أن هذا الكتاب هو « الكتاب الشامل لكل كتاب »<sup>(٥)</sup> وهذه الحكمة هي الحكمة البالغة التي لا مثل لها . ويراد بها السنّة . فتعريفهما يفيد الاستغراق .

ومنه قوله تعالى على لسان أيوب عليه السلام : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> . حيث عرّفت لفظة ( الضر ) فالألف واللام هنا للجنس ، أي أنه مسني جنس من الضرر لم يعرفه بشر ولا يقوى على تحمله أحد .

(١) البقرة / ١٢٧ .

(٢) الكشاف / ١ / ١٨٦ .

(٣) المصدر السابق / ١ / ١٨٧ .

(٤) البقرة / ١٢٩ .

(٥) نظم الدرر / ١ / ٢٤٣ .

(٦) الأنبياء / ٨٣ .

ومن التعريف بالألف واللام تعريف ( السيئات ) في قوله تعالى:  
﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ  
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾<sup>(١)</sup> للدلالة على الجنس وهو صالح لإفادة الاستغراق  
كذلك<sup>(٢)</sup> . أي قهم جزاء كل السيئات<sup>(٣)</sup> .

#### ٤ - التعريف بالاسم الموصول :

معلوم أن التعريف بالموصولية من « أشيع طرق التعريف سواء في ذلك  
كلام الله سبحانه وتعالى وكلام الناس ، وذلك لأنه مفرد متضمن جملة  
ولذلك يتسع لكثير من أحوال المعرف<sup>(٤)</sup> » فرغم شيوعه لم يرد في آيات  
الدعاء إلا فيما يزيد على ثلاثين موضعاً . وهو في كل موضع من تلك  
المواضع يحمل دلالات اقتضاها السياق ، وأثرى بها المعنى لا نكاد نجد لها إلا  
في هذا البيان المعجز .

فمن التعريف بالصلة ما جاء في قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ  
لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾<sup>(٥)</sup> . ففي  
التعريف بالاسم الموصول ( الذي ) دلالة على أن الذي يقدر على أن يهب  
الولد لمن فقد أسباب حصوله - نتيجة لكبر سنه أو عقر زوجته - جدير بأن  
يُحمد ويُثنى عليه . فتعريفه بالموصولية للتوصل إلى هذا المعنى الذي له أهميته  
في سياق الكلام .

(١) غافر / ٩ .

(٢) انظر التحرير والتنوير ٢٤ / ٩٣ .

(٣) انظر نظم الدرر ٦ / ٤٨٩ .

(٤) انظر خصائص التراكيب / ١٥٢ .

(٥) إبراهيم / ٣٩ .

ومنها كذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾<sup>(١)</sup> . حيث جاءت الصلة لتبرز صفات هؤلاء الذين استحقوا دعاء الملائكة لهم بالمغفرة والوقاية من عذاب الجحيم ، وذلك لتوبتهم واتباعهم سبيل الله عز وجل .

ونراه كذلك في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup> . فالتعريف بالصلة في هذه الآية مكن من وصف هؤلاء الإخوان بالسبق الإيماني ، وبين السبب في الدعاء لهم بالمغفرة ، وقررت الصلة كذلك ما تقتضيه هذه الأخوة من الحقوق فإن « حقاً على المسلمين أن يذكرُوا سلفهم بخير وأن حقاً عليهم محبة المهاجرين والأنصار وتعظيمهم »<sup>(٣)</sup> .

وفي قوله تعالى : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾<sup>(٤)</sup> . وقوله : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ ﴾<sup>(٥)</sup> نرى الموصولية قد وضحت المراد بهذه النعمة - الموجبة للشكر - فهي نعمة تفضل الله بالإنعام بها على عبده . ووضحت كذلك المراد بتلك الجنات التي حرص الملائكة على طلبها لأهل

(١) غافر / ٧ .

(٢) الحشر / ١٠ .

(٣) التحرير والتنوير ٢٨ / ٩٧ .

(٤) النمل / ١٩ ، الأحقاف / ١٥ .

(٥) غافر / ٨ .

الإيمان بأنها الجنات التي وعد الله عباده بها وذلك عند صلاحهم وامتثالهم لأمره . وقوله كذلك ( من صلح ) دلّ الموصول على العموم أي يشمل هذا الوعد كل من اتصف بالصلاح من هؤلاء الآباء ومن الأزواج . وفي قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾<sup>(٢)</sup> . نجد ( ما ) الموصولة قد دلّت على العموم ، حيث بينت في الآية الأولى عموم إيمانهم بكل ما أنزله الله عز وجل ، من كتب سماوية وأحكام شرعية ، وما فيها من حلال وحرام . وفي الآية الثانية بينت أنهم يطلبون من ربهم أن يؤتيهم كل ما وعدهم به على السنة رسله من صنوف الثواب الدنيوي والأخروي<sup>(٣)</sup> .

ومثلها ما جاء على لسان موسى عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾<sup>(٤)</sup> . حيث دلّت ( ما ) على العموم ، أي أنني محتاج إلى أي شيء تنزله إليّ وترزقني إياه من خزائن كرمك قلّ أو كثر<sup>(٥)</sup> .

أمّا في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا

(١) آل عمران / ٥٣ .

(٢) آل عمران / ١٩٤ .

(٣) راجع التحرير والتنوير ٤ / ٢٠٠ .

(٤) القصص / ٢٤ .

(٥) راجع روح المعاني ٢٠ / ٦٤ .

تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١﴾ . وقوله :  
﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ... ﴾ (٢) . وقوله  
أيضاً : ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣) . نرى الاسم الموصول قد  
دلَّ على استهجان ذكر مراودة امرأة العزيز لسيدنا يوسف عليه السلام .  
ونسب الدعوة لهذا الفعل لجميع النسوة ، لأنهن لمنه على عدم إجابتها ، وفي  
الآية الثانية دلَّ كذلك على استهجان ذكر المعذنين في النار لأعمالهم السيئة  
التي استحقوا بها دخول النار والخلود فيها . بدلالة قولهم قبله : ( نعمل  
صالحاً ) أي نعمل عملاً صالحاً فهم يحاولون ستره لقبحه . وفي الآية الأخيرة  
نرى سيدنا لوطاً عليه السلام لا يصرح في دعائه بمنكر عمل قومه ( اللواط )  
استهجاناً له ، فطلب من ربه النجاة من التلبس بمثل عملهم . هذا على قول  
من أرجع دعاء لوط لطلب النجاة من عملهم هذا .

أمَّا من قال : إن هنالك حذفاً في الكلام تقديره « نجني من شؤم عذابهم  
نتيجة لعملهم هذا » (٤) . ( فما ) تكون لإفادة التهويل والتعظيم لأمر هذا  
العذاب ، حيث ناسب عذابهم فضاة عملهم .

## ٥ - التعريف بالعلمية :

جاء التعريف بالعلمية في أكثر من عشرين موضعاً في آيات الدعاء .

(١) يوسف / ٣٣ .

(٢) فاطر / ٣٧ .

(٣) الشعراء / ١٦٩ .

(٤) روح المعاني بتصرف ١٩ / ١١٦ .

وأكثر الأعلام ذكراً لفظ الجلالة ( الله ) نحو قوله تعالى : ﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾<sup>(٣)</sup> . ومرد ذلك ، أن الله هو المتلقي لهذا الدعاء يتجه إليه الداعون بقلوبهم يتلذذون ويتبركون بتزديد اسمه سبحانه وتعالى .

يلي لفظ الجلالة أسماء الأنبياء<sup>(٤)</sup> عليهم السلام ، وقد تكرر ذكر بعضهم ( إبراهيم وهارون ) في ثلاثة مواضع<sup>(٥)</sup> ، ( وإسماعيل وأيوب ) في موضعين<sup>(٦)</sup> . ومن الأعلام كذلك ( عمران - مريم - فرعون ) الذي تكرر ذكره مرتين<sup>(٧)</sup> .

ذكر هذه الأعلام في الدعاء جاء من باب حكاية دعائهم منسوبة إليهم ، أو من باب ذكرهم في سياق الأدعية . وسنكتفي بذكر ما جاء منهم في صلب الدعاء من ذلك قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾<sup>(٨)</sup> . ومنه كذلك ما

(١) التوبة / ١٢٩ .

(٢) الأعراف / ٨٩ .

(٣) يونس / ١٠ - إبراهيم / ٣٩ .

(٤) الأنبياء هم ( نوح ، وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق وأيوب وموسى وهارون وزكريا وعيسى ) .

(٥) البقرة / ١٢٦ ، إبراهيم / ٢٥ ، الشعراء / ١٣ ، طه / ٣٠ ، القصص / ٣٤ ، الممتحنة / ٤ .

(٦) البقرة / ١٢٧ ، إبراهيم / ٣٩ ، الأنبياء / ٨٣ ، ص / ٤١ .

(٧) يونس / ٨٨ ، التحريم / ١١ .

(٨) إبراهيم / ٣٩ .

جاء على لسان امرأة فرعون : ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ .. ﴾<sup>(١)</sup> . فذكر إبراهيم عليه السلام لولديه باسميهما مناسباً لمقام الدعاء - فقد وسطه بين دعائين الأول يختص بمكة وطلب الرزق والعمارة لها والثاني يختص به وبذريته من إقامة الصلاة والمغفرة وتقبل الدعاء . فذكر إسماعيل وإسحاق هنا إشارة منه أن من تفضل ومنَّ عليه بولديه هذين مع ما كان عليه من الكبر ، قادر بأن يستجيب دعاءه ويحقق مراده . وربما لأن المقام فيه إطناب دلَّ عليه طول هذا الدعاء أو لأن في ذكره لهما نوعٌ من التلذذ ، فقد أعطيهما على كبر .

أمَّا ذكر فرعون في الآية الثانية على لسان آسيا حين طلبت من ربها النجاة من طاغية مصر ( فرعون ) حيث ذكرته باسمه ولم تقل ( زوجي ) ، ذلك لاعتقادها بأن عرى الزوجية قد انفصمت ، واختلال ما بينهما من رباط بسبب اختلاف العقيدة . الذي اختلت معه جميع الروابط حتى الصلات اللفظية . فلم تذكره زوجاً بل نادته باسمه مجرداً وكأنه غريب عنها لا تربطه بها أي صلة . وربما يكون في ذلك تحقير لشأنه .

## ٦ - التعريف باسم الإشارة :

كان التعريف باسم الإشارة من أقل ألوان التعريف مجيئاً في آيات الدعاء فقد ذكر في أكثر من عشرة مواضع . منها قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾<sup>(٢)</sup> . وقوله : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ

(١) التحريم / ١١ .

(٢) البقرة / ١٢٦ .

أَهْلُهَا ﴿١﴾ وقوله : ﴿ وَأَكْتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ ﴿٢﴾ .

فاسم الإشارة في الآيات السابقة كسا المشار إليه حضوراً وتمييزاً ، فكأننا نرى البلد والقرية ماثلين أمامنا نحسهما موجودين معنا . وفي التعبير باسم الإشارة الدال على القريب ما يقوي المعنى فيظهر شدة الالتصاق بين مشاهد الدعاء السابقة وبين القارئ ، وكأنه الناطق بهذا الدعاء .

وفي قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ

النَّارِ ﴾ ﴿٣﴾ وقوله : ﴿ رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي

النَّارِ ﴾ ﴿٤﴾ . وقوله كذلك : ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٥﴾ وقوله :

﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴾ ﴿٦﴾ . نرى الداعين يعبرون باسم

الإشارة حتى يقرروا للمشار إليهم الحكم بمضاعفة العذاب وزيادته كما في الآيتين الأولى والثانية . أو الحكم باستحقاق العذاب أصلاً لجرمهم وعدم إيمانهم كما في الآيتين الثالثة والرابعة وفيها دلالة على « عدم تمكن الإيمان

منهم » ﴿٧﴾ . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ

(١) النساء / ٧٥ .

(٢) الأعراف / ١٥٦ .

(٣) الأعراف / ٣٨ .

(٤) ص / ٦١ .

(٥) الزخرف / ٨٨ .

(٦) الدخان / ٢٢ .

(٧) التحرير والتنوير ٢٥ / ٢٧٣ .



فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾ . فالتعبير باسم الإشارة للبعيد  
( ذلك ) فيه تنويه وتعظيم لهذا الفوز<sup>(٢)</sup> . فقد خلص من شوائب الكفر ،  
فهو نعيم خالص من كل ما يكدر صفوه .

---

(١) غافر / ٩ .

(٢) راجع التحرير والتنوير ٢٤ / ٩٤ .

## ثانياً : التنكير في آيات الدعاء :

التنكير له من الأسرار واللطائف التي نراها في آيات الدعاء تنبع من ذات السياق فتخلع على المعنى جمالاً ، وعلى العبارة إعجازاً . مع أنه لم يكن في كثرة التعريف حيث جاء في مائة وأربعة عشر موضعاً ودلت في معظمها على المعاني الآتية :

### ١ - التعظيم :

من الآيات التي جاء التنكير فيها دالاً على التعظيم قوله تعالى :

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾<sup>(٢)</sup> . وقوله كذلك :

﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً ... ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله : ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾<sup>(٥)</sup> وقوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا ... ﴾<sup>(٦)</sup> . تنكير ( ملكاً ، وصبراً ، وآية ، ورحمة ، ومائدة ، ومنادياً .. ) فيه دلالة على التعظيم أي ملكاً عظيماً ينفرد به ، وصبراً ورحمة عظيمنتين لتناسب ما هم فيه من شدة وكرب وآية عظيمة تناسب عظم المعجزة . ثم قس على ذلك تنكير منادياً ومائدة :

(١) ص / ٣٥ .

(٢) البقرة / ٢٥٠ ، الأعراف / ١٢٦ .

(٣) آل عمران / ٤١ .

(٤) الكهف / ١٠ .

(٥) المائدة / ١١٤ .

(٦) آل عمران / ١٩٣ .

## ٢ - التكثر :

تفيد النكرة التكثر ومما جاء منه في الدعاء قوله تعالى : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً  
مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً  
طَيِّبَةً ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾<sup>(٣)</sup> . فتنكير ( أفئدة ) مطلقٌ يحمل على الكثرة المتعارفة  
في عمران المدن والأسواق<sup>(٤)</sup> . وليست الكثرة مطلقاً بل هي كثرة تناسب  
المكان . ولذلك قال : ( من الناس ) . وكذلك التنكير في ( ذرية )  
( و أموالاً ) أي ذرية كثيرة متتابعة ، وأموالاً كثيرة وافرة ومنها قوله تعالى :  
﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾<sup>(٥)</sup> حيث دلّ تنكير ( علماً ) على الكثرة أي علماً  
كثيراً .

## ٣ - التقليل :

ومما جاءت النكرة فيه دالة على التقليل قوله تعالى : ﴿ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِّنْ  
لِّسَانِي ﴾<sup>(٦)</sup> أي احلل عقدة من عقد لساني ، فلم يطلب عليه السلام

(١) إبراهيم / ٣٧ .

(٢) آل عمران / ٣٨ .

(٣) يونس / ٨٨ .

(٤) راجع التحرير والتنوير ١٣ / ٢٤٢ .

(٥) طه / ١١٤ .

(٦) طه / ٢٩ .

الفصاحة الكاملة<sup>(١)</sup> ، فقليل منها يكفي لإبلاغ الدعوة إلى فرعون ، لذلك نكّر ( عقدة ) . ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾<sup>(٢)</sup> فالتنكير في ( غلاً ) معناه أي لا تجعل في قلوبنا ولو قليلاً من الغل لمن آمن بك . ومثله التنكير في ﴿ إِصْرًا ﴾<sup>(٣)</sup> و ﴿ فَرْدًا ﴾<sup>(٤)</sup> .

#### ٤ - النوعية :

جاءت النكرة دالة على النوعية في قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾<sup>(٥)</sup> أي نوعٌ من الخروج يكون سبباً في حصول النجاة المطلوبة . أمّا التنكير في ( سبيل ) فهو للإفراد أي ولو سبيلاً واحداً .

وفي قوله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾<sup>(٦)</sup> : أي أنني محتاج إلى نوع من الخير قلّ أو كثر وقيل تنكير خير هنا للتعظيم<sup>(٧)</sup> . وفي قوله تعالى : ﴿ أَنْتِي مَسْنَىٰ الشَّيْطَانِ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾<sup>(٨)</sup> . تنكير ( نصب وعذاب ) « للتعظيم أو للنوعية وعدل عن تعريفهما لأنهما معلومان لله »<sup>(٩)</sup> .

(١) راجع الكشاف ٣ / ٥٩ .

(٢) الحشر / ١٠ .

(٣) البقرة / ٢٨٦ .

(٤) الأنبياء / ٨٩ .

(٥) غافر / ١١ .

(٦) طه / ٢٤ .

(٧) راجع روح المعاني ٢٠ / ٦٤ .

(٨) ص / ٤١ .

(٩) التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٧٠ .

## ٥ - العموم والإبهام :

العموم من المعاني التي دلَّت عليها النكرة في آيات الدعاء جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا ﴾<sup>(١)</sup> . حيث شمل هذا الدعاء كل من اتصف بالإيمان وعمهم .

أما تنكير ( حسنة ) في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ ﴾<sup>(٢)</sup> . أي حسنة عامة جامعة لكل خير .

ومن خلال العرض السابق لصور التعريف والتنكير نوجز ما سبق فيما يلي :

١ - إنَّ أكثر صور التعريف شيوعاً في آيات الدعاء التعريف بالإضمار يليه التعريف بالإضافة .

٢ - كثرة ذكر أسماء الأنبياء في آيات الدعاء ، وهذا لأنهم أكثر من دعا الله عز وجل وذلك لما فيه من لطائف . أولها : إثبات بشريتهم . فهم مع علو أقدارهم ومكانتهم في أقوامهم وعند أتباعهم نراهم يتجهون إلى الله عز وجل في ذل وخضوع يطلبون منه العون والرحمة . ثانيها : أن فيه تعليماً لمن بعدهم لفن الدعاء وآدابه ، فهم القدوة التي يسير على نهجها أهل الإيمان .

٣ - كثرة الإضافة للفظي ( ربّ - خير ) . وذلك لما في لفظ الربوبية من معاني التربية والتفضل والإنعام المناسب لمقام الدعاء . ولفظ الخير فيه

(١) نوح / ٢٨ .

(٢) البقرة / ٢٠١ .

دلالة على التفضيل والتبجيل لله عز وجل فهو أفضل من دُعي وخير من أجاب . وفيها استعطاف وتذلل .

٤ - أكثر دلالات التنكير شيوعاً في آيات الدعاء دلالة التعظيم . وذلك لرغبة الداعين في كون ما يطلبونه عظيماً سواء حينما يدعون لأنفسهم بالخير أو على غيرهم بالشر .

## المبحث الرابع

### المشتقات وصيغ الأفعال ودلالاتها البلاغية

يتناول هذا المبحث دراسة المشتقات وصيغ الأفعال ، وبيان دلالاتها البلاغية في آيات الدعاء ، والتي كان لها أثرٌ بالغٌ في أداء المعنى المراد على أكمل وجه وأبلغ صورة .

وغير خاف أن القرآن الكريم ( في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخير له أشرف المواد ، وأمسها رحماً بالمعنى المراد ، وأجمعها للشوارد ، وأقبلها للامتراج ، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به : بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة ، وصورته الكاملة ، ولا يجد اللفظ في معناه إلاً وطنه الأمين ، وقراره المكين ، لا يوماً أو بعض يوم ، بل على أن تذهب العصور وتجيء العصور ، فلا المكان يريد بساكنه بدلاً ، ولا الساكن يبغي عن منزله حِوْلاً )<sup>(١)</sup> . والمشتقات وصيغ الأفعال من المفردات التي استثمرت في النص الدعائي على تفاوت في نسبة كلٍّ منها . وقد لفت المفسرون الأنظار إليها مبينين سر إثارها في البيان القرآني .

والمشتق اسم مأخوذ من الفعل ، وهو بشكل عام ( ما أخذ من غيره ، بأن يكون له أصل ينسب له ، ويتفرع منه )<sup>(٢)</sup> . وللنحاة جهود مشكورة في دراسة المشتق بأنواعه المختلفة ، ما دلَّ منه على ذات متصفة بالحدث كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة ، أو ما دلَّ على ذات فقط

(١) النبا العظيم / د: محمد عبد الله دراز / ط.٤ ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م / ٩٢ .

(٢) النحو الوافي / عباس حسن / دار المعارف . مصر / ط٣ ، ٣ / ١٨٢ .

كالمصدر واسم الآلة والزمان والمكان<sup>(١)</sup> . وهي جميعاً عدا اسم الآلة وردت في الدعاء القرآني فقد جاء اسم الفاعل فيه مفرداً ثلاث عشرة مرة نحو ( الظالم - عاقر - جامع - صالح ) وجاء مجموعاً في إحدى وستين مرة نحو ( الرازقين - الراحمين - الشاكرين - الوارثين - الشاهدين ) هذا من الثلاثي أما غير الثلاثي فقد جاء في اثنتين وعشرين آية نحو ( المستقيم - منادي - مقيم - مخلصين - المسلمين ) . ومعلوم أن الاسم لدى البلاغيين يدل على الثبوت والدوام ، وحين نتأمل اسم الفاعل نجده كذلك ، فهو يستخدم في الصفات الثابتة التي لا تتجدد ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فالمستقيم وصف للطريق الذي يرجو سلوكه كل إنسان « وهو طريق الحق وقيل ملة الإسلام »<sup>(٣)</sup> وقد أثر القرآن اسم الفاعل هنا لبيان ثبات استقامة هذا الطريق ، وأنه راسخٌ أبداً ، ولو جاء التعبير بالفعل ( يستقيم ) لدلّ على تجدد الاستقامة وتغيرها ، ومن مقتضيات هذا التجدد والتغير عدم الثبات ، ولذا فمن غير الممكن أن يطلب الداعون سلوك طريق غير ثابت ، فاسم الفاعل كما ترى كان موحياً بالأمان الذي رجاه الداعون .

ونجد القرآن في آيات الدعاء يؤثر التعبير باسم الفاعل عند حديثه عن أهل الإيمان ، حتى يبرز صفاتهم في صورة الثبات والدوام وأنها غير متجددة

---

(١) راجع دراسات في علم الصرف د/ عبد الله درويش / مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ / ٤٥ .

(٢) الفاتحة / ٦ .

(٣) تفسير البيضاوي بهامش حاشية الشهاب ١ / ١٣ .



من ذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾<sup>(١)</sup>  
وقوله : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> و ﴿ نَجِّنِي  
وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله : ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي  
عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله أيضاً : ﴿ وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾<sup>(٥)</sup>  
وقوله : ﴿ فَأَكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> . ( فالمؤمنين والمسلمين  
والصالحين والشاهدين والأبرار ) حيث يتأمل القارئ للسياقات القرآنية التي  
وردت فيها مع الأفعال قبلها ( الحقني - توفي - اكتبنا .. ) يشعر بمدى  
حاجة هؤلاء الداعين للانضمام لهذه الفئة التي استطاعت بإسلامها وإيمانها  
وصلاحها أن تجدد ما يفتقده الكثيرون من لذة الإيمان وحلاوته .

وقد عبّر إبراهيم عليه السلام في قوله : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ  
... ﴾<sup>(٧)</sup> عن رغبته في إقامة الصلاة وجعل ذلك صفة راسخة ثابتة فيه ، دائم  
الأداء لها في كل وقت وعلى كل حال هو وذريته ، ولو عبّر بالفعل ( أقيم )  
لدلّ على تجدد إقامته لها ، وليس هذا مراد سيدنا إبراهيم - والله أعلم

(١) الأعراف : ١٢٦ .

(٢) يوسف / ١٠١ .

(٣) الشعراء / ١١٨ .

(٤) النمل / ١٩ .

(٥) آل عمران / ١٩٣ .

(٦) المائدة / ٨٣ .

(٧) إبراهيم / ٤٠ .

بمراده - ولكنه لشدة حرصه على الصلاة - لأنها من أفضل القربات لله عز وجل - طلب من الله أن يساعده على الدوام عليها ، لأنه لا صعوبة في أداء الأعمال إنما الصعوبة في الثبات والاستمرار عليها ، قال ﷺ : « أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلَّ »<sup>(١)</sup> .

وزكريا عليه السلام نراه يؤثر اسم الفاعل في دعائه لله وتضرعه إليه قائلاً : ﴿ وَكَانَتْ أَمْرَاتِي <sup>(٢)</sup> عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ... ﴾<sup>(٣)</sup> ( فعاقراً ) وصف لزوجته بعدم قدرتها على الحمل ، ولم يستخدم الفعل ( تعقر ) لأنه دال على الحدوث والتجدد ، والعقر لا حدوث فيه ولا تجدد .

وفي مقابل الصفات الإيمانية - التي سبق أن أشرنا إليها - ( كالمسلمين - الصالحين ... ) والتي أضفت على الدعاء مزيداً من القوة ومزيداً من الثبات ، نجد الصفات التي تجسد حال الكفار وماهم فيه من ظلال ، فتزيدها رسوخاً باستعمال اسم الفاعل على نحو قوله تعالى : ﴿ عَلَى الْقَوْمِ

---

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ، لمسلم بن الحجاج القشيري / مؤسسة قرطبة / الطبعة الثانية / ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م / ٦ / ١٠٣ في صلاة المسافرين باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره .

(٢) ( امرأتي ) استعملها القرآن ولم يقل ( زوجتي ) لأن الحياة الزوجية فقدت بعض مقوماتها بالعقم ، وما أن أصبحت صالحة للإنجاب آثر أن يطلق عليها ( زوجة ) . راجع : خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية د/ عبد العظيم المطعني ١ / ٢٩٥ ، وكتاب الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق / عائشة عبد الرحمن / دار المعارف القاهرة / الطبعة الثانية / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م / ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٣) مريم / ٥ .

الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ وقوله: ﴿فَأَفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢﴾  
وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٣﴾ وقوله: ﴿رَبَّنَا  
لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤﴾ .

فعبّر القرآن عن هذه الصفات ( الكفر - الفسق - الظلم ) بالاسم ليشعر  
بثبات هذه الصفات ودوامها ، وأنها فيهم إلى يوم الدين لا ينفكون عنها  
فكفرهم وفسقهم وظلمهم مستمر لا ينقطع ، وثابت لا يزول ، ولو عُبر  
عنها بالأفعال لكانت هذه الصفات متجددة ، فقد يكون كفرهم وفسقهم  
وظلمهم في أوقاتٍ ثم يزول عنهم ، أي أنه يقع منهم مرة بعد مرة وليس  
ملازماً لهم . وهؤلاء الكفار بصفاتهم تلك لا مصير لهم سوى النار التي  
يخلدون فيها فهم أصحابها الدائمون قال تعالى : ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ  
أَبْصَارُهُمْ تَلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ ...﴾ ﴿٥﴾ فأصحاب جمع مفردة  
( صاحب ) عبّر باسم الفاعل عن هذا الاتصال وهذه الصحبة لبيان ثباتها  
ودوامها وعدم الفكاك منها تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا  
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٦﴾ .

(١) البقرة / ٥٢٠ / ٢٨٦ ، آل عمران / ١٤٧ .

(٢) المائدة / ٢٥ .

(٣) الأعراف / ٤٧ .

(٤) يونس / ٨٥ .

(٥) الأعراف / ٤٧ .

(٦) البقرة / ٣٩ .

وقد يراد المبالغة في المشتق ( اسم الفاعل ) ومن استقراء الآيات وجد أنه غالباً ما يكون في فواصل آيات الدعاء وصف لله عز وجل نحو ( الغفور - الرحيم - التواب - العزيز - الحكيم - العليم ) قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾<sup>(١)</sup> ( فإن معناه : أنك سامع الدعاء غير أن سميع أمدح ، وهو بمعنى ذو سمع له )<sup>(٢)</sup> وقوله : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾<sup>(٣)</sup> الوهاب جاءت على وزن فَعَّال صيغة مبالغة استعطافاً من الداعين ، وطمعاً في سرعة الإجابة .

ومن المشتقات اسم المفعول حيث كان أقلّ وروداً من اسم الفاعل ، فقد جاء ست مراتٍ ، خمسٌ منها من غير الثلاثي نحو ( محرراً - المحرّم - المستضعفين - مُمَزَّق ) وواحدٌ من الثلاثي هو قوله : ﴿ مَعْلُوبٌ ﴾ في دعاء سيدنا نوح عليه السلام قال تعالى : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرٌ ﴾<sup>(٤)</sup> . ففي هذه الآية الكريمة يصف نوح عليه السلام نفسه بأنه مغلوب بعد أن بلغ به الصبر مبلغه من دعاء قوم ختم الله على قلوبهم - إلا من رحم - فذكر هذه الصفة بصيغة اسم المفعول طمعاً في الإجابة وتعجيل النصر له ، ولم يقل ( غُلِبْتُ ) وهذه الفائدة جليّة ، فعلى الرغم من أن سيرة سيدنا نوح عليه السلام تدل أنه لم يرضخ أبداً لكفر قومه وعنادهم ، بل قاوم

(١) آل عمران / ٣٨ .

(٢) تفسير الطبري ٣ / ٢٤٩ .

(٣) آل عمران / ٨ .

(٤) القمر / ١٠ .

ذلك بالدعوة إلى الله ألف سنة إلا خمسين مع ما تخللها من الأذى والبلاء ،  
فقد دعا ربه مظهراً ضعفه وقلة حيلته في قوم تملك قلوبهم قسوة الظلم  
وجبروته ، فكانت لفظة ( مغلوب ) دالة على أن قومه غلبوه . فكان  
جزاؤهم الطوفان قال تعالى : ﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا  
بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله :  
﴿ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ولا يخفى أن التعبير القرآني بالفعل يشعر بالتجدد والحدوث لهذه الغلبة  
فقد يكون مغلوباً ، ومرةً غالباً ، أي أنه يمتلك قوة يستطيع الانتصار بها إذا  
كانت في أوجها ، وقد يتعرض للهزيمة إذا ضعفت ، أمّا اختيار القرآن للفظـة  
( مغلوب ) فإنه دال على أنه مغلوب دائماً لا يملك من القوة شيئاً ، سوى ما  
يرجوه من ربه فهو في حاجة ماسة إلى عون خير معين .

وفي الآية الكريمة: ﴿ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>  
نجد أن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه ( بالمستعان ) معبراً باسم المفعول عن  
كرمه وعونه لعباده ليطمئنهم بأن هذا العون دائم مادام هنالك داع يدعو ،  
فما عليهم إلا إخلاص النية وصرف هذه العبادة - الدعاء - إلى الله عز وجل  
قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> وليقولوا :

(١) الأنبياء / ٧٧ .

(٢) هود / ٣٧ .

(٣) الأنبياء / ١١٢ .

(٤) غافر / ٦٠ .

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(١)</sup> . فعون الله مطلبٌ مهم للعباد بدونه لا يقدرّون على شيء مما كسبوا .

أمّا اسم التفضيل فكان أقلّ وروداً من اسم الفاعل حيث ورد في سياق آيات الدعاء تسع مراتٍ ، منها قوله تعالى : ﴿وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا...﴾<sup>(٢)</sup> .

فموسى عليه السلام ذكر ذلك ضمن آيات سابقة تتحدث عن ( أضخم تكليف تلقاه بشر - عدا رسالة محمد - ﷺ - فهو مرسل إلى فرعون الطاغية المتجبر ، أعتى ملوك الأرض في زمانه ، وأقدمهم عرشاً ، وأثبتهم ملكاً ، وأغرقهم حضارة ، وأشدّهم تعبدًا للخلق ، واستعلاء في الأرض .. )<sup>(٣)</sup> وليس ذلك فحسب بل ما وقع من موسى من قتل القبطي ، فالموقف برمته محتاج إلى القوة والشجاعة في عرض الحجج وإظهار صدق دعوته ، وبطلان ما هم فيه ، وهذا لاشك يتطلب قدرة كلامية ينافح بها موسى عليه السلام عن دعوته ، لذلك طلبها من ربه في شخص هارون حينما قال : ﴿فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ﴾ لأنه عليه السلام كان أفصح منه<sup>(٤)</sup> ، فاستجاب له ربه بقوله :

(١) الفاتحة / ٥ .

(٢) القصص / ٣٤ .

(٣) في ظلال القرآن / م / ٥ / ٢٠ / ٢٦٩٠ .

(٤) لأنه كما ذكرت الروايات قد تعرض موسى عليه السلام وهو صغير لحادثة جعلت في لسانه

لكنة لذلك دعا في سورة طه ( ٢٧ - ٢٨ ) قائلاً : ﴿وَأَحَلَّلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾<sup>(٥)</sup>

يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ .

## ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ... ﴾<sup>(١)</sup>

وورد أيضاً اسم التفضيل في تذييل بعض الآيات الدعائية ، في موازنة بين بعض صفات الله عز وجل وصفات غيره لبيان فضله سبحانه في تلك الصفات ، وأنه هو الأفضل دوماً ، ومعلوم أن لله صفات انفرد بها ، ولا يمكن أن يشاركه فيها أحد كالخلق والإحياء والإماتة ، إلا أن هنالك بعض الصفات التي يمكن أن تطلق على خلقه ولكن بكيفية مختلفة ، كالرحمة والحكم وغيرها .

وقد وردت الرحمة في سياق المفاضلة في أفعال التفضيل في آيات الدعاء على لساني أيوب وموسى عليهما السلام ، في قوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله : ﴿ وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> وفي قولهما : ( أنت أرحم الراحمين ) تتجلى بوضوح قوة إيمانية عرفت الرحمة وذاقت حلاوتها من قبل حيث تعاملت مع بشر تحلُّوا بهذه الصفة ، فأيوب عليه السلام ذاق رحمة زوجته وذلك أثناء مرضه ، فصبرها ووقوفها إلى جانبه عندما تخلى عنه الجميع هو الرحمة بعينها ، أما موسى فعرف هذه الرحمة صغيراً على يد آسيا امرأة فرعون التي عطفت عليه وربته ، وعرفها أيضاً كبيراً

(١) القصص / ٣٥ .

(٢) الأنبياء / ٨٣ .

(٣) الأعراف / ١٥١ .

على يد الشيخ<sup>(١)</sup> الذي سقى لبناته ، فأواه وصاهره ، فإذا كان هذا حال الرحمة البشرية فالرحمة الإلهية أجل وأعظم ، لأن ( الرحمة منطوية على معنيين : الرقة والإحسان ، فركب تعالى في طباع الناس الرقة وتفرد بالإحسان )<sup>(٢)</sup> . فرحمته إحسان منه وتفضل على عباده .

أما قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> فقد ورد على لسان نوح عليه السلام يصف به الله تعالى بأنه أفضل وأحكم من أي حاكم<sup>(٤)</sup> .

وقد يأتي اسم التفضيل في سياق الآية الدعائية ، ليفاضل بين أمرين عارضين ، كما في خطاب يوسف عليه السلام الذي يوضح فيه إشارته للسجن على ما يدعونه إليه قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> . فأحب هنا اسم تفضيل ، وللمفسرين حوله آراء عديدة ،

من ذلك قول أبي حيان في البحر : « أحب هنا ليست على بابها في التفضيل ، لأنه لم يجب ما يدعونه إليه قط وإنما هذان شران ، فآثر أحد الشرين على الآخر ، وإن كان في أحدهما مشقة وفي الآخر لذة ، لكن لما

---

(١) تشير بعض الروايات أن الشيخ هو نبي الله شعيب . راجع : قصص الأنبياء لابن كثير ٢٨٩ / ١ .

(٢) بصائر ذوي التمييز ٣ / ٥٣ ( بصيرة في الرحمة والرحمان والرحيم ) .

(٣) هود / ٤٥ .

(٤) أفعل التفضيل ( أرحم - أحكم ) في الآيات السابقة قيل أنها ليست على بابها من أنها للمفاضلة . راجع : روح المعاني للألوسي ٦٨ / ١٢ .

(٥) يوسف / ٣٣ .



يترتب على تلك اللذة من معصية الله وسوء العاقبة ، لم يخطر له ببال ، ولما في الآخر من احتمال المشقة في ذات الله والصبر على النوائب ، وانتظار الفرج ، والحضور مع الله تعالى في كل وقت داعياً له في تخليصه . آثره ثم ناط العصمة بالله واستسلم لله كعادة الأنبياء والصالحين ، وأنه تعالى لا يصرف السوء إلا هو» (١) .

غير أن الشيخ الطاهر بن عاشور يرى أن أفعل التفضيل على حقيقته ولا داعي إلى تأويله ( فالإخبار بأن السجن أحب إليه من الاستمتاع بالمرأة مستعمل في إنشاء الرضى بالسجن في مرضاة الله تعالى والتباعد عن محارمه إذ لا فائدة في إخبار من يعلم ما في نفسه ) (٢) .

ومن الكلمات التي تستعمل استعمال أفعل التفضيل ( خير ) (٣) نحو قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِمِينَ ﴾ (٤) وقوله : ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ (٥) فخير أت هنا لإظهار فضل الله على غيره في صفتي الرحمة والإنزال .

أمّا اسم المكان فقد ورد في آيات الدعاء ثلاث مرات في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ (٦) . ( فقد

(١) البحر المحيط ٦ / ٢٧٣ .

(٢) التحرير والتنوير ١٢ / ٢٦٥ .

(٣) راجع دراسات في علم الصرف / ٧٨ .

(٤) المؤمنون / ١٠٩ ، ١١٨ .

(٥) المؤمنون / ٢٩ .

(٦) الإسراء / ٨٠ .

اختير الاسم المشتق من الفعل المتعدي للإشارة إلى أنَّ المطلوب دخول وخروج ميسران من الله تعالى وواقعان بإذنه وذلك دعاء بكل دخول وخروج مباركين لتتم المناسبة بين المسؤول وبين الموعود به وهو المقام المحمود . وهذا السؤال يعم كل مكان يُدخَل إليه ومكان يُخرج منه (١)(٢) .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا ﴾ (٣) نجد اسم المكان ( منزلاً ) دلَّ على مكان للنزول ، يكون فيه من البركة والنماء ما نوح وأصحابه في حاجة إليه بعد الطوفان .

تناولنا فيما سبق المشتقات وبيننا ما تومض به من أسرار بلاغية اقتضاها السياق ، والآن ندلي بدلونا في بيان ما للأفعال في صورها المختلفة من أثر في سياقات الدعاء القرآني ، وسندرسها على التفصيل الآتي :

أ - دلالة الفعل على التجدد والحدوث .

ب - إيثار أفعال دون غيرها .

ج - الأفعال المتقاربة الدلالة .

---

(١) التحرير والتنوير ١٥ / ١٨٦ .

(٢) يرى البعض أن ( مدخل - مخرج ) مصدران ميميان وليس اسماء مكان . راجع : روح

المعاني للألوسي ١٥ / ١٤٤ ، دراسات في علم الصرف / ٦٧ .

(٣) المؤمنون / ٢٩ .

## أ - دلالة الفعل على التجدد والحدوث :

إن الإخبار بالفعل له مزية ( فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء )<sup>(١)</sup> أمّا الاسم فإنه ( ثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء )<sup>(٢)</sup> . وقد يقتضي السياق التعبير بالفعل دون الاسم من ذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءآيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾<sup>(٣)</sup> فالأفعال ( يتلو - يعلمهم - يزكيهم ) وردت في دعاء إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام ، لأن المقام اقتضاها ، فقد قال : يتلوا ، ولم يقل تالياً « للإشارة إلى أن هذا الكتاب تتكرر تلاوته »<sup>(٤)</sup> وعبر بالأفعال كذلك لاستحضار الصورة في الأذهان ، ونجد في الآية ملمحاً رائعاً في دقة اختيار القرآن لحروف الجر حينما قال : ﴿ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ « أي من أنفسهم فإن البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبي ﷺ فهو الذي أجيب به دعوتهما عليهما السلام »<sup>(٥)</sup> .

وفي قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ

(١) دلائل الإعجاز / ١٧٤ .

(٢) المصدر السابق / ١٧٤ .

(٣) البقرة / ١٢٩ .

(٤) التحرير والتنوير / ١ / ٧٢٣ .

(٥) تفسير أبي السعود / ١ / ١٦٢ .

ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ ﴿١﴾ عبر بالفعل ينادي على صيغة المضارع دون الماضي على الرغم من أن الفعل قبله ( سمعنا ) فعل ماضٍ فيمكن أن يقال : سمعنا منادياً نادى للإيمان ، لكن لأن النداء هنا مفيدٌ بالإيمان ، والدعوة إلى الإيمان لا بد أن تكون مستمرة متجددة ، فالإيمان كالنبته لا بد من تعهده بالرعاية والسقاية حتى يخضر ويثمر ، لأنه متى ما أهمل وتُرك يبس وتحطم ، فاقترضى السياق التعبير بالفعل المضارع ليدل على ضرورة تكرار النداء وحدوثه باستمرار لإحياء القلوب بالإيمان مع ما في التعبير بالمضارع ” ينادى “ من استحضار لهذه الصورة حتى لكانها ماثلة للعيان .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنْ أَلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) نجده أثر التعبير بالفعل المضارع يترقب ليصور « هيئة القلق الذي يتلفت ويتوجس ، ويتوقع الشر في كل لحظة ، وهي سمة الشخصية الانفعالية تبدو في هذا الموقف كذلك والتعبير يجسم هيئة الخوف والقلق بهذا اللفظ » (٣) فخوفه ثابتٌ لذا عبر عنه بالاسم ( خائفاً ) أما ترقبه يمنية ويسرة فمتجدد فكان حقه التعبير عنه بالفعل المضارع .

وفي قوله تعالى : ﴿ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامِنَّا فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٤) نلاحظ أن

(١) آل عمران / ١٩٣ .

(٢) القصص / ٢١ .

(٣) في ظلال القرآن م٥ / ٢٠ / ٢٦٨٢ ، ٢٦٨٣ .

(٤) المائدة / ٨٣ .

الفعل تفيض دلّ على حال النصارى عند سماعهم الحق من رسول الله ففاضت أعينهم من خشية الله ، فدمعهم مستمر لاستمرار مسببه وهو سماع الحق وتدبر معانيه ، فعبر عنه بالفعل ليدل على تجدد حدوثه واستمراره ، أيضاً في استخدام الفعل ( اكتبنا ) حيث « رغبوا في أن يكونوا عنده في عداد الشاهدين بالحق من مؤمني الأمم ، وعبروا عن فعل الله ذلك لهم بلفظ : فاكتبنا ، إذ كانت الكتابة تقيّد وتضبط ما يحتاج إلى تحقيقه وعلمه في ثاني حال » (١) .

---

(١) البحر المحيط ٣ / ١٧٤ .

## ب - إيثار أفعال دون غيرها .

هنالك أفعال لا يمكن أن يؤدي غيرها معناها لذلك آثرها القرآن في نظمه ، فكانت قوية الدلالة تصل إلى قلب القارئ قبل أذنه وتؤثر في نفسه من ذلك الفعل ( أفرغ ) قال تعالى : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . ففي اختيار الفعل أفرغ ما « يصور مشهد الصبر أيضاً من الله يفرغه عليهم فيغمرهم وينسكب عليهم سكينه وطمأنينه واحتمالاً للهلول والمشقة »<sup>(٣)</sup> فهو « سؤال بأن يصب عليهم الصبر حتى يكون مستعلياً عليهم ، ويكون لهم كالظرف وهم كالمظروفين فيه »<sup>(٤)</sup> ويدل لفظ أفرغ على كثرة المفرغ وهو الصبر ، فالسياق تطلب هذا الفعل دون غيره لأن الموقف موقف الشدة والكرب في ملاقات العدو ، فرداً كان كفرعون ، أو جماعة كجالوت وجنده . والفعل ( ثبَّت ) قوى المعنى وأظهر شدة الموقف أيضاً فقد صور حاجتهم للثبات النفسي على الإيمان والرسوخ عليه ، وليس المراد البقاء في مكان واحد - في أرض المعركة - لأن في ذلك هلاكهم ، لكن « ثبات القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة

(١) البقرة / ٢٥٠ .

(٢) الأعراف / ١٢٦ .

(٣) في ظلال القرآن م ١ / ٢ / ٢٦٩ .

(٤) البحر المحيط ٢ / ٥٩٢ .

لا مجرد التقرر في حيز واحد»<sup>(١)</sup> . فنبات أقدامهم في المعركة هو إنعكاس طبيعي لشعورهم الداخلي نتيجة إفراغ الصبر عليهم .

ومن الأفعال التي آثرها القرآن أيضاً الفعل ( هب ) في قوله تعالى :  
﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾<sup>(٢)</sup> على لسان سيدنا زكريا عليه السلام حيث آثر تقديم تضرعه لله معبراً فيه عن حاجته للولد بالفعل ( هب ) « لأن الهبة إحسانٌ محض ليس في مقابلتها شيء يكون عوضاً للواهب ، ولما كان كذلك يكاد يكون على سبيل مالا تسبب فيه : لا من الوالد لكبر سنه ، ولا من الوالدة لكونها عاقراً لا تلد ، فكان وجوده كالوجود بغير سبب أتى هبة محضة منسوبة إلى الله تعالى بقوله :  
﴿ مِنْ لَدُنْكَ ﴾ أي من جهة محض قدرتك من غير توسط سبب »<sup>(٣)</sup> .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾<sup>(٤)</sup> وفي قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾<sup>(٥)</sup> آثر القرآن الفعل ( أوزعني ) على غيره حيث أن معناه « ألهمني وأولعني به »<sup>(٦)</sup> أي « اجمع جوارحي ومشاعري ولساني وجناني وخواطري وخلجاتي وكلماتي وعباراتي وأعمالي وتوجيهاتي . اجمع طاقاتي

(١) تفسير أبي السعود ١ / ٢٤٤ .

(٢) آل عمران / ٣٨ .

(٣) البحر المحيط ٣ / ١٢٦ .

(٤) النمل / ١٩ .

(٥) الأحقاف / ١٥ .

(٦) لسان العرب مادة (وزع) ١٥ / ٢٨٧ .

كلها أولها على آخرها وآخرها على أولها ( وهو المدلول اللغوي لكلمة أوزعني ) لتكون كلها في شكر نعمتك عليّ وعلى والديّ . وهذا التعبير يشي بنعمة الله التي مست قلب سليمان عليه السلام في تلك اللحظة ويصور نوع تأثيره وقوة توجهه وارتعاشه وجدانه وهو يستشعر فضل الله الجزيل ويتمثل يد الله عليه وعلى والديه ، ويحس مس النعمة والرحمة في ارتياح وابتهاال «<sup>(١)</sup>» وتأمل روعة البيان القرآني في تقييده الضحك بالتبسم وما يدل عليه من الأسرار البلاغية التي لا نجد لها إلا في هذا النظم المعجز<sup>(٢)</sup> .

ومن الأفعال التي آثرها القرآن أيضاً الفعل ( نجى )<sup>(٣)</sup> ومن صيغته ( انجيتنا )<sup>(٤)</sup> ( نجنا )<sup>(٥)</sup> ففي هذا الفعل تظهر رغبة الداعين الملحة في سرعة

(١) في ظلال القرآن م ٥ / ١٩ / ٢٦٣٦ ، ٢٦٣٧ .

(٢) الحال ضاحكاً « هي التي كشفت عن فيض السرور وامتلاء النفس بمشاعر الإعجاب وإنشراح صدر سليمان بإدراكه ما قالته النملة ، وبمضمون ما قالت . لقد هزت عبارة النملة مشاعر سليمان هزاً عنيفاً ، هزته بحسن منطقتها ، وهزته بجرصها على بني جنسها ، وهزته بأدبها وهي تنزهه وجنوده عن تعمد إهلاك قومها : ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ففاضت هذه المشاعر على وجهه وثرغره ، وكان إغراقه في الضحك بقدر ما استغرقت مشاعره هذه المعاني ، فإبراز هذه المشاعر لا ينهض به إلا هذه الحال بما تنبئ عنه من فيض امتلاء النفس بالسرور » . من أسرار القيد بالحال في النظم القرآني د/ محمد الأمين الخضري / بحث مستل من مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة - العدد ١١ / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

(٣) الشعراء / ١٨ - ١٩ ، التحريم / ١١ .

(٤) يونس / ٢٢ .

(٥) يونس / ٨٦ .



الخلاص مما هم فيه « فنجا نجواً ونجاءً ونجاةً ونجايةً خَلَصَ »<sup>(١)</sup> وهو باشتقاقته المختلفة لا يكاد يُذكر إلاَّ عند الشدة والكرب العظيم<sup>(٢)</sup> ، كطلب النجاة من النار والعذاب ، أو من عدو غاشم متجبر ، أو من الإهلاك بالغرق . فالنجاة إذن طلبٌ للخلاص من كل ما سبق . وقد يتكرر ذكر الفعل (نجي) في دعاء بعض الداعين من ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله : ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> . فالدعاء السابق ورد على لسان لوط عليه السلام ، يطلب فيه من ربه النجاة من قومه ، فهم قوم سوءٍ حيث أنهم ابتدعوا أمراً مُنكراً لم يسبقهم إليه أحد من العالمين ، بل سُئوه فيمن بعدهم ، ولقبح هذا العمل لم يصرح به عليه السلام بل عبّر عنه بالاسم الموصول قائلاً : ﴿ مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> بل نراه يصف قومه بالمفسدين في قوله : ﴿ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> » وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب وإشعاراً بأنهم أحقّاء بأن يعجل

(١) بصائر ذوي التمييز ٥ / ٢٠ .

(٢) راجع : المعجم المفهرس في الآيات المندرجة تحت مادة (نجا) ٨٦١ / ٨٦٢ .

(٣) الشعراء / ١٧ - ١٨ .

(٤) الشعراء / ١٦٩ .

(٥) وقال يعملون ولم يقل يفعلون ، لأن العمل لما كان من امتداد زمان ، أما الفعل فيكون بسرعة ، وعملهم هذا أخذ زماناً حتى صار سُنَّةً متبعةً إلى يومنا هذا ، فأثر الفعل يعملون .

راجع : الاتقان للسيوطي ٢ / ٣٠٨ .

(٦) العنكبوت / ٣٠ .

لهم العذاب» (١) فتكرار الفعل يكشف عن رغبته في سرعة الخلاص من هؤلاء القوم .

وقد تكرر الفعل (نجي) أيضاً على لسان امرأة فرعون - آسيا بنت مزاحم - التي دعت ربها طالبة النجاة من طاغية مصر في قولها : ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) . ففي إثارة الفعل (نجي) وتكرارها إياه ، ما يدل على ضعفها كأنتى وأنها في حاجة ماسة إلى الخلاص من الزمرة الفاسدة وعلى رأسها فرعون ، الذي أفردته عن القوم لسوء عمله وعظم ما فعله بالمؤمنين أمثال السحرة الذين آمنوا بموسى ، ونجدها في هذه الآية قد جمعت بين (عندك وفي الجنة) حيث « طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب أعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها ﴿ فِي الْجَنَّةِ ﴾ أو أرادت ارتفاع الدرجة في الجنة وأن تكون جنتها من الجنان التي هي أقرب إلى العرش وهي جنات المأوى ، فعبرت عن القرب إلى العرش بقولها ﴿ عِنْدَكَ ﴾» (٣) . فقصر فرعون - حيث المتع الكاملة - لم يكن مكاناً آمناً لها ولإيمانها وهي الأنتى الضعيفة التي لم تؤثر فيها قوة فرعون وتجره ، ولم تمنعها من الاتجاه إلى الله طالبةً منه النجاة .

(١) تفسير البيضاوي ٧ / ٩٩ بهامش حاشية الشهاب .

(٢) التحريم / ١١ .

(٣) الكشاف / ٤ / ٥٥٩ .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾<sup>(١)</sup> تجد لفظة يصطرخون « وهي بجرسها الغليظ الصاحب ورنينها

الخشن الصاك ، الذي يكاد يخترق صماخ الأذن ، تمثل الموقف أدق تمثيل .  
فإن الصراخ المنبعث من نفوس تئن تحت وطأة العذاب صراخ عال مدوٍ يختلط  
بعضه ببعض - بدءاً ونهاية - ويملاً المكان صخباً ورنيناً<sup>(٢)</sup> .

ولا يمكن الشعور بذلك الإحساس لو وضعت كلمة ( يدعون ) مكانها ،  
لرقتها وهدوئها .

فكلمة ( يصطرخون ) « تلقي إليك ظلَّ الإهمال لهذا الاصطراخ الذي لا  
يجد من يهتم به أو يلبيه ، وتلمح من وراء ذلك كله صورة ذلك العذاب  
الغليظ الذي هم فيه »<sup>(٣)</sup> .

---

(١) فاطر / ٣٧ .

(٢) خصائص التعبير القرآني ١ / ٢٦٣ .

(٣) التصوير الفني في القرآن / سيد قطب / دار الشروق / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م / ٩٢ .

## ج - الأفعال المتقاربة الدلالة :

تتقارب بعض الأفعال في دلالتها حتى يعتقد أنها تحمل المعنى ذاته ، فيحاول البعض تفسير أحدها بذكر مرادفه ، مع أن هنالك فروقاً دقيقة بينها ، وهي فروق تظهر في سياقات هذه الأفعال ، فكل فعل له دلالاته الخاصة به حتى أن غيره ينبو به المكان إن حلَّ به نحو ما نرى في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾<sup>(١)</sup> فالفعْلان ( اغفر وكفر ) قد يتبادر إلى الذهن فور سماعهما أنهما يؤديان المعنى ذاته ، مع أنه لو كان الأمر كذلك لما خولف بين مفعوليهما ، حيث جعل الغفران للذنوب ، والتكفير للسيئات .

وعند تأمل هذين الفعلين نجد أن الغفران من الله « هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب »<sup>(٢)</sup> لذا جاء مناسباً ( للذنوب ) ، فالذنب « يستعمل في كل فعل يستوخم عقباه اعتباراً بذنب الشيء ولهذا سمي الذنب تبعه اعتباراً لما يحصل من عاقبته »<sup>(٣)</sup> . أمّا التكفير وهو الستر والتغطية<sup>(٤)</sup> فقد ناسب ( السيئات ) حيث إن السيئة « الفعلة القبيحة ، وهي ضد الحسنه »<sup>(٥)</sup> والسيئة أخف من الذنب . فالغفران للذنوب لأنها أعظم ، ومتى ما وقع الإنسان فيها فهو في حاجة إلى الوقاية والحماية من الوقوع في عاقبتها - العذاب - فتراه يطلب من الله غفرانها .

(١) آل عمران / ١٩٣ .

(٢) مفردات الراغب / مادة ( غفر ) / ٣٦٢ .

(٣) مفردات الراغب / مادة ( ذنب ) / ١٨١ .

(٤) مفردات الراغب / مادة ( كفر ) / ٤٣٥ .

(٥) مفردات الراغب / مادة ( سوء ) / ٢٥٣ .

أما السيئات فلأنها أخف فطلب سترها وتغطيتها كفيل بأن يصير  
الإنسان بمنزلة من لم يعمل سيئة . وأيضاً كما قال الطيبي : « لأن الغفران  
مختص بفعل الله والتكفير قد يستعمل في العبد كما يقال كفر عن يمينه وهو  
مقتضى أن الثاني أخص من الأول » (١) .

ومما تقاربت دلالاته الفعلان ( مس - وأصاب ) وقد وردا في غير الدعاء  
في قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ  
يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ (٢) . وفي الدعاء ورد الفعل ( مس ) دون ( أصاب ) وذلك  
لأن السياق اقتضى هذا الفعل . ولا يمكن القول إن الفعلين مترادفان .  
يظهر ذلك في قول أيوب عليه السلام : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ  
الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا  
أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ (٤) .  
فهو لم يطلب الشفاء من ربه صراحة بل تعرضاً ، وليس ذلك فحسب بل إن  
الفعل ( مسني ) الذي ذكره في دعائه ناسب حالته الراضية لدعاء الله - ليس  
تكبراً والعياذ بالله بل لشعوره بضالة مصابه في مقابل النعيم الذي كان فيه  
وحياءً منه - فالفعل ( مسني ) من المس وهو : « الإصابة الخفيفة والتعبير به  
حكاية لما سلكه أيوب في دعائه من الأدب مع الله إذ جعل ما حلَّ به من

(١) حاشية الشهاب ٣ / ٩١ .

(٢) آل عمران / ١٢٠ .

(٣) الأنبياء / ٨٣ .

(٤) ص / ٤١ .

الضر كالمس الخفيف»<sup>(١)</sup> .

أيضاً من الأفعال التي تقاربت دلالتها الفعلان ( أعطى - وآتى ) .

وقد ورد الإيتاء في الدعاء دون الإعطاء في آيات عدّة<sup>(٢)</sup> . ويُلاحظ صعوبة التفريق بينهما عند الكثيرين ، لكن بتأمل السياقات القرآنية لهما يمكن القول بأن الإيتاء أقوى من الإعطاء ، ويدل على عظم المأتي على نحو ما صرح به الجويني<sup>(٣)</sup> في قوله : « [ الإيتان ]<sup>(٤)</sup> أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله ، لأن الإعطاء له مطاوع .... والفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الذي لا مطاوع له »<sup>(٥)</sup> . وحين تتأمل ما طلبه الداعون من ربهم وإيثارهم الفعل ( آتى ) دون ( أعطي ) الذي نجد فيه مزية أخرى غير القوة والعظمة تكمن في خفته على اللسان وسرعة انطلاقه وفيه كذلك دلالة على أنّ الإيتاء كالهبة المحضة بلا طلب على خلاف الإعطاء الذي لا بد أن يسبقه طلب . تجد أنّ المطلوب كان عظيماً فناسبت عظمته استخدام

(١) التحرير والتنوير ١٧ / ١٢٦ .

(٢) البقرة / ٢٠١ ، آل عمران / ١٩٤ ، يونس / ٨٨ ، يوسف / ١٠١ ، الكهف / ١٠ ، الأحزاب / ٦٨ ، الأعراف / ٣٨ .

(٣) أبو المعالي ركن الدين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ، الملقب بإمام الحرمين : أعلم المتأخرين ، من أصحاب الشافعي ، ولد في جوين سنة ٤١٩ هـ وتوفي بنيسابور سنة ٤٧٨ هـ ، له مصنفات كثيرة منها : البرهان في أصول الفقه ، الإرشاد ، الشامل في الدين .

انظر ترجمته في : الأعلام ٤ / ١٦٠ .

(٤) لعلها ( الإيتاء ) فيكون في الكلمة تصحيفاً بدليل قوله في السطر الأخير من نصه « فالإيتاء

إذن أقوى من الإعطاء » راجع البرهان ٤ / ٨٥ .

(٥) البرهان في علوم القرآن ٤ / ٨٥ .

الفعل ( آتي ) ويتجلى ذلك بوضوح على ألسنة أصحاب الكهف في قولهم :  
﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ... ﴾<sup>(١)</sup> ، وألسنة المعذبين في النار :  
﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله :  
﴿ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾<sup>(٣)</sup> . فطلب الرحمة على ألسنة  
أهل الكهف ناسبه استخدام الفعل آتي ، فرحمة الله لهم وهم في هذا الكرب  
والضيق مطلبٌ مهم وعظيم . كذلك طلب مضاعفة العذاب لمن أضل هؤلاء  
المعذبين في الدنيا هو نوع إنتقام ، فهم تحملوا وزرهم ووزر هؤلاء الذين  
أضلوهم فاستحقوا مضاعفة العذاب لهم . وهذا أمرٌ مهم كذلك بالنسبة  
لهؤلاء المعذبين .

ولعلك أيها القارئ الكريم من خلال ما تقدم تكون على يقين بأن  
الدعاء القرآني - كآيات القرآن كلها - بلغ الغاية في إثثار أفعالٍ دون غيرها  
لما تؤذن به من أسرار بلاغية ، ومن خلال ما سبق وجدنا أنه لا ترادف في  
القرآن حيث لكل فعلٍ معناه المستقل الذي يؤديه في قوة وجمال ، وكيف أن  
بعض الأفعال تتقارب دلالتها ولا يستطيع القارئ التفريق بينها إلا بدراسة  
سياقاتها ، وتلمس معانيها الخفية . وهذا نمطٌ فريدٌ معجز من القول لا نكاد  
نظفر على مثله إلا في هذه المعجزة الخالدة .

(١) الكهف / ١٠ .

(٢) الأعراف / ٣٨ .

(٣) الأحزاب / ٦٨ .

## المبحث الخامس

### دلالات إنما والنفي والاستثناء

النفي والاستثناء وإنما طريقتان من طرق القصر كان يفترض دراستهما معاً في مبحث مستقل يحمل عنوان القصر ، لكونهما من أبرز طرقه الدالة عليه ، إلى جانب الطرق الأخرى ، كالتقديم ، والعطف ونحوهما ، إلا أن طبيعة البحث اقتضت تقسيم الموضوع الواحد ، ودراسة كل جزئية منه على حده ، بحيث نفرّد مبحثاً لدراسة إنما والنفي والاستثناء ودلالاتها البلاغية ، ومبحثاً آخر نفرّد فيه التقديم بجديث مستقل<sup>(١)</sup> لكونه ليس دالاً في كل حالاته على القصر ، بل نرى البلاغيين ينصون على أن التقديم يكون للعناية والاهتمام بالمقدّم ، وقد أشار سيبويه<sup>(٢)</sup> إلى هذه الدلالة عند حديثه عن الفاعل والمفعول قائلاً : « كأنهم يقدّمون الذي بيانه أهم لهم ، وهم بيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يُهمّانهم ويعنيانهم »<sup>(٣)</sup> .

هذا ما يتعلق بالتقديم ، أمّا العطف بلا وبلا ولكن ، فمن خلال تتبع الآيات نجده لم يرد في آيات الدعاء .

وترك دراسة العطف بهذه الأدوات ضمن موضوع القصر يرجع إلى أمرين :

---

(١) راجع المبحث الأول / الفصل الأول ص ٩٥ .  
(٢) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه ولد سنة ١٤٨ هـ وتوفي سنة ١٨٠ هـ .  
انظر الأعلام ٥ / ٨١ .  
(٣) دلالات الإعجاز / ١٠٧ .



أولاً : عدم ورودها في آيات الدعاء .

ثانياً : عدم دلالتها على القصر أخذاً برأي الإمام بهاء الدين السبكي<sup>(١)</sup> الذي قال فيه : « العطف بلا فأي قصر فيه ، إنما فيه نفي وإثبات فقولك زيدٌ شاعر لا كاتب لا تعرض فيه لنفي صفة ثالثة والقصر إنما يكون بنفي جميع الصفات .... ، وأما العطف بيل فأبعد .... »<sup>(٢)</sup> .

ولو تركنا التقديم والعطف جانباً ، فإنه لا يتبقى لدينا من طرق القصر سوى طريقي إنما والنفي والاستثناء .

وهذان الطريقتان قد وردا في آيات القرآن الكريم كثيراً ، وكان للدعاء نصيبٌ منهما ، وستناولهما بالدراسة والتحليل في الصفحات التالية :

### دلالة إنما :

إنما أداة رقيقة ناعمة ، تتكون من « إنَّ التي للتأكيد ، وما المؤكدة لا النافية »<sup>(٣)</sup> وتستعمل في الأمر الذي لا ينكره المخاطب ولا يجهله أو ما ينزل منزلته ، وهي في رأي الشيخ عبد القاهر : « أقوى ما تكون وأعلق ما تُرى بالقلب ، إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه ، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه »<sup>(٤)</sup> .

---

(١) بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي ، فاضل ولي قضاء الشام ولد سنة ٧١٩ هـ وتوفي سنة ٧٦٣ هـ مجاوراً بمكة . ومن مصنفاته : عروس الأفراح ، شرح تلخيص المفتاح .

انظر ترجمته في : الأعلام ١ / ١٧٦ .

(٢) عروس الأفراح / بهاء الدين السبكي / ضمن شروح التلخيص / دار الكتب العلمية / بدون / ٢ / ١٨٧ .

(٣) الإيضاح / م / ١ / ج ٢ / ٢٨ .

(٤) دلائل الإعجاز / ٣٥٤ .

إذاً فأقوى دلالاتها القصر الذي تدل عليه في أصل وضعها يليه التعريض .  
وقد وردت في القرآن الكريم مائة وسبعاً وثلاثين مرة<sup>(١)</sup> ، كان نصيب الدعاء  
منها آية واحدة ، جاءت على لسان يعقوب عليه السلام حينما شعر أنّ حزنه  
على يوسف قد بلغ مبلغه وأطبق على صدره ، فبثه قائلاً :  
﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾<sup>(٢)</sup> أي « إني لا أشكو إلى أحد منكم  
ومن غيركم إنما أشكو إلى ربي داعياً له وملتجئاً إليه ، فخلوني وشكايتي »<sup>(٣)</sup> .

فيعقوب عليه السلام صورّ ما ألمّ به من شجنٍ وحزن نتيجة فقد ولده ،  
وعبر عن ذلك أداة هادئة ناسبت الجو العام للآية الذي يمتاز بهدوء الجرس ،  
ومرد هدوئه ناتج عن يقينه بأنّ الله هو الواحد القادر على تفريج ما به من  
كربٍ وهمٍّ لذلك قال : ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> « أي من  
صنعه ورحمته وحسن ظني به أنه يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب »<sup>(٥)</sup> .

وإنما في الآية لم تأتٍ للتعريض ، إنما جاءت للقصر في أمرٍ لا ينكره  
المخاطب ولا يجهله فقد قصر يعقوب عليه السلام بثّ حزنه وشكايته إلى الله  
دون غيره ، من باب قصر الصفة على الموصوف قصر حقيقياً .

---

(١) راجع معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم / للدكتور إسماعيل عمایره ، والدكتور

عبد الحميد السيد / مؤسسة الرسالة / الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٢٥ - ١٥٧ .

(٢) يوسف / ٨٦ .

(٣) الكشاف / ٢ / ٤٨٠ .

(٤) يوسف / ٨٦ .

(٥) الكشاف / ٢ / ٤٨٠ .

ولعل استعمال إنما في الدعاء مرة واحدة ، رغم كثرة ورودها في القرآن الكريم في غير الدعاء يثير تساؤلاً عن السر في ذلك ؟ مما يستوجب علينا معرفة المعاني التي دارت حولها إنما في الآيات كلها ، وبالرجوع إليها نجدتها كالاتي :

(أ) جاءت مقررة لحقائق معينة، وهذا كثير جداً ، ومن هذه الحقائق ما يأتي:

١ - تقرير حقيقة الوحدانية والألوهية ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ <sup>(١)</sup> ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا <sup>(٢)</sup> ﴾ وغيرها <sup>(٣)</sup> .

٢ - تقرير حقيقة إيجاد الأشياء ، نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ <sup>(٤)</sup> ﴾ وقوله : ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ <sup>(٥)</sup> ﴾ .

٣ - تقرير حقيقة الرسل ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ <sup>(٦)</sup> ﴾ وقوله ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ <sup>(٧)</sup> ﴾ وقوله :

(١) الكهف / ١١٠ .

(٢) طه / ٩٨ .

(٣) راجع معجم الأدوات والضمائر / ١٢٨ / ١٢٩ / ١٣٩ / ١٤٠ .

(٤) النحل / ٤٠ .

(٥) آل عمران / ٤٧ .

(٦) الرعد / ٧ .

(٧) الحج / ٤٩ .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴾<sup>(٢)</sup> .

٤ - تقرير حقيقة تعلق الهداية والضلال ، قال تعالى : ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله : ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ﴾<sup>(٥)</sup> .

٥ - تقرير حقيقة الشكر ، في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾<sup>(٦)</sup> وقوله : ﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾<sup>(٧)</sup> .

٦ - تقرير حقيقة مثل الحياة الدنيا : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾<sup>(٨)</sup> .

٧ - تقرير حقيقة الجزاء والحساب وأنه يوم القيامة : ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾<sup>(٩)</sup> .

(١) فصلت / ٦ .

(٢) الغاشية / ٢١ .

(٣) الإسراء / ١٥ .

(٤) الزمر / ٤١ .

(٥) سبأ / ٥٠ .

(٦) النمل / ٤٠ .

(٧) لقمان / ١٢ .

(٨) يونس / ٢٤ .

(٩) آل عمران / ١٨٥ .

وقوله : ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ لَا تَعْتَدِرُوا الْيَوْمَ  
إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

(ب) جاءت لتوضيح مفاهيم عامة ، من هذه المفاهيم ما يأتي :

١ - مفهوم أهل الإيمان قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا  
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾<sup>(٣)</sup> . وقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ  
وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾<sup>(٥)</sup> .

٢ - مفهوم النجوى ومصدرها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ  
الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا .. ﴾<sup>(٦)</sup> .

(ج) جاءت لتوضيح جملة من الأحكام أو التنفير منها من ذلك :

١ - توضيح حكم النسيء<sup>(٧)</sup> ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي  
الْكَفْرِ .. ﴾<sup>(٨)</sup> .

(١) المؤمنون / ١١٧ .

(٢) التحريم / ٧ .

(٣) النور / ٦٢ .

(٤) الأنفال / ٢ .

(٥) الحجرات / ١٠ .

(٦) المجادلة / ١٠ .

(٧) النسيء : هو تأخير حرمة شهر إلى آخر .

(٨) التوبة / ٣٧ .

٢ - التنفير من الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ... ﴾<sup>(١)</sup> .

٣ - التنفير من أكل أموال اليتامى ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ

نَارًا... ﴾<sup>(٢)</sup> .

٤ - توضيح مصارف الصدقات ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ

لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ... ﴾<sup>(٣)</sup> .

٥ - حكم الأولاد والأموال ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ

فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ... ﴾<sup>(٤)</sup> .

٦ - التنفير من أكل الميتة والدم ولحم الخنزير : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ

الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ ... ﴾<sup>(٥)</sup> .

(د) جاءت جواباً لسؤال ، نحو قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ

السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾<sup>(٦)</sup> .

(١) المائدة / ٩١ .

(٢) النساء / ١٠ .

(٣) التوبة / ٦٠ .

(٤) التغابن / ١٥ .

(٥) النحل / ١١٥ .

(٦) الأحزاب / ٦٣ .

(هـ) جاءت في أسلوب المحاورات تأكيداً لحجة كل فريق قال تعالى :

﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله :

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَنْقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ... ﴾<sup>(٢)</sup> .

هذه أبرز المعاني التي دارت حولها إنما ، وهي في مجملها « معانٍ مانوسة قريبة من النفوس ، فلا تدخل على الحقائق الغريبة ، والأفكار البعيدة ، هذا هو الأصل فيها .. »<sup>(٣)</sup> « ونجد الكلام السابق عليها في أكثر الأساليب كأنه تهيئة للفكرة التي دخلت عليها ، وتمهيد لها ، ونجد هذا التمهيد يقوى حتى لتكاد النفس اليقظى والفهم المتسارع يدرك الفكرة التي دخلت عليها قبل قراءتها أو سماعها »<sup>(٤)</sup> .

ولو نظرنا إلى إنما في آية الدعاء لوجدناها - والله أعلم - قد وقعت جواباً لسؤال ، يؤيده ما رواه الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية حيث يقول :

« قيل : دخل على يعقوب جاراً له فقال : يا يعقوب ، قد تهشمت وفنيت وبلغت من السن ما بلغ أبوك ! فقال : هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف ، فأوحى الله إليه : يا يعقوب ، أتشكوني إلى خلقي ؟ قال : يا رب خطيئة أخطأتها فاغفر لي ، فغفر له ، فكان بعد ذلك إذا سئل قال : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله »<sup>(٥)</sup> .

(١) هود / ٣٣ .

(٢) طه / ٩٠ .

(٣) دلالات التراكيب / ١٤٨ .

(٤) المرجع السابق / ١٥٠ .

(٥) الكشف / ٢ / ٤٨٠ .

## دلالة النفي والاستثناء :

النفي والاستثناء أسلوب كثير الورد في بيان العربية شعرها ونثرها ، ولعل من أقدم الإشارات التاريخية في تراثنا إلى النفي والاستثناء ما ذكره أبو علي الفارسي<sup>(١)</sup> في الشيرازيات عند حديثه عن ( إنما ) موضحاً أنها متضمنة معنى ما وإلا ، ثم جاء بعده الشيخ عبد القاهر الذي استثمر هذا النص ، وبيّن ما بين النفي والاستثناء وبين إنما من اختلاف في الدلالة . بأنّ هناك فرقاً بين « أن يكون في الشيء معنى الشيء ، وبين أن يكون الشيء الشيء على الإطلاق »<sup>(٢)</sup> .

وفي حديثه عن أوجه الاختلاف بين إنما ، وبين النفي والاستثناء ، أشار الشيخ عبد القاهر إلى - أنّ الخبر بالنفي والإثبات يكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه ، أمّا إنّما فهي للأمر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته ، أو لما ينزل هذه المنزلة<sup>(٣)</sup> .

والنفي والاستثناء يدخل على معانٍ يُحتاج فيها إلى مزيد توكيد وتقرير فلا « تلقاك هذه الأداة إلاّ حين تلقاك النبرة العالية والنعمة الحاسمة والتعبير الشديد »<sup>(٤)</sup> .

---

(١) أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل ، أحد الأئمة في علم العربية ، ولد في فسا في سنة ٢٨٨ هـ وتوفي في بغداد سنة ٣٧٧ هـ . وتحوّل في كثير من البلدان ، وله عدة مصنفات منها : المسائل الشيرازية ، والتذكرة في علوم العربية .

انظر ترجمته في : الأعلام ٢ / ١٧٩ - ١٨٠ ، وقد تحدث عن تلك المسألة مشيراً إلى كلام الزجاج والنحاة والمفسرين .

(٢) دلائل الإعجاز / ٣٢٩ .

(٣) يراجع المصدر السابق / ٣٣٠ - ٣٣٢ .

(٤) دلالات التراكيب / ١٠٥ .



وعده البلاغيون طريقاً من طرق القصر الاصطلاحية ، وقد أجمعوا على ذلك إلا بهاء الدين السبكي . وقد بسط شراح التلخيص القول في ذلك عند شرحهم طرق القصر ، وبخاصة عند شرحهم لقول القزويني<sup>(١)</sup> : « ومنها النفي والاستثناء » وكيف أنه لم يقل الاستثناء ؟ يقول ابن يعقوب<sup>(٢)</sup> : « لأن الاستثناء من الإثبات كقولك جاء القوم إلا زيدا ليس من طرق القصر إذ الغرض منه الإثبات ، والاستثناء قيد فكأنك قلت : جاء القوم المغايرون لزيد ، ولو كان من طرقه ، لكان أيضاً من طرقه نحو قولك : جاء الناس الصالحون ، بخلاف ما قدم النفي فيه ، ثم أتى بالاستثناء سواء ذكر المستثنى منه أم لا فإن الغرض منه النفي ثم الإثبات المحققان للقصر ... »<sup>(٣)</sup> .

إلا أن السبكي - كما ذكرنا - قد خالفهم في ذلك قائلاً : « الاستثناء قصرٌ سواء كان مع النفي أم الإيجاب كقولك قام الناس إلا زيدا فإنك قصرت عدم القيام على زيد ، لا يقال لو قصرت عدم القيام على زيد لكان

---

(١) أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين القزويني الشافعي المعروف بخطيب دمشق ، ولد بالموصل سنة ٦٦٦ هـ وولي القضاء في ناحية بالروم ثم قضاء دمشق فقضاء القضاة بمصر ، من مصنفاته ، تلخيص المفتاح ، والإيضاح ، والسور المرجاني من شعر الأرجاني ، وتوفي بدمشق سنة ٧٣٩ هـ .

انظر ترجمته في : الأعلام ٦ / ١٩٢ .

(٢) ابن يعقوب هو محمد بن يعقوب المغربي ولد عام ١١١٠ هـ من أهل مكناس بالجزائر لا نعلم له تاريخ وفاة . ينظر تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها / أحمد مصطفى المراغي ، ط ١ ، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م ، شركة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر / ص ١٩٠ .

وقيل هو : أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب الولاوي المغربي المتوفى سنة ١١٢٨ هـ .

ينظر من أسرار البلاغة في القرآن / تأليف د. محمود السيد شيخون / ص ٢٤٥ .

(٣) مواهب الفتاح / لابن يعقوب المغربي ضمن شروح التلخيص ٢ / ١٩١ .

في قولك قام الناس إلا زيداً نفي لقيام غير الناس لأننا نقول هو قصر لعدم القيام بالنسبة على الناس إلى زيد ... فقولهم من طرق الحصر النفي والاستثناء لا يظهر فيه مناسبة للتعرض للنفي»<sup>(١)</sup> .

وقد شاع استخدام أسلوب النفي والاستثناء في النص القرآني ووظف في آيات الدعاء في إحدى عشرة آية ، وردت جميعها مستثناة بإلا على الرغم من تنوع أدوات الاستثناء ما بين حرف واسم وفعل<sup>(٢)</sup> .

وجاءت كل هذه الآيات في مواقف الشدة ، وصورت في معظمها قوة الصراع بين الحق والباطل ، وعبرت عن نفسيات قاست الألم والظلم ، لذا كثر هذا الأسلوب في تلك المواقف ، لقدرته على إبراز الأحداث في صورة قوية مرعدة لا يمكن لأداة أخرى أن تقوم بأدائها على هذا النحو .

ومعلوم أن الأنبياء أشد الناس تعرضاً للأذى والظلم من قبل أقوامهم ، فقد جاء على لسان نوح عليه السلام قوله : ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله : ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾<sup>(٤)</sup> فنوح عليه السلام آثر في دعائه أسلوب القصر ، ولم يقل : رب زد الظالمين ضلالاً ، وزد الظالمين تباراً . ولعل هذا التعبير يكشف شدة غيظ نوح منهم فهو لم يدع بهذين الدعائين السابقين إلا بعد أن مكث يدعو قومه إلى الحق ألف سنة إلا خمسين ، مستخدماً خلالها كل وسائل الإقناع غير أنه لم يؤمن به إلا

(١) المرجع السابق ٢ / ١٩١ .

(٢) راجع النحو الوافي / باب الاستثناء ٢ / ٣١٥ .

(٣) نوح / ٢٤ .

(٤) نوح / ٢٨ .

القليل ، وحينما أوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من آمن ، دعا عليهم .  
ونراه في دعائه آثر وصفهم بالظالمين ولم يقل قومي « وفي العدول إلى الظالمين  
اشعاراً باستحقاقهم الدعاء عليهم وإبداءً لعذره عليه السلام، وتحذيراً ولطف  
لغيرهم، وفيه أنه بعض ما يتسبب من مساويهم»<sup>(١)</sup>.

ونلاحظ تكرار مجيء الفعل ( زاد ) بصيغته المختلفة في أحداث قصة نوح ،  
وفي أكثر من أسلوب قصر ، لمناسبة التزايد في زمان القصة وأحداثها<sup>(٢)</sup> .

وفي الآيتين نجد أن النفي والاستثناء قد أفاد القصر وهو من قصر الصفة  
على الموصوف قصرًا إضافيًا ، حيث قصر الزيادة المدعو بها على الظالمين ،  
على كونها زيادة في الضلال والتبار .

« والمراد بالضلال المدعو بزيادته إما الضلال في ترويح مكرهم ومصالح  
دنياهم .... وإما الضلال بمعنى الهلاك كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ  
فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾<sup>(٣)</sup> وهو مأخوذ من الضلال في الطريق لأن من ضل  
فيها هلك فيكون المعنى أهلكتهم وفسره ابن بحر بالعذاب ، وهو قريب مما  
ذكر .. »<sup>(٤)</sup> .

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٢٩ / ٧٨ .

(٢) راجع أساليب القصر / د. صباح عبيد / مطبعة الأمانة بمصر / الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ /

٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ .

(٣) القمر / ٤٧ .

(٤) روح المعاني / ٢٩ / ٧٨ ، ٧٩ .

أما التبار فهو الهلاك والخسار . وقد عدَّ الطاهر ابن عاشور الاستثناء في الآية الثانية منقطعاً بقوله : « واستثناء إلا تباراً منقطع لأن التبار ليس من الزيادة المدعو بنفيها ... »<sup>(١)</sup> ولم أجد ذلك عند غيره من المفسرين .

ومن الأنبياء الذين لقوا ما لقيه نوح عليه السلام من ظلم وقهر من قبل أقوامهم ، موسى عليه السلام ، فقومه بنو إسرائيل جبلوا على العناد والكبر ، وبلغ من ضلالهم وتعنتهم أنهم عبدوا العجل من دون الله بعدما أنعم عليهم وأكرمهم بالنجاة من فرعون ، ثم لم يكتفوا بذلك بل عصوا أمر ربهم حينما طلب منهم موسى القتال معه وقالوا : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون .. »<sup>(٢)</sup> حينها بث حزنه وشكواه إلى الله قائلاً : ﴿ رَبِّ إِنِّي لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۗ ﴾<sup>(٣)</sup> .

قال موسى ذلك القول ولم يعتد بمن آمن معه وكانا رجلين ، « لما رأى من تلون القوم وتقلب آرائهم فكأنه لم يثق بهما ولم يعتمد عليهما »<sup>(٤)</sup> .  
« وقيل : ليس القصد إلى القصر بل إلى بيان قلة من يوافقه تشبيهاً لحاله بحال من لا يملك إلا نفسه وأخاه ... »<sup>(٥)</sup> .

بيد أنه - والله أعلم - يمكن أن يكون في الآية قصرٌ وهذا لا يتعارض

(١) التحرير والتنوير / محمد الطاهر ابن عاشور / ٢٩ / ٢١٥ .

(٢) المائدة / ٢٤ .

(٣) المائدة / ٢٥ .

(٤) روح المعاني / ٦ / ١٠٨ .

(٥) روح المعاني / ٦ / ١٠٨ .

أبدأً مع كون المراد بكلامه قلة من يوافقه . فالقصر في الآية قصر صفة الملك على موصوف هو أخوه، قصرًا حقيقياً غير تحقيقي لأنه كان معه رجلان غير هارون . فهذه اللحظات الشديدة القوية جعلت سيدنا موسى عليه السلام لا يعتد بمن معه غير هارون ، فجاء القصر بالنفي والاستثناء مناسباً لقوة الموقف وشدته . تلك الشدة التي نراها أيضاً عندما ذهب موسى عليه السلام مع سبعين رجلاً من قومه إلى الجبل ليعتذروا عن عبادة العجل .. فلما صعدوا الجبل ، وسمعوا كلام الله لموسى يأمره وينهاه قالوا : ﴿ يَمْوَسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً ﴾<sup>(١)</sup>.

فكان نصيبهم أن أخذوا بالرجفة ، فماتوا فقام موسى في شدة الموقف وهوله وقال : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ... ﴾<sup>(٢)</sup> « ابتلاؤك حين سمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية ، أو أوجدت في العجل حواراً فزاغوا به »<sup>(٣)</sup> . فقصر الفتنة أو الابتلاء على كونه من الله عز وجل لا من غيره قصرًا حقيقياً تحقيقياً، قصر صفة على موصوف ، ولعل مجيء الآية مبنية على القصر مما زاد المعنى قوة فصاحب قوة المعنى قوة في المبنى ، وأظهر الجو العام للحدث الذي كان مشحوناً بالخوف ، ( والخبر في قوله : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ مستعمل في إنشاء التمجيد بسعة العلم والقدرة والتعريض بطلب استبقائهم وهدايتهم )<sup>(٤)</sup>.

(١) البقرة / ٥٥ .

(٢) الأعراف / ١٥٥ .

(٣) تفسير البيضاوي بهامش حاشية الشهاب ٤ / ٢٢٣ .

(٤) التحرير والتنوير ٩ / ١٢٦ ، ١٢٧ .

ويستمر الصراع بين الحق والباطل ، يقود دَفَّةَ الخير الأنبياء وأهل الإيمان الذين كان لهم نصيب وافر من الأذى والتنكيل ، فقد أكرهوا على الرجوع عن دينهم ، بالتهديد تارة ، وبالتعذيب أخرى ، وخير مثال يصور الصراع القائم بين الحق والباطل ما لقيه أتباع شعيب عليه السلام من قومهم من بلاء وشدة وكرب ومع ذلك لا يحفلون بذلك التهديد ، فقوة إيمانهم أكسبتهم قوة استطاعوا من خلالها ، الرد عليهم بقول فيه من القوة والإيجاز ، الشيء الكثير ، فقد قالوا في صدق وعزيمة رافدهما الإيمان الذي فاضت أنواره في قولهم : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾<sup>(١)</sup> .

فالضمير في قولهم : ( فيها ) إمَّا أن يعود إلى القرية ، وإمَّا إلى الملة .

فمشيئة الله نافذة في الخير والشر « والمعنى : أنه لا يكون منا العود إلى الكفر إلا أن يشاء الله ذلك »<sup>(٢)</sup> .

وهذا قول أهل السنة ، وحينها يكون الاستثناء منقطعاً<sup>(٣)</sup> . والقصر في الآية الكريمة - والله أعلم - من باب قصر الصفة على الموصوف قصرأً حقيقياً تحقيقاً ، حيث قصرُوا رجوعهم إلى الملة أو القرية على مشيئة الله عز وجل ، وهذا مما يطابق الواقع ، فلا يمكن لأي عمل أن يتم دون أن ترعاه مشيئة الله . فثقتهم القوية بالله هي التي دفعتهم إلى هذا القول ، وكذلك حسن الظن به فحملت الأداة ( ما وإلا ) هذا المعنى وعبرت عنه أحسن تعبير ، وأكدت بذلك قوة اعتقادهم وبينت مدى رسوخ عقيدتهم . ولا يقل

(١) الأعراف / ٨٩ .

(٢) فتح القدير ٢ / ٢٢٥ .

(٣) راجع المرجع السابق / ٢٢٥ .

عنهم في ذلك سحرة فرعون الذين آمنوا برب موسى عليه السلام ، حينما عرفوا أن ما كان من موسى عليه السلام لم يكن سوى الحق من ربهم ، لا ما كانوا يفعلونه هم من خداع الناس وتعمية أبصارهم ، حينها دخل نور الإيمان قلوبهم ، حيث جابهت بقوة خوفها من فرعون وبطشه رغم معرفتهم المسبقة بمصيرهم ، وما سيكون من نقمة فرعون عليهم وذلك - والله أعلم - ليس لأنهم عجزوا عن مباراة موسى عليه السلام والانتصار عليه في تلك المناظرة الحاسمة التي جُمع لها سحرة المدينة كلهم ، ولا لأنهم لم ينتظروا الإذن من فرعون ليؤمنوا بموسى عليه السلام إنما هو لإيمانهم برب موسى عليه السلام لا بشيء غيره : ﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾<sup>(١)</sup> .

فهو قصر موصوف على صفة قصرًا إضافياً قصر أفراد ، حيث قصرُوا انتقامه منهم على كونهم آمنوا برب موسى عليه السلام لا غير .

ثم إن أحداث القصة تبين أن قولهم هذا كان كشفًا لما انطوت عليه نفس فرعون من الظلم ، وفيه إظهار لقوة تمسكهم بهذا الدين رغم حداثة إيمانهم ، وهول عقابهم المنتظر ، مما يدل على صدق دعوة موسى عليه السلام ، وإلا لما آمن به السحرة ، وهم ما هم من حيث المكانة والتقدير في ذلك العهد ، وقد طلبوا من الله إفراغ الصبر عليهم فهم في حاجة ماسة إليه ، يتسلحون به لمواجهة ما ينتظرهم من عذاب . وهو مطلب جند طالوت حيث قالوا : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا

(١) الأعراف / ١٢٦ .

عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ . مع ما بين الدعائين من اختلاف في ختامهما . فقد دعا السحرة وحرصوا على الوفاة على الإسلام ﴿٢﴾ وَتَوَفَّانَا مُسْلِمِينَ ﴿٣﴾ فهم أيقنوا أنه لا حياة لهم بعد أن يصب عليهم فرعون غضبه ، ووفاتهم على الإسلام خير جابرٍ لهم . أما جند طالوت ، فهم في أرض معركة ، والصبر وثبات القدم أمران مطلوبان ، ومعلوم أن الحرب سجال ، ولا بد فيها من وجود منتصر في النهاية ، سواء أكان النصر حليفاً للفئة القليلة أم للفئة الكثيرة .

لذا طلبوا النصر من الله على القوم الكافرين . وغير خاف أن أنصار الحق لا يمكن زحزحتهم عن اعتقادهم ، كيف لا ؟ وهم أتباع الأنبياء ، وحملة مشعل الهداية بعدهم ، فصبرهم وثباتهم في أكثر المواقف شدة هو دليل على صدق دعوتهم بنجدهم في كل أمة خلا فيها نذير ، منهم الربيون الذين وقفوا مع الحق ونصروه ، ولم يضعفوا رغم ما تعرضوا له من الأذى ، فصوّر القرآن حالهم قولاً وفعلاً ، صور أفعالهم وزباطة جأشهم وجهادهم وصبرهم على الأهوال . ونراه يصور أقوالهم ، وكيف أنها ناسبت أفعالهم فكوّنتا معاً قدوة يجب أن تحتذى .

ولم يكن موقف الجزع والهلع الذي هم فيه ليجعلهم ينطقون بقول غير قولهم : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿١﴾ .

(١) البقرة / ٢٥٠ .

(٢) آل عمران / ١٤٧ .



« فقصر قولهم في تلك الحالة التي يندر فيها صدور مثل هذا القول ، على قولهم ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ﴾ إلى آخره ، فصيغة القصر في قوله ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ قصر إضافي لرد اعتقاد من قد يتوهم أنهم قالوا أقوالاً تنبئ عن الجزع ، أو الهلع ، أو الشك في النصر ، أو الاستسلام للكفار»<sup>(١)</sup> .  
وفي هذا القصر تعريض « بما أصابهم»<sup>(٢)</sup> من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله ﷺ ، وبضعفهم عند ذلك من مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم ، حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان»<sup>(٣)</sup> .

ويمكن أن يكون القصر في الآية حقيقياً إذا أردنا حصر أقوالهم في تلك الحالة في قولهم هذا<sup>(٤)</sup> .

وحين نتأمل الآيات السابقة نجد أنه قد روعي فيها حال المخاطب ، إمّا لإزالة شكه وإنكاره أو ترده أو لقلب اعتقاده . غير أن هنالك آيات جاء القصر فيها ليس لمراعاة حال المخاطب ، كما في قوله تعالى على لسان يونس عليه السلام حينما دعا ربه في بطن الحوت : ﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> . كان يونس عليه السلام في حالة نفسية أظهر قوله السابق شدتها وعبر عنها خير تعبير ، فجاء القصر في دعائه ذائباً

(١) التحرير والتنوير ٤ / ١١٩ - ١٢٠ .

(٢) أي المؤمنين في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .

(٣) الكشاف ١ / ٤١٦ .

(٤) راجع التحرير والتنوير ٤ / ١٢٠ .

(٥) الأنبياء / ٨٧ .

في معنى التوحيد وشهادته الخالدة ، فقصر صفة الألوهية على الله الذي عبّر عنه بالضمير ( أنت ) وأتبعه بـ ( سبحانك ) تنزيهاً له عن أن يكون له شريك في هذه الصفة ، فقوله هذا من قصر الصفة على الموصوف قصرًا حقيقياً تحقيقياً ، لأن الألوهية صفة لا يمكن إدعاؤها لغير الله . فقول يونس عليه السلام جاء ضراعة وابتهالاً إلى الله « فلا يعقل فيه مراعاة حال المخاطب جل جلاله ، وإنما هو حال المتكلم وحسه بالمعنى ، وأنه متقرر في نفسه ، مؤكد في ضميره ، وتجد هذا في تأكيد الخبر بـ ( إن ) في قوله : ﴿ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ فالتوكيد فيها لا وجه له إلا الذي قلناه ، ولو أنك قلت : « لا إله إلا أنت سبحانك فأنا من الظالمين » لكان كلاماً ساقطاً وتراخياً مفاجئاً في سياق متوتر مشدود »<sup>(١)</sup> نتيجة ندمه على ما فعل ، ولهذا وصف نفسه بالظلم .

ونجد ذلك أيضاً في شهادة التوحيد التي كثر مجيؤها « خطاباً لني الإسلام ﷺ في عنائه الطويل مع أشد شعوب الأرض عناداً ، فكانت تنزل الآيات في مواقف الشدة تسري عن الرسول الكريم وتمده بالثقة ، وتشد أزره ، وتأمره بالفرع إلى الله والاعتماد عليه والمضي على نهج الدعوة مكثراً من ذكر الله متبعاً للوحي ، داعياً بشهادة التوحيد والهأ ، كما في قول الله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾<sup>(٢)</sup> »<sup>(٣)</sup> المقصور عليه في الآيتين السابقتين واحد هو الله سبحانه

(١) دلالات التراكيب / ١٠٨ .

(٢) التوبة / ١٢٩ .

(٣) أساليب القصر / ١٩١ .

وتعالى ، وقد عبّر عنه فيهما بطريقتين مختلفتين ففي الآية الأولى جاء لفظ الجلالة بالضمير المتصل ( أنت ) ، ذلك لأن القول صدر عن يونس عليه السلام مخاطباً به ربه ، أمّا في الآية الثانية فقد جاء المقصور عليه فيها بضمير الغائب ( هو ) لأن الآية تعليم من الله لرسوله كيفية الدعاء وقت الشدة .

من الآيات التي كان القصر فيها قوياً مناسباً لقوة أحداثها ما كان على لسان زكريا عليه السلام في قصته التي وردت في عدة مواضع من القرآن ، وحظيت سورتا الأنبياء ومريم بنصيبٍ عظيمٍ منها ، حين اشتاق عليه السلام للولد والذرية الطيبة . فدعا ربه بنداء خفي ، طالباً منه أن لا يتركه وحيداً ، ومعبراً عن شدة حاجته لولد من صلبه قائلاً : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾<sup>(١)</sup> . فكانت رحمة الله التي ظهرت في سرعة استجابته له ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ ... ﴾<sup>(٢)</sup> ففرح عليه السلام بذلك فرحاً عظيماً فطلب من الله عز وجل علامة تدل على تحقق مطلوبه بقوله : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ... ﴾<sup>(٣)</sup> أي « علامة أعرف بها الحبل لأستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار »<sup>(٤)</sup> ، فكان جواب ربه له : ﴿ قَالَ آيُتِكَ الْأَ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾<sup>(٥)</sup> ، وفي سورة مريم بقوله : ﴿ قَالَ

(١) الأنبياء / ٨٩ .

(٢) الأنبياء / ٩٠ .

(٣) مريم / ١٠ .

(٤) تفسير البيضاوي بهامش حاشية الشهاب ٣ / ٢٥ .

(٥) آل عمران / ٤١ .

ءَايَتِكَ إِلَّا تَكَلَّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ... ﴿١﴾ فقد حقق له الله طلبه - سبحانه - وجعل له العلامة التي أراد ، وأصبح لا يكلم الناس ، وهذه معجزة . والقصر في الآية قصر إضافي من قصر الموصوف على الصفة قصر تعيين ، وقيل : إنه استثناء منقطع فلا قصر فيه إنما سيق للتأكيد فقط<sup>(٢)</sup> .

وبين الآيتين تباين بسيط مع أن الأحداث واحدة ، وهذا على عادة القرآن فإنه إذا ذكر القصة في مكان ، وأعاد ذكرها في آخر ، نجد إضافة جديدة لا نجدها في التي قبلها ، ونلمح سرّاً دقيقاً وراء الاكتفاء بذكر الأيام في سورة آل عمران والليالي في سورة مريم ، وللعلماء آراء عديدة حول هذا الأمر ، فقد نظر لها بعضهم من حيث وقت النزول ومكانه ، رابطاً إياها بترتيب الأيام والليالي أيهما أسبق ، ومعروف عند العرب أن الليالي عندهم تسبق الأيام فهم يتتبعون الأهلّة ، ولما كانت الليالي أولاً في الترتيب فقد ذكرت في سورة مريم لكونها مكية أمّا الأيام فذكرت في آل عمران لأنها مدنية ، فأعطي السابق<sup>(٣)</sup> للسابق ، وهناك من العلماء من حاول النظر إلى الآية ذاتها متبعاً مفرداتها وسياقها ، من ذلك ما ذكره الإمام الغرناطي<sup>(٤)</sup>

(١) مريم / ١٠ .

(٢) انظر روح المعاني ٣ / ١٥٠ .

(٣) راجع تفسير البيضاوي ٦ / ١٤٨ بهامش حاشية الشهاب .

(٤) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي ، محدث مؤرخ من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس ، انتهت إليه الرياسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول ولد سنة ٦٢٧ هـ في جيان وتوفي سنة ٧٠٨ هـ في غرناطة ، من مصنفاته : ملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل ، البرهان في ترتيب سور القرآن .

انظر ترجمته في : الأعلام ١ / ٨٦ .

حيث قال : « في آية آل عمران يذكر الأيام ليناسب قوله : ﴿ الْآرْمِزَاتُ ﴾ إذ الرمز ما يفهم المقصود دون نطق بالإشارة بالعين وباليد وقال مجاهد بالشفيتين وكيفما كان فإنما يدرك بالعين ، ولما لم يذكر الرمز في آية مريم ذكر فيها الليل «<sup>(١)</sup> .

ولعله - والله أعلم - ذكر الأيام في آل عمران لأنه كان في بداية التكليف بعدم الكلام ، وذكر الليالي بعد ذلك إعلاناً بانتهاء الوقت المحدد للسكوت حيث قال في الآية بعدها : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ ... ﴾<sup>(٢)</sup> .

---

(١) ملاك التأويل ( القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه المتشابه للفظ من أي التنزيل )

للإمام أحمد بن إبراهيم الغرناطي / تحقيق : سعيد الفلاح / دار الغرب الإسلامي ، ط ١

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م / ١ / ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

(٢) مريم / ١١ .

## المبحث السادس

### أسرار الأفراد والجمع في آيات الدعاء

ضمّت دراسة الأفراد والجمع في القرآن الكثير من النكات والأسرار البلاغية . وقد حظيت بعناية العلماء واهتمامهم وخاصة علماء التفسير ، الذين كانت لهم اليد الطولى في إظهارها إلى حيز الوجود ، ووضع لبيتها الأولى ، كاشفين من خلالها عن أسرار الإعجاز ومواطن الإبهام . مظهرين تلك الأسرار والنكات في أسلوب يكشف عن سر أفراد لفظة وجمع أخرى . ناظرين في ذلك كله إلى السياق الذي وردت فيه تلك اللفظة ، وما يكون بينها وبين أخواتها من وشائج قرى وعلاقات صلة ، اقتضت ذكرها على ذلك الوجه .

ثم امتدت تلك الدراسات وتفرعت ، متجاوزة دراسات المفسرين إلى الدراسات التي تتصل بعلوم القرآن . حيث كان لعلمائها<sup>(١)</sup> جهودهم المشكورة في هذا المجال .

ونرى آيات الدعاء قد حظيت كغيرها من الآيات في الذكر الحكيم بنصيب من تلك الألفاظ ، فجاءت بعض ألفاظها إما مفردة أو مجموعة . ولها في كل حالة من تلك أسرار بلاغية وفرائد أسلوبية نبينها على النحو الآتي :

---

(١) كالسيوطي في كتابه الاتقان ٢ / ٢٩٩ ، والزرکشي في كتابه البرهان ٤ / ٣ .

## أولاً : الإفراد :

حمل الإفراد في آيات الدعاء نمطاً معيناً ، ذلك أن اللفظة المفردة جاءت إفرادها إفراداً عاماً ، أي أنها لم ترد في القرآن - عامةً - إلاً مفردة . أو أنها تأتي مفردة وبمجموعة ووردت في الدعاء بصيغة الإفراد دون الجمع . وسنذكرها كالاتي :

### أ - الألفاظ المفردة - عامة - في الدعاء وغيره .

#### (١) الصراط :

وردت لفظة الصراط في القرآن الكريم بأربع صيغ هي ( الصراط - صراطاً - صراطي - صراطك ) . وجاءت في الدعاء مرة واحدة بصيغة ( الصراط ) الذي يقصد به الطريق ، وطريق الحق بالذات ، وقد ورد الصراط موصوفاً بالاستقامة في أكثر مواضعه في كتاب الله العزيز<sup>(١)</sup> . وذلك لوضوحه وسهولة السير فيه .

ولعل السر في إيثار القرآن التعبير ( بالصراط ) مفرداً دون الجمع ( سراط ) لأن الحق واضح المعالم دائماً ، وطريقه واحدٌ خلافاً لطرق الباطل والغواية ، فهي متعددة ، متشعبة لتعدد ألوان الضلال وتشعبها<sup>(٢)</sup> . لذا كان دعاء الداعين أن يهديهم الله لبلوغه ، حتى تطمئن نفوسهم ، وتأمين الانزلاق في دروب الغواية والضلال وما أكثرها اليوم !!

(١) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ٥١٧ .

(٢) راجع الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن / د. محمد الأمين الخضري / مطبعة الحسين الإسلامية / الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م /

## (٢) النور :

ورد النور في القرآن الكريم مفرداً ، وجاء في الدعاء مرة واحدة بلفظة (نورنا) <sup>(١)</sup> .

وذلك على ألسنة المؤمنين في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا ﴾ <sup>(٢)</sup> . فالمؤمنون يطلبون من ربهم أن يتم لهم نورهم ، وهو نور الحق الذي اتبعوه ، وساروا في طريقه ، ذلك الطريق الموصل إلى الجنة ، حيث أضاء هذا النور قلوبهم ، وأنار عقولهم ، فهم بدونه لا محالة يتعثرون ويتخبطون . لذا أفرد النور هنا اعتباراً لمرجعه المنبثق عنه وهو الحق .

## (٣) النَّار :

جاءت النار في القرآن مفردة وقد ذكرت في الدعاء ست مرات ، ثلاث منها في سياق الدعاء والأخرى في صلبه . وقد طلب الداعون الوقاية من عذابها في قوله تعالى : ﴿ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ <sup>(٣)</sup> . فلفظة النَّار إفرادها راجعٌ إلى أصلها ، فهي ذات أصل واحد ، ومادتها واحدة فناسبها الإفراد <sup>(٤)</sup> .

(١) راجع المعجم المفهرس / ٨٩٥ .

(٢) التحريم / ٨ .

(٣) البقرة / ٢٠١ ، آل عمران / ١٦ وقوله كذلك ﴿ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ آل عمران / ١٩١ .

(٤) راجع الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ٢ / ٣٠١ .



وقيل : « إنما أفردت باعتبار الجنس ، ولما كانت النار تعذيباً مناسباً لإفرادها ، نظير أفراد الريح في العذاب وهي دار حبس والغضب يجمع جماعة من المحبوسين في موضع واحد أنكد لعيشهم فالنار إذاً لكل مذنب لذا لم تُجمع » (١) .

ب - الألفاظ التي جاءت بالإفراد والجمع وذكرت في الدعاء مفردة :

### (١) الرحمة :

الرحمة لفظ رقيقٌ دالٌّ على معناه ، ورد في القرآن بالجمع والإفراد ، وكان نصيب الدعاء أن ذكرت فيه مفردة . ذلك لأنَّ الدعاء في حد ذاته رحمة عظيمة ، ومن يوفق لإجابة دعوته فقد عمَّه الله بفضله وإحسانه .

ونرى لفظ الرحمة يتردد في آيات الدعاء خمس مرات ، اثنتان منها بلفظ ( رحمة ) وذلك في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ (٣) .

فالداعون فيما سبق يطلبون من ربهم رحمة عظيمة ، لا تماثلها رحمة ، تفيض عليهم ويغمرهم أثرها . فهي من لدن الله - سبحانه وتعالى - لذلك هي رحمة عامة شاملة . وهي حقٌّ مشروعٌ للجميع يطلبونها من ربهم . ويحرصون على الاستجابة .

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٤ / ١٤ بتصرف .

(٢) آل عمران / ٨ .

(٣) الكهف / ١٠ .

أمّا الثلاثة الأخرى فقد جاءت بلفظي ( برحمتك - في رحمتك ) وذلك في قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام : ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾<sup>(١)</sup> . وقوله تعالى على لسان من آمن بموسى عليه السلام : ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> فالإدخال في عباد الله الصالحين لا يكون إلا برحمة الله ، وكذلك النجاة من القوم الكافرين ، فرحمته سبحانه هي الوسيلة الحقيقية للنجاة من بطش الجابرة .

أمّا لفظ ( في رحمتك ) فقد ورد على لسان موسى عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> حيث طلب عليه السلام دخوله وهارون عليهما السلام في رحمة الله المراد بها ( الجنة ) فتحيط بهم من كل جانب ويتنعمون فيها .

وبالإضافة لما سبق فإن إفراد الرحمة فيه دلالة « على أن رحمة من الله كافية لما يطلبه العبد ومحقة كل ما تصبوا إليه النفس »<sup>(٤)</sup> .

## (٢) النعمة :

جاءت النعمة في القرآن مفردة عدا ثلاثة مواضع جمعت فيها . وذكرت مفردة مرتين في آيات الدعاء ، في سياقين متشابهين في الصياغة ، أولها ورد على لسان سليمان عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ

(١) النمل / ١٩ .

(٢) يونس / ٨٦ .

(٣) الأعراف / ١٥١ .

(٤) بلاغة الدعاء في الحديث النبوي / ص ٢٦ .

نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ ﴿١﴾ .

حينما أحس بعظم جود الله عليه ، وحُسن تفضله وكرمه معه ، حيث أنعم عليه بنعم عظيمة منها ، الملك الذي لن يتكرر لأحدٍ بعده ، ونعمة تسخير الجن والإنس والطير والرياح ، ونعمة إفهامه كلام النملة ، وإسماعه لحديثها قبل ذلك ، فلا شك أنّ وراء هذه النعم جميعاً مبدعٌ قادرٌ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، فراه عليه السلام في دعائه السابق ينسب تلك النعمة إلى الله عز وجل تأدباً منه واعترافاً بالفضل لصاحبه .

وثانيها ورد على لسان الإنسان حين بلغ أشده في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ ﴾ (٢) . فالسياق سياق تعداد النعم على الإنسان ، بدايةً بحمله في بطن أمه تسعة أشهر وانتهاءً ببلوغه سن الرشد والشدة . ومع تعدد النعم وتنوعها في الآيتين إلا أن لفظ ( نعمة ) ذكر بالإفراد . ولعل السر في ذلك الإفراد يرجع إلى أنّ نعم الله ذات نمط فريد ، حيث يصعب عدّها كنعم المخلوقين . بل يستحيل إحصاؤها لقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (٣) . فإفرادها فيه تعظيمٌ لشأنها وكذلك إضافتها إلى الله تعالى قد كستها ثوباً من التعظيم » مما يجعل تذكر واحدة منها كافياً في أن يخز المنعم عليه ساجداً لربه شكراً عليها ، فكيف بتذكر نعمه كلها أو بعضها ؟ كما يومئ الإفراد إلى أن الإنسان مهما أطاع ربه وانقطع له ، وأوغل في عبادته لا يستطيع أن يؤدي

(١) النمل / ١٩ .

(٢) الأحقاف / ١٥ .

(٣) النحل / ١٨ .

حق الشكر على نعمة واحدة ، إذ أن التوفيق للطاعة والعبادة ، هو في حد ذاته نعمة تستدعي الشكر عليها . وأين الإنسان من معرفة كل ما أنعم الله تعالى عليه ، وهو يجهل من نعم الله في نفسه أكثر مما يعلم حتى يمكنه الشكر على كل النعم ؟ « (١) .

### (٣) الحسنة :

ذكرت الحسنة في الدعاء ثلاث مرات بالإفراد ، عندما طلب الداعون من ربهم إيتاءهم الحسنة وكتابتها لهم في الدنيا والآخرة على نحو ما نراه في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢) . وقوله تعالى : ﴿ وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ ﴾ (٣) . ولا يخفى أن طلبهم إيتاء الحسنة وكتابتها لهم يدل على شدة حرصهم لنيل هذه المثوبة ، وتعلقهم بها ، وكان مقتضى السياق أن يعبر القرآن بصيغة الجمع ( حسنات ) لكنه آثر التعبير بالإفراد للإشارة إلى قناعتهم الكاملة بأن ما جاء من عند الله فهو عظيم البركة ، قليله كثير ، وكثيره فيض موفور .

### (٤) آية :

الآية هي العلامة الواضحة والبرهان الساطع ، وذكرت في الدعاء مرتين على لسان سيدنا زكريا عليه السلام عندما طلب من ربه دليلاً على حدوث

(١) الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ / ٧٩ .

(٢) البقرة / ٢٠١ .

(٣) الأعراف / ١٥٦ .

الحمل في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾<sup>(١)</sup> . ولعل سر إيثار ( آية ) بالإفراد والعدول عن الجمع ( آيات ) - مع أنّ الموقف يستدعيه - لأن الطلب غير مألوف لما ذكره من عقر زوجته وكبر سنه ، فكان تبشيره بالولد معجزة عظيمة دُهل منها عقله البشري ، لذا كان طلبه عليه السلام للآية - لا لعدم تصديق ذلك - بل ليقابلها بالشكر اللازم ، فإفرادها لأن طلبها كان لمجرد الإبانة عن زمن وقوع المعجزة ولو ذكرها بالجمع كانت دلالة على عدم تصديقه عليه السلام لهذا الأمر ، وهذا لم يكن منه فقد كان واثقاً من إجابة الله له ، شديد الإيمان بخالقه عز وجل .

#### (٥) إماماً :

ذكر لفظ ( إماماً ) مرة واحدة في الدعاء على لسان عباد الرحمن في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾<sup>(٢)</sup> . حيث قالوا : إماماً بالإفراد دون الجمع ( أئمة ) مراعاة لما جاء قبلها ( المتقين ) ولعل السر في إيثارهم الإفراد ليجعلوا كل فردٍ منهم إماماً يُقتدى به أو « لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقهم واتفاق كلمتهم »<sup>(٣)</sup> أو « للإشارة إلى أنّ مرتبة الإمامة قليل عديدها »<sup>(٤)</sup> .

(١) آل عمران / ٤١ ، مريم / ١٠ .

(٢) الفرقان / ٧٤ .

(٣) تفسير البيضاوي بهامش حاشية الشهاب ٦ / ٤٣٨ .

(٤) دلالات التراكيب / ٣٧٥ .

## ثانياً - الجمع :

جاءت ألفاظ عديدة في الدعاء بصيغة الجمع دون الأفراد وهي في كل موضع من مواضعها تلك تؤدي معناها المراد الذي اقتضاه السياق . من تلك الألفاظ :

### (١) همزات :

وردت لفظة ( همزات ) في الدعاء مرة واحدة وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾<sup>(١)</sup> تعليماً لنبیه عليه السلام كيفية التخلص من وساوس الشياطين ونزغاتهم . فذكرت همزات بالجمع دون الأفراد ( همزة ) لبيان أن الشياطين متنوعوا المداخل التي يلجئون من خلالها إلى أهل الإيمان ، وفيه لفت نظر المؤمنين إلى ضرورة التيقظ والحذر في كل الأمور التي قد تكون مداخل لهؤلاء الشياطين فكما أخبر الرسول ﷺ : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » فهمزات توحى بأن خطر هؤلاء الشياطين يحيط بالمؤمن من كل جانب ، فتعدد الجهات ناسبه جمع همزات ، وإذا كان الخطر لا يُعلم مصدره كان ذلك أدمى لأخذ الحذر والتقرب الدائم بخلاف لو كان مصدره معروفاً ، واتجاهه محدداً فإن هذا مدعاة إلى أن يركن الإنسان إلى الدعة ويقل حذره . وربما كان الجمع هنا في همزات لتعدد المضاف إليه وهم الشياطين<sup>(٢)</sup> .

(١) المؤمنون / ٩٧ .

(٢) راجع تفسير أبي السعود ٦ / ١٥٠ .

## ٢ - الثمرات :

جاء هذا اللفظ في الدعاء مرتين على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام بعد أن ترك زوجته وابنه في وادٍ غير ذي زرع قائلاً : ﴿ وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ .. ﴾<sup>(١)</sup> وفي موضع آخر : ﴿ وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

فمع أنّ الوادي مقفرٌ لا زرع فيه ولا ماء إلا أنّ إبراهيم عليه السلام آثر في دعائه صيغة الجمع ( ثمرات ) دون الإفراد ( ثمرة ) ليظهر شدة عطفه وشفقته على أهله ، لأنه متيقن من كرم الله وعطائه فطمع أن يكون رزقهم متنوع الطعوم والأشكال والألوان ، ولعل ذكرها بالجمع لإفادة التنوع فيها على حسب الفصول المختلفة ، مما يدل على حرصه بأن يكون هذا الرزق مستمراً طوال العام بلا انقطاع وقد لبيّ الله طلبه .

وأرجع الألويسي<sup>(٣)</sup> الجمع إلى كونه للقلة إظهاراً للقناعة<sup>(٤)</sup> . وقد يكون هذا صحيحاً لكن قد يذكر جمع القلة مراداً به الكثرة ، والذي يحدد ذلك السياق ، ولو نظرنا إلى موقف إبراهيم عليه السلام ودعائه ، لوجدنا أنّ

(١) البقرة / ١٢٦ .

(٢) إبراهيم / ٣٧ .

(٣) أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي ، مفسر ومحدث وأديب من أهل بغداد مولده ووفاته بها حيث ولد سنة ١٢١٧ هـ وتوفي ١٢٧٠ هـ ، من مصنفاته : روح المعاني في التفسير ، دقائق التفسير ، وله شرح كشف الطرة عن الغرة شرح به درة الغواص للحريري .

انظر ترجمته في : الأعلام ٧ / ١٧٦ .

(٤) راجع روح المعاني ١ / ٣٨٢ .

الدلالة على الكثرة هي المرادة من ذلك لفظ ( الثمرات ) فتعليه بأن القناعة هي سبب جمع القلة لا يتفق مع الأمور التالية :

١ - إن إبراهيم عليه السلام قد رزق ولده على كبر ، وهو أب عطوف حلیم ، فكيف يقنع بقليل من الثمار لغذاء ولده وزوجته .

٢ - إن المنطقة التي نزل فيها مقفرة لا طعام فيها ولا ماء ، فالدعاء بالكثير أمرٌ واردٌ لخوفه على ذريته من الهلاك ، بحكم الطبيعة البشرية .

فهذا مما يجعله يُخْرِجُ دعاءه على إرادة الكثرة باعتبار أن ( من ) للتبعيض أي ارزقهم بعض الثمرات ، ولو كانت الثمرات للقلة لأصبحت مع ( من ) التبعيضية ثماراً قليلة جداً لا تناسب المقام الذي بيناه سابقاً .

### (٣) أعين :

جاءت أعين في الدعاء مرتين ، مرة في صلب الدعاء وأخرى في سياقه أما التي في صلب الدعاء فقد وردت على السنة عباد الرحمن في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾<sup>(١)</sup> فقولهم أعين دون عيون، نظراً لكون عيون المتقين قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم استناداً على قوله تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> . هذا ما قاله الزمخشري<sup>(٣)</sup> .

(١) الفرقان / ٧٤ .

(٢) سبأ / ١٣ .

(٣) راجع الكشاف ٣ / ٢٨٨ .



وقد اعترض على ذلك كُلُّ من ابن المنير وأبي حيان والشهاب<sup>(١)</sup> ، لأنهم ينظرون إلى الجمع باعتبار نفسه لا باعتبار إضافته إلى غيره<sup>(٢)</sup> .

#### (٤) ذرياتنا :

جاء ( ذريات ) بالجمع دون الإفراد ( ذرية ) « لأن المراد امتداد صفة التقوى في أجيالهم ، وهذه وصية إبراهيم عليه السلام لبيه ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> »<sup>(٤)</sup> .

#### ٥ - الذنوب والسيئات :

جاءت الذنوب أربع مرات مجموعة على وزن فعول في آيات الدعاء ، وكان مراداً بها الكثرة ، في طلب الداعين غفرانها لهم قائلين : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾<sup>(٥)</sup> . وفي اعترافهم بها في قوله تعالى :

---

(١) شهاب اللدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري ، قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة ، ولد ونشأ بمصر سنة ٩٧٧ هـ ، رحل إلى بلاد الروم ، نفي إلى مصر توفي سنة ١٠٦٩ هـ ، له العديد من المؤلفات منها : ریحانة الألبا - عناية القاضي وكفاية الراضي حاشية على تفسير البيضاوي - طراز المجالس .

انظر ترجمته في : الأعلام ١ / ٢٣٨ .

(٢) راجع الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ٣ / ٢٨٨ في حاشية الكشاف ، البحر

المحيط ٨ / ١٣٣ ، حاشية الشهاب ٦ / ٤٣٨ .

(٣) البقرة / ١٣٢ .

(٤) دلالات التراكيب / ٣٧٦ .

(٥) آل عمران / ١٤٧ ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ آل عمران / ١٩٣ .

﴿ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا ﴾<sup>(١)</sup> . أمَّا السيئات فجاءت مرتين في الدعاء  
مجموعةً جمع قلة في طلب الداعين تكفيرها عنهم قال تعالى : ﴿ وَكَفِّرْ عَنَّا  
سَيِّئَاتِنَا ﴾<sup>(٢)</sup> . جاءت أيضاً في طلب الملائكة وقاية أهل الإيمان منها  
في دعائهم لهم : ﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ  
رَحِمْتَهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> .

ولو تأملنا سر مجيء ( ذنوبنا ) بالكثرة دون الأفراد أو دون جمع القلة  
لوجدنا أن ذكرها بالجمع فيه دليلٌ على حرص الداعين على استعطاف ربهم  
بذكر أسوأ ما لديهم وأعظمها ، ليقابلها الله عز وجل بكرمه وإحسانه  
فيغفرها لهم . وهنالك سبب آخر حيث إنه لا يأتي جمع القلة منه بل إن  
الجمع منه ( ذنوب وذنوبات جمع الجمع )<sup>(٤)</sup> .

أمَّا ذكر السيئات بجمع المؤنث فلأنه دالٌ على القلة نظراً لأن الذنب  
أعظم من السيئة فاستعمل القرآن للأول الكثرة وللثاني القلة ، لأنهم يريدون  
التقليل من السيئات والتكثير من الذنوب هضماً لأنفسهم ورغبة في أن يغفر  
لهم الله جميع الذنوب ويزيلها من صحائفهم لا أن يكفرها أي يسترها  
ويغطيها .

وفي جمع الذنوب بالكثرة ما يشير إلى أنها مما يجب الحذر منه والاحتياط  
له ، أما السيئات فتقليلها ليس لتهوين أمرها بل لبيان أنها أقل من الذنوب ،  
وأنها مما يكثر وقوع الإنسان فيه بخلاف الذنب .

(١) غافر / ١١ .

(٢) آل عمران / ١٩٣ .

(٣) غافر / ٩ .

(٤) اللسان ٥ / ٦٢ مادة ( ذنب ) .

# الفصل الثاني

## دراسة تركيب الجمل

ويضم أربعة مباحث :

- ١ - المبحث الأول : علاقات الجمل .
- ٢ - المبحث الثاني : ترتيب الجمل وأسراره .
- ٣ - المبحث الثالث : مظاهر الإيجاز والاطناب .
- ٤ - المبحث الرابع : فواصل آيات الدعاء .

## المبحث الأول

### علاقات الجمل

يقصد بعلاقات الجمل ما يكون بينها من فصل ووصل . فمعلوم أن بين الجمل علاقات نسب ووشائج قربي ، ينظمها السياق الذي تأتي فيه والمعنى الذي تدور حوله كل جملة في ترابط رائع ، ونظام محكم .

وتعد دراسة الفصل والوصل من أصول البلاغة بل هي حدُّها الأعلى فقد قيل للفارسي : « ما البلاغة ؟ فقال : معرفة الفصل من الوصل »<sup>(١)</sup> . فمعرفة الفصل والوصل فن « عظيم الخطر ، صعب المسلك دقيق المأخذ لا يعرفه على وجهه ، ولا يحيط علماً بكنهه ، إلا من أوتي في فهم كلام العرب طبعاً سليماً ورزق في إدراك أسرارهِ ذوقاً صحيحاً »<sup>(٢)</sup> . « وذلك لغموضه ودقة مسلكه وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحدٌ إلا كمل لسائر معاني البلاغة »<sup>(٣)</sup> .

وقد عدَّ الشيخ عبد القاهر معرفته معرفة تامة من صفات العرب الخُلص ومن طبعوا على البلاغة وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام<sup>(٤)</sup> هم بها أفراد وقد قيل : « البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كالآلي بلا نظام »<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر البيان والتبيين ١ / ٨٨ ، الصناعتين لأبي هلال العسكري / تحقيق علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم / المكتبة العصرية بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م / ٤٣٨ .

(٢) الإيضاح ٣ / ٩٧ .

(٣) دلائل الإعجاز / ٢٢٢ .

(٤) المصدر السابق / ٢٢٢ .

(٥) الصناعتين / ٤٣٨ .

والمراد بالوصل هو : « عطف بعض الجمل على بعض ، والفصل تركه »<sup>(١)</sup> . والذي فتح الكلام في أسرار الوصل والفصل عند العلماء ، النظر في عطف المفردات أولاً ثم النظر في عطف الجمل التي لها محل من الإعراب باعتبار أنها كالمفرد ووضعوهما في علم النحو وقد بين الشيخ عبد القاهر ذلك بقوله : « لا يكون للجملة موضع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد . وإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع المفرد كان عطف الثانية عليها جارياً مجرى عطف المفرد على المفرد ، وكان وجه الحاجة إلى الواو ظاهراً والإشراك بها في الحكم موجوداً »<sup>(٢)</sup> .

وهذا العطف أمره جلي ، أما الذي يشكل أمره فهو عطف الجمل التي لا محل لها من الإعراب إذ العطف حينها لا يقتضي التشريك لأنه لا حكم للأولى . لذلك لا بد أن يكون وراء هذا العطف أسرار ودقائق ، وقد خص البلاغيون الواو بالدراسة دون غيرها من حروف العطف كالفاء ، وثم ، وأو ، لأداء كل حرف منها معنى زائداً على التشريك ، فالفاء توجب الترتيب من غير تراخٍ ، وثم توجبه مع تراخٍ ، و ( أو ) تردد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه وعند العطف بأحد هذه الأحرف تظهر فائدة هذه المعاني<sup>(٣)</sup> . أمّا الواو فتفيد معنى واحداً هو الإشراك في الحكم . ومن الضرورة أن يكون بين المعطوفين نوعٌ من المناسبة حتى « يكون المعنى في الجملة لفقاً لمعنى في الأخرى ومضاماً له »<sup>(٤)</sup> .

(١) الإيضاح ٣ / ٩٧ .

(٢) دلائل الإعجاز / ٢٢٣ .

(٣) راجع المصدر السابق / ٢٢٤ .

(٤) راجع المصدر السابق / ٢٢٥ .

ويظهر للمتأمل في آيات الدعاء أن الوصل فيها كثير جداً ، بسبب اقتضاء مقام الدعاء ذاته ، لأن الداعي إذا انطلق في دعائه ، وتوجّه صوب خالقه بالمناجاة تغلب عليه طبيعته البشرية الطامعة ، فيُظهر الدعاء في صورة جمل متعاطفة قد تبلغ في بعض الأحيان ثلاث أو أربع جمل كما في دعاء إبراهيم عليه السلام<sup>(١)</sup> .

فحاجات الداعين المتنوعة والمتغيرة استوجبت الوصل بين جمل الدعاء ، ومع ذلك لم يمنع هذا من ورود بعض الجمل المفصولة وذلك لأسباب سنعرض لها خلال الدراسة .

ومع كثرة العطف بالواو ، نرى أيضاً بعض الجمل تعطف بالفاء ، وذلك لإفادة معنى التعليل والسببية وكذلك الترتيب والتعقيب والتنويع ، وهي معاني الفاء المعروفة .

ومما جاء العطف فيه بالفاء لإفادة التفرّيع<sup>(٢)</sup> قوله تعالى : ﴿ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> . فقد تفرّعت جملة ﴿ فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ عن جملة ﴿ أَنْتَ مَوْلَانَا ﴾ وعطفت بالفاء ، لكونه مولى ومن شأن المولى أن ينصر مولاه ، فولاية الله للمؤمنين من صفاتها نصرتهم ، وهذا دعاء جامع لأن نصرهم على الأعداء يجمع كل أنواع الخير ، من ظهور الدين ودخول الناس فيه بطمأنينة وطيب العيش والسلامة من

(١) البقرة / ١٢٥ - ١٢٩ ، الشعراء / ٨٣ - ٨٧ ، إبراهيم / ٣٥ - ٤١ .

(٢) أي أن يترتب أمرٌ على آخر ويتفرع عنه .

(٣) البقرة / ٢٨٦ .

الفتنة<sup>(١)</sup> . وقد قيل : إن الفاء هنا للسببية ، « لأن الله تعالى لما كان مولاهم ومالكهم ومدبراً أمورهم تسبب عنه أن دعوه بأن ينصرهم على أعدائهم فهو كقولك أنت الجواد فتكرّم عليّ ، وأنت البطل فاحم الجار »<sup>(٢)</sup> .

ومما جاء منه للتفريع قوله تعالى : ﴿ أَنْتَ وَلِيْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا ﴾<sup>(٣)</sup> فكونه ولياً من شأنه المغفرة والرحمة بعباده . وإن كانت كذلك تحمل معنى الترتيب ، فإنه يترتب على هذه الولاية تحقق المغفرة المطلوبة .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾<sup>(٤)</sup> . حيث مهد الداعون لدعائهم بذكر سعة علم الله ورحمته وعطفوا على ذلك جملة ﴿ فَاغْفِرْ ﴾ بالفاء وذلك للتفريع على سعة علمه ورحمته فهو بعلمه الواسع وإحاطته الشاملة أعلم بمن تاب من عباده ، واتبع سبيله ، وهو برحمته الواسعة كفيلاً بأن يغفر ذنوبهم التي اقترفوها .

ومن المعاني التي تفيدها الفاء الدلالة على الترتيب والتعقيب وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> . فطلب كتابتهم مع الشاهدين جاء

(١) راجع تفسير التحرير والتنوير ٣ / ١٤٢ .

(٢) روح المعاني ٣ / ٧١ .

(٣) الأعراف / ١٥٥ .

(٤) غافر / ٧ .

(٥) آل عمران / ٥٣ .

معطوفاً بالفاء وذلك لما تظهره الفاء من سرعة الكتابة دونما تراخٍ أو تأخير لأنهم آمنوا بما أنزل إليهم واتبعوا الرسول فجزاء ذلك السرعة في كتابتهم مع الشاهدين لسرعة استحابتهم وهذا ترتيب طبيعي فالنفس تميل إلى استعجال الخير .

ومنه كذلك قوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام : ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾<sup>(١)</sup> الفاء ذكرت هنا لترتيب ما بعدها على ما قبلها ، فمع ذكره للأسباب المانعة لحصول الولد من كبر السن وضعف القوى وعقر المرأة نراه عليه السلام لم يقطع رجاءه بالله خاصة وهو يرى إنعام الله وتفضله على مريم ، فما كان منه إلا أن رتب استيهاب الولد على كونه هبة خالصة من عند الله عز وجل وعطف بالفاء دون الواو لإظهار شدة حاجته لهذا الولد ورغبته الملحة في سرعة حصوله دونما تأخير ومما يوحى بهذه السرعة كذلك حروف الفعل ( هب ) فهي تنطلق من اللسان دفعة واحدة بلا تباطؤ .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَوْىءَ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾<sup>(٢)</sup> « دلت الفاء في جملة ( فقالوا ) على أنهم لما أووا إلى الكهف بادروا بالابتهاج إلى الله »<sup>(٣)</sup> . ففي العطف بفاء التعقيب إشعاراً بصدور هذا الدعاء منهم مباشرة فور دخولهم الكهف نظراً لشدة خوفهم من بطش الكفار بهم ، فهم في أمس الحاجة إلى سرعة عون الله ورحمته . ومثله

(١) مريم / ٥ .

(٢) الكهف / ١٠ .

(٣) التحرير والتنوير ١٥ / ٢٦٦ .



قوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ  
الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(١)</sup> . فقد جاءت جملة ( فقالوا ) معطوفة بفاء التعقيب على ما  
قاله موسى : ﴿ يٰقَوْمِ اِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوْا اِنْ كُنْتُمْ  
مُسْلِمِيْنَ ﴾<sup>(٢)</sup> وفي ذلك إشارة إلى مبادرتهم وسرعة استجابتهم لما طلبه  
موسى منهم . فعلى الفور جاء قولهم : ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾<sup>(٣)</sup> . وفي  
هذا العطف مخالفة للأسلوب الغالب في حكاية جمل الأقوال الجارية في  
المحاورات حيث تأتي غير معطوفة ، ولكن خولف مقتضى الظاهر لهذه  
النكته<sup>(٤)</sup> .

ومما جاء فيه العطف بالفاء دالاً على التعقيب والتفريع معاً في آية واحدة  
قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا اِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْاِيْمَنِ اَنْ ءَامِنُوْا بِرَبِّكُمْ  
فَاٰمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾<sup>(٥)</sup> .

فقوله : ﴿ فَاٰمَنَّا ﴾ « مؤذن بتعجيل القبول وتسبيب الإيمان عن السماع  
من غير تراخ ، والمعنى : فآمنا بك أو بربنا »<sup>(٦)</sup> .

(١) يونس / ٨٥ .

(٢) يونس / ٨٤ .

(٣) راجع نظم الدرر ٣ / ٤٧٤ ، والتحرير والتنوير ١١ / ٢٦٣ .

(٤) راجع التحرير والتنوير ١١ / ٢٦٣ .

(٥) آل عمران / ١٩٣ .

(٦) البحر المحيط ٣ / ٤٧٣ ، حاشية الشهاب ٣ / ٩١ .

ويظهر من الآية مبادرتهم وسبقهم للإيمان فور سماعهم النداء وفي ذلك دلالة قوية على سلامة فطرتهم من العناد وشوائب الانحراف « وقد توسموا أن تكون مبادرتهم لإجابة دعوة الإسلام مشكورة عند الله تعالى ، فلذلك فرعوا عليه قولهم : ﴿ فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ لأنهم لما بذلوا كل ما في وسعهم من اتباع الدين كانوا حقيقين بترجي المغفرة » (١) .

أمّا إفادة الفاء لمعنى السببية ففي قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَكَاتِبُهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴾ (٢) فجملة ﴿ فَكَاتِبُهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴾ جاءت معطوفة على ما قبلها بالفاء وذلك لبيان أن طلبهم مضاعفة العذاب بسبب إضلالهم ، الذي ترتب عليه دخولهم النار وخلودهم فيها . ومثله قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴾ (٣) .

مما سبق نجد أن العطف بالفاء في آيات الدعاء كان تعبيراً عن معاني التعليل والسببية والتعقيب والتفريع . أمّا العطف بالواو الوصل موضوع دراستنا فهو لكثرتة يحتاج إلى إفرادٍ بالبحث والدراسة لكونه يمثل ظاهرة قرآنية حريّة بالدراسة المفصلة المتأنية التي تحيط بكل دقائقه ، وتُظهر مكونات أسرارهِ ، وسنعرض لشيء منه في آيات الدعاء من ذلك ما جاء على لسان نوح عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ

(١) التحرير والتنوير ٣ / ١٩٩ .

(٢) الأعراف / ٨٣ .

(٣) ص / ٦١ .

بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿١﴾ . فقد جاء الوصل بالواو بين قوله ﴿ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا ﴾ وجملة ﴿ رَبِّ أَعْفِرْ لِي ﴾ وهذا من عطف المفردات وفيه تظهر رغبته عليه السلام في شمول المغفرة لكل من دخل بيته متصفاً بصفة الإيمان . أمّا الجملة التي عطفت على ما قبلها في الآية ذاتها قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ حيث عطفت على جملة ﴿ رَبِّ أَعْفِرْ لِي .. ﴾ فبعدما طلب المغفرة له ولمن يجب من أهله والمؤمنين عامة عطف بدعاء آخر طالباً من ربه القضاء على الظالمين بزيادة هلاكهم . فالوصل بين الجملتين للتوسط بين الكمالين لاتحادهما في الإنشائية لفظاً ومعنى . وقد جاء الوصل محققاً الغرض في بيان شدة غضبه على هؤلاء الكفرة حيث أردف دعاءه للمؤمنين بالمغفرة بالدعاء على الكافرين بالهلاك والدمار . فالوصل هنا فيه مزيد عناية بهؤلاء المؤمنين الذين يريدون أن يعرفوا مصير هؤلاء الكافرين ، ماذا سيكون نصيبهم من دعاء نوح ، وقد دعا عليهم قبل ذلك بقوله : ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ (٢) فقد عطفت جملة ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ على جملة ﴿ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ﴾ وقد وقع خلاف حول هذه الآية مرجعه أنه لا يعطف الإنشاء على الخبر ، بل لا بد من التناسب بين الجمل في الإنشائية والخبرية . فالزخشي أرجع العطف إلى قوله : ﴿ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ﴾ « على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد ( قال ) وبعد الواو

(١) نوح / ٢٨ .

(٢) نوح / ٢٤ .

النائبة عنه ومعناه قال رب إنهم عصوني وقال : لا تزد الظالمين إلا ضلالاً .  
أي قال هذين القولين وهما في محل النصب لأنهما مفعولا قال « (١) » .

في حين يُرجع أبو حيان العطف في قوله : ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ على ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا ﴾ « إذ تقديره : وقال وقد أضلوا كثيراً ، فهي معمولة لقال المضمرة المحكي بها قوله : ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا ﴾ ولا يشترط التناسب في عطف الجمل ، بل قد يعطف جملة الإنشاء على جملة الخبر والعكس خلافاً لمن يدعي التناسب « (٢) » . وقد تبع أبو السعود الزمخشري في رأيه (٣) . أمّا الشهاب فقد علّق على الآية بقوله : « والظاهر أن قوله : رب إنهم عصوني ... الخ ليس المقصود به إخبار علام الغيوب بل الشكاية والإعلام بعجزه ويأسه منهم فهو طلب للنصرة عليهم كما في قوله : ﴿ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾ ولو لم يقصد هذا . تكرر مع ما مر فحينئذ يكون كناية عن قوله أخذهم وانصرتني وأظهر دينك ونحوه فهو من عطف الإنشاء على الإنشاء وما مرّ كله تكلف ويشهد له أن الله سمى مثله دعاء حيث قال : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَأَيُّ قَوْمٍ مُّجْرِمُونَ ﴾ (٤) فتدبر « (٥) » .

وقال ابن عاشور : « يجوز أن تكون جملة ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾

(١) تفسير الكشاف ٤ / ٦٠٧ .

(٢) تفسير البحر المحيط ١٠ / ٢٨٧ .

(٣) انظر تفسير أبي السعود ٩ / ٤٠ .

(٤) الدخان / ٢٢ .

(٥) حاشية الشهاب ٨ / ٢٥٣ .

ضَلَّالًا ﴿٤٧﴾ غير متصلة بحكاية كلامه في قوله : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ﴾ ﴿٤٨﴾ بل هو حكاية كلام آخر له صدر في موقف آخر ، فتكون الواو عاطفة جملة مقولة قول على جملة مقولة قول آخر ، أي نائبة عن فعل كما تقول : قال امرؤ القيس قفا نبك ، والأعم صباحاً أيها الطلل البالي . وقد نحا هذا المعنى من يابون عطف الإنشاء على الخبر « (١) .

وفي قوله عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴾ ﴿٤٩﴾ فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجَّيْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٠﴾ (٢) . جاء عطف جملة ﴿ وَنَجَّيْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ على جملة ﴿ فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا ﴾ . لأنهما اتفقتا في الإنشائية لفظاً ومعنى فيين الجملتين التوسط بين الكمالين ، ولأن الواو تقتضي المغايرة ، فقد طلب أولاً الفصل والقضاء بينه وبينهم قضاءً يستحقونه جزاء تكذيبهم ، ثم ثانياً طلب النجاة ، له ولمن آمن معه فكانه يريد بالجملة الثانية فصلاً وخلصاً يختلف عن الفصل والخلص في الجملة الأولى لذلك عطف لإرادة المغايرة بين الخلاصين .

وفي قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ ﴿٥١﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٥٣﴾ وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٥٤﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٥٥﴾ (٣) نرى في هذا الدعاء أكثر من جملة انتظمت

(١) تفسير التحرير والتنوير ٢٩ / ٢١٠ .

(٢) الشعراء / ١١٧ ، ١١٨ .

(٣) الشعراء ٨٣ - ٨٧ .

وتتابع وتعتقت بالواو لأن بينهما التوسط بين الكمالين لاتحادهما في الإنشائية لفظاً ومعنى ، ولكونها صادرة عن إبراهيم عليه السلام فقد ظهر فيها حرصه على نيل السعادتين الدنيوية والأخروية ، فهو لشدة حاجته لاستجابة الله لهذه الدعوات نراه يجمع بين كل دعوة ودعوة رابطاً بينها بحرف العطف الواو كأنَّ كل دعوة منها تستدعي التي تليها . فتراها تبدأ بطلب الحكم أي العمل المتقن بالعلم ثم بطلب اللّحاق بالصالحين وهم الأئمة المتقون في الدنيا والآخرة . وأن يكون له ذكراً جميلاً وثناءً حسناً فيمن يأتي بعده من الناس ولما طلب سعادة الدنيا التي لا نفع لها مجردة عن سعادة الآخرة عطف على ما سبق بقوله : ﴿ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ فالجنة هي المطلب الأسمى الذي لا يناله إلا من مَنَّ الله عليهم بالقبول والرضا فهي لا تُنال بالعمل فقط لذا جعلها كالإرث « يحصل بغير اكتساب من الوارث وهو أقوى أسباب الملك »<sup>(١)</sup> . وهو في دعائه هذا لا ينسى والده فيدعو له رغم كفره طالباً من ربه أن يغفر له وأن لا يجعله سبباً لحزبه عليه السلام يوم القيامة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾<sup>(٢)</sup> . فقد عطف بالواو بين هاتين الجملتين لاتفاقهما في الإنشائية لفظاً ومعنى فبين الجملتين التوسط بين الكمالين ، ويُظهر لنا العطف حرصَ هؤلاء الداعين على الخلاص وذلك بأن دعوا الله أن يسخر لهم ولياً نصيراً ينقذهم من هذا الظلم ولم يقولوا : « اجعل لنا من لدنك ولياً نصيراً » ، بل

(١) نظم الدرر ٥ / ٣٧٠ .

(٢) النساء / ٧٥ .

جعلوا الولي في جملة والنصير في أخرى ووصلوا بينهما رغبةً في المغامرة وطمعاً  
في تكثير سبل الخلاص ، وزيادة في الضراعة والابتغال . فكأن الولي شيء  
والنصير شيء آخر .

## الفصل في آيات الدعاء :

لم يبلغ الفصل في جمل الدعاء القرآني ما بلغه الوصل من الكثرة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله : ﴿ رَبَّنَا أَتَمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾<sup>(٤)</sup> .  
وقوله : ﴿ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

فقد فصلت آخر الآيات السابقة عمّا قبلها حيث « وقعت تذيلاً مؤكداً لمضمون الجملة » والجمل المؤكدة لما قبلها حقها الفصل<sup>(٦)</sup> لأن بينها رابطة داخلية أقوى من رابطة الواو ، ولأنها لم تأت بمعنى جديد مغاير لسابقه فهي جزء من الكلام السابق ولو عطفت لكانت كعطف الشيء على نفسه . لكن - والله أعلم - دلالة الآيات على التعليل أقوى إذ المعنى « هب لي ملكاً لأنك أنت الوهاب ، واغفر لنا لأنك على كل شيء قدير ، واغفر لأبي لأنه كان من الضالين » فيكون الفصل حينها لشبه كمال الاتصال ، ذلك أن الجملة الثانية هي تعليل للجملة الأولى .

(١) البقرة / ١٢٧ .

(٢) آل عمران / ٨ .

(٣) ص / ٣٥ .

(٤) التحريم / ٨ .

(٥) الشعراء / ٨٦ .

(٦) وهو الفصل لكمال الاتصال .



ونرى الفصل بين الجمل لكون الجملة المفصولة مبنية على الاستئناف  
البياني<sup>(١)</sup> حيث تثير الجملة الأولى سؤالاً يفهم من السياق فتقع الجملة  
الثانية جواباً عنه . وهذا كثير جداً في لفظ « قال »<sup>(٢)</sup> ومما جاء منه في آيات  
الدعاء قوله تعالى : ﴿ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِن  
الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> فجملة يقولون  
« استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم عند سماع القرآن كأنه  
قيل : ماذا يقولون ؟ فقيل : يقولون : ﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا ﴾<sup>(٤)</sup> ومنه أيضاً قوله  
تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ ءَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ  
إِلَّا رَمَزًا ﴾<sup>(٥)</sup> وقوله : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن  
لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾<sup>(٦)</sup> . فكأنه قيل في الآية الأولى  
بماذا أجابه ربه عندما طلبه هذا الطلب ؟ فقيل : قال « آتيك ... » وفي الثانية  
كأن سامعاً قال : ماذا قال زكريا حينما دعا ربه ، فقيل : قال : « رب هب  
... » فالدعاء القرآني كثر فيه لفظ ( قال ) ، ذلك أن الدعاء عبارة عن أقوال  
صدرت عن الداعين وحكاها القرآن عنهم .

(١) وهو الفصل لشبه كمال الاتصال .

(٢) راجع دلائل الإعجاز / ٢٤٠ .

(٣) المائة / ٨٣ .

(٤) تفسير أبي السعود ٣ / ٧٢ .

(٥) آل عمران / ٤١ .

(٦) آل عمران / ٣٨ .

وقد يأتي الفصل لاختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً<sup>(١)</sup> . وقد جاء منه في الدعاء قوله تعالى : ﴿ أَنْتَ وَلِيِّّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> فقد فصل بين جملة ﴿ أَنْتَ وَلِيِّّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ وبين جملة ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾ لأن الأولى خبرية والثانية إنشائية ولا مناسبة للوصل بينهما فإخبار سليمان عليه السلام بأن الله وليه في الدنيا والآخرة لا علاقة له بطلب الوفاة على الإسلام لذلك ترك العطف .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> . ففصلت جملة ﴿ أَنْتَ مَوْلَانَا ﴾ عمّا قبلها لكونها خبرية وما قبلها طلبي إنشائي ولأن بين طلب العفو والمغفرة والرحمة تناسباً جاءت موصولة بالواو ، أمّا جملة ﴿ أَنْتَ مَوْلَانَا ﴾ فهي إقرار منهم بأن الله هو المالك والسيد وهو يختلف عمّا قبله .

من ذلك كله نجد أن الفصل والوصل مبحث عظيم لا يمكن تتبعه بجلاء إلا من خلال دراسة مفصلة له ، ولكن مما سبق يمكن القول :

١ - إن الوصل في الدعاء فاق الفصل في الكثرة . ذلك أن الدعاء احتياجٌ تظهر فيه لهفة الداعي لتحقيق مراده ، فنراه يحاول أن يصل بين جمل الدعاء ، حتى لا يفوته ذكر شيء منها .

(١) وهو ما يعرف بالفصل لكمال الانقطاع .

(٢) يوسف / ١٠١ .

(٣) البقرة / ٢٨٦ .

٢ - إن أكثر صور الوصول مجيئاً ( التوسط بين الكمالين ) حيث تتفق الجملتان في الإنشائية، ذلك لأن أكثر أساليب الدعاء وروداً (الأمر والنهي).

٣ - إن أكثر صور الفصل وروداً في الدعاء ( الفصل لشبه كمال الاتصال ) لأن الدعاء أقوال صدرت عن الداعين عبروا فيها عن حاجاتهم فحكاها القرآن عنهم .

٤ - إن سياق الدعاء هو الذي يُظهر لنا المعاني الخفية والمناسبات الدقيقة التي تربط الجمل وتفصلها عن بعضها ، غير ما قرره علماء البلاغة من أسباب الفصل والوصل المعروفة .

وهذه المعاني غالباً ما تكون للمغايرة أو عدم المناسبة أو لرغبة الداعي في الاستزادة من الخير ، وإظهار حاجاته كطلب الرزق والولد والجنة والوقاية من النار وغيرها .

## المبحث الثاني

### ترتيب الجمل وأسراره

حظيت جمل الدعاء كغيرها من جمل القرآن بنصيب من الدراسة ، على أيدي المتقدمين والمتأخرين من علماء التفسير والبلاغة ، الذين نظروا إليها من حيث تقديم بعض الجمل على بعض أو تأخير بعضها عن بعض ، وفصل بعضها ووصل الآخر ، أو حذف بعض الجمل طمعاً في الإيجاز وبسط الأخرى رغبةً في الإطناب .

ولنا في هذا المبحث وقفة يسيرة نشير من خلالها إلى جهود علمائنا - خاصة المفسرين - في دراستهم للجمل وذلك عند دراستهم للكتاب العزيز الذي لا تنقضي عجائبه فقد كانوا أصحاب فكر واعٍ مستنير ، وقفوا وقفات مباركة حول جمل القرآن محللين ومعلقين عليها ، وهذا بابٌ من البلاغة الغائبة « قد اعتراه الإغفال زمنياً »<sup>(١)</sup> .

ولعل أول من أشار إليه ودعا لولوجه الشيخ عبد القاهر أثناء حديثه عن النظم فقد بيّن أن اتحاد أجزاء الكلام ، وتداخل بعضها في بعض ، وارتباطها فيما بينها ، وتكاثرها ، مسلك دقيق ينبع من توحي معاني الكلام ذاته ، وملاحظة الفروق الدقيقة بين جملة حيث قال : « واعلم أنّ مما هو أصلٌ في أن يدقّ النظر ، ويعمّض المسلك ، في توحي المعاني التي عرفت : أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ، ويشتد ارتباط ثانٍ منها بأولٍ ، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً ، وأن يكون حالك فيها حال

(١) دلالات التراكيب / ٣٥٤ .

الباني يضع يمينه هاهنا في حالٍ ما يضع بيساره هناك . نعم ، وفي حال ما يُبصر مكاناً ثالثاً ورابعاً يضعهما بعد الأولين . وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حدٌ يحصره ، وقانون يحيط به ، فإنه يجيء على وجوه شتى ، وأنحاءٍ مختلفة<sup>(١)</sup> وقوله كذلك : « وإذ قد عرفت هذا النمط من الكلام ، وهو ما تتحد أجزاءه حتى يوضع وضعاً واحداً ، فاعلم أنه النمط العالي والباب الأعظم ، والذي لا ترى سلطان المزية يعظم في شيء كعظمه فيه »<sup>(٢)</sup>. وقد عرض الشيخ لنماذج شعرية من هذا الباب بالشرح والتوضيح .

وهو بكلامه هذا قد فتح باباً عظيماً لدراسة تراكيب الكلام وتكوينات الجمل .

وقد ألح الدكتور محمد أبو موسى في كثير من كتبه على قيام دراسات واعية تدور حول تكوينات الجمل حيث يقول في كتابه دلالات التراكيب : « قد كتبت هذا الكتاب في طبعته الأولى وأنا أفكر في موضوع تكوينات الجمل واختلاف هذا التكوين من كاتب إلى كاتب كما نبهت في الطبعة الأولى ، وكنت أقول في نفسي : لماذا عني البلاغيون بعلاقات الجمل وأهملوا تكويناتها ونسجها الداخلي من حيث طولها وقصرها ؟ لأنهم عنوا بها ولا شك عناية فائقة من حيث التقديم والتأخير والحذف والذكر .. إلى آخره . وكنت أقرأ مع الطلاب أبواباً من صحيح البخاري ، وكان اهتمامي متجهاً إلى البنية التركيبية المتماسكة في كلامه ﷺ ، وأكثر كلامه ﷺ من الكلام الذي ترى فيه الجمل تتداخل وتتنامى ، ويلتحم بعضها ببعض حتى تكون

(١) دلائل الإعجاز / ٩٣ .

(٢) المصدر السابق / ٩٥ .

كالجملة الواحدة توضع في النفس وضِعاً واحداً ...»<sup>(١)</sup> وقد شرح طرائق القرآن في تشابك الجمل وتداخلها في دراسته لآية عباد الرحمن من سورة الفرقان<sup>(٢)</sup> . فدل بذلك على الطريق ومهد السبيل .

ونحن في هذا المبحث نتلمس الطريق الذي عبّد ونلج الباب الذي فتح ، حيث ندرس بعض الآيات الدعائية للوقوف على سر ترتيب جملها على النحو الذي جاءت عليه ، معتمدين في ذلك على السياق القرآني الواردة فيه تلك الآيات .

ومن تلك الآيات ما جاء على لسان سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾<sup>(٣)</sup> رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّلَنِي كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٨﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٩﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمْ مَا نُحْفِي وَمَا نُعَلِّمُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٤٠﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٤١﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٢﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤٣﴾ .

(١) دلالات التراكيب / ٣٥٥ .

(٢) المرجع السابق / ٣٦٦ .

(٣) إبراهيم ، الآيات من ٣٥ - ٤١ .

الدعاء السابق جاء في سبع آيات ضمت جملاً مترابطة متشابكة بينها وشائج صلة ويتعلق بعضها ببعض ، فبعد أن ذكر في الآيات قبلها ظلم الإنسان وتبديله النعمة بالكفر ، أمر الله رسوله أن يُذكر هؤلاء المعاندين الكافرين بالأيام السابقة، أيام أبيهم إبراهيم عليه السلام وذلك ليريهم حالهم من تبديل الشكر بالكفر من عبادة الأصنام ، مع ما وهبهم الله إياه من النعمة والخير . فقد دعا إبراهيم عليه السلام ربه قائلاً : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ خلاف ما في البقرة ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾<sup>(١)</sup> وذلك لأن الدعاء في البقرة كان أولاً بعد أن أسكن زوجته وولده ، وقد كانت مكة خالية من السكان لذا طلب من الله أن يجعلها بلداً موصوفاً بالأمن فدعا لها بالبلدية<sup>(٢)</sup> أولاً ، أما ما في الآية هنا فإنه دعاء لها بعد أن صارت بلداً ، طالباً لها الأمن . لذا نكّر بلداً في البقرة وعرفّها هنا .

ولما فرغ من طلب الأمن المكاني لها أتبع دعاءه بجملة ﴿ وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ طالباً لسكانها الأمن النفسي ، وهو أمن من فساد العقيدة بأن يُعبد في هذا البلد غير الله كالأصنام التي كانت عبادتها منتشرة في عهده . لذا طلب الله أن يجنبه وبنيه عبادتها وعبر بالمضارع للدلالة على أن هذا المطلب متجدد في كل الأزمان وليس خاصاً بعهده هو بل مستمر في ذريته من بعده ، ثم يواصل دعاءه في تضرع وخشوع منادياً ربه ، فتأتي جملة ﴿ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّلَنَّا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾ لتوضيح سبب دعوته اجتناب عبادة الأصنام ، حيث أنها السبب وراء غواية كثير من الناس ، ثم يأتي تمام الآية

(١) البقرة / ١٢٦ .

(٢) أي أن تكون بلداً عامرة مأهولة بالسكان .

مبيناً أنه عليه السلام قد بلغ الدعوة فما على الناس سوى الاتباع والاهتداء لطريق الحق ، وبذلك يكونون من أتباعه ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ أما من قابل دعوته بالرفض والعصيان ﴿ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ حيث دعا ربه أن يغفر له والتقدير ( اغفر له فإنك غفور رحيم ) .

وبعدما انتهى عليه السلام من طلب الأمن المكاني والنفسي لهذه البقعة المباركة وجعلها مهية للسكن الموجب للبقاء فيها ذكر سبب ذلك وبينه بقوله : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ فقد جاءت هذه الجملة مؤكدة لتظهر شدة الشفقة والرأفة على ذريته التي أسكن بعضاً منها وهما « هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام » في هذا الوادي الذي وصفه بأنه خالٍ من الزرع الأمر الذي يدرك منه خلوه من الماء كذلك . ثم أتبع ذلك بالظرف ﴿ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ زيادة في البيان لأمر هذا الوادي فهو في موضعٍ عظيم كونه بيتاً لله ووصفه بالمحرم ، وفي ذلك دلالة على كون من نزله في حمى الله ومنعته لا يتعرض له أحدٌ فيه .

ثم يكرر لفظ ﴿ رَبَّنَا ﴾ زيادة في الضراعة ثم تأتي جملة ﴿ لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ مبينة السبب في إسكان ذريته هذا الوادي إذ أنه مما لا يكاد يصدق أحد . فهو أسكنهم في هذا الوادي تنفيذاً لأمر الله عز وجل له حيث أمره بذلك كما جاء في الحديث ، عندما قالت له هاجر عليها السلام : « يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء ، فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له : آلهة أمرك بهذا ؟



قال : نعم . قالت : إذاً لا يضيعنا»<sup>(١)</sup> . فهو أسكنهم في هذا القفر الجذب لكي يقيموا الصلاة ، وقد خصَّها دون غيرها من العبادات لمكانتها في الدين فهي العهد والحد الفاصل بين الكفر والإيمان ، وهم من أجل إقامتها في هذا المكان يحتملون الجذب والحرمان . وفي التعبير بالمضارع ( يقيموا ) دلالة على أنها عبادة عظيمة يجب أن تستمر وتتجدد في كل عصر وأن يحرص كل جيل على إقامتها كاملة تامة .

ونظراً لنزولهم في هذا الوادي البلقع وانشغالهم بإقامة شعائر الدين ، فإن ذلك مدعاة لانشغالهم عن الكدح وطلب أسباب العيش لذا عقب بجملة : ﴿ فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ وعطف عليها بجملة ﴿ وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ حيث طلب من ربه أن يأنسهم في هذا المكان بأن يجعل القلوب تهوي إليهم رفاةً مجنحةً مسرعة في شوق ومحبة ، قلوب تحمل معها الخير والحب لتقيم مع ذريته أمر الدين في تلك البقعة الطاهرة . لذا قال ( إليهم ) أي إلى ذريته . فتأنس قلوبهم بتزدد الزائرين على هذا المكان . ولأن وفود هذه الجموع يترتب عليه قيام الحضارات ونشوء المعاملات فدعا أن يرزق الله ذريته من أنواع الثمرات المختلفة عن طريق هذه الجموع ، ولم يخص هنا المؤمنين كما جاء في البقرة : ﴿ وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِّنَ الثَّمَرَاتِ مَنَ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ ﴾<sup>(٢)</sup> وذلك للاكتفاء بذكر إقامة الصلاة في سورة إبراهيم في قوله : ﴿ لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ .

(١) البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء ٣ / ١٢٢٦ من حديث ابن عباس .

(٢) البقرة / ١٢٦ .

فينشأ عن ذلك الشكر منهم على هذه النعم الجليلة ، من هنا يمكن القول  
« إن هدفه من إسكان ذريته بجوار البيت هو إقامة الصلاة كاملة تامة ، وهدفه  
من الدعاء للذرية بإهواء القلوب إليهم ورزقهم من ثمرات الأرض شكر الله  
المنعم الوهاب »<sup>(١)</sup> .

« فالآية لتذكير قريش بهذه النعم الجليلة عليهم بركة أبيهم الأعظم الذي  
نهى عن عبادة الأوثان »<sup>(٢)</sup> . ثم نراه عليه السلام يواصل تضرعه لله معترفاً  
بسعة علمه سبحانه وتعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ وَمَا  
يُخْفِي عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ . فهذه الجملة جاءت  
بعد ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ لتبين أن هذا الشكر وهذا الدعاء المعلن منه  
والمخفي هو في علم الله الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ،  
وفي هذا « تعليم لأهله وأتباعه بعموم علم الله تعالى حتى يراقبوه في جميع  
الأحوال ويخلصوا النية إليه »<sup>(٣)</sup> .

فالشكر مهم لاستمرار النعم ولهذا نراه عليه السلام يتبع كلامه بجملة :  
« الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق » . مطلقاً الحمد  
والثناء لله عز وجل الذي أنعم عليه بالذرية وهو في سن لا يولد فيها مثله ، ثم  
جاء بالجملة التي تليها ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ مؤكداً فيها أن هذه  
النعم هي استجابة منه سبحانه وتعالى لدعائه عليه السلام الذي قال فيه :

(١) انظر في ظلال القرآن ١٣ / ٤م / ٢١١٠ .

(٢) نظم الدرر ٤ / ١٩٢ .

(٣) التحرير والتنوير ١٣ / ٢٤٣ .

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾<sup>(١)</sup> . ثم نراه يدعو بطلب الاستمرار على الأعمال الصالحة بعدما فرغ من الدعاء للذرية وحمده الله عز وجل وشكره على نعمة الولد ، وقد خصَّ الصلاة لما سبق فنراه يقول : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾<sup>ع</sup> فهذه الجملة تدل على حرصه عليه السلام على إقامة أمر الدين وعموده والإقبال إلى الله بالأعمال الصالحة كنوع من الشكر والعرفان وقد أفرد الضمير في ربّ - واجعلي ثم اتبع بقوله ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾<sup>ع</sup> ليكون هو القدوة لهم وهم الأتباع يسيرون على نهجه في تحقيق الإيمان الكامل وعبر بالاسم ( مقيم ) ليدل على ديمومة هذه الإقامة وثباتها فيه وفي ذريته من بعده . ثم يطلب من ربه أن يتقبل دعاءه الذي كان منه ، فعطف على طلب إقامة الصلاة تقبل الدعاء ، ولعل ذلك راجع إلى العلاقة الوثيقة بين الصلاة والدعاء . ولما فرغ من دعائه السابق المتعلق بأمر الدنيا جاء بخاتمة دعائه لأمر متعلق بالآخرة ، وهو طلب الغفران من الله مبتدئاً بنفسه ثم والديه ثم عامة المؤمنين لذا جاءت الآية مصدرة ( برنا ) مضافة لضمير الجمع . ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ .

وعند تأمل الجمل في الدعاء السابق نرى تآلفاً بين هذه الجمل وارتباطاً وثيقاً بينها ، تأخذ إحداها بعجز الأخرى ، فهي مترتبة عليها ، منبثقة عنها ، وكان هذه الجمل جملة واحدة . أعطت القارئ صورة متكاملة لحال إبراهيم وذريته في تلك البقعة ، وجعلت الدعاء صورة شاخصة أمامنا نحس فيها بما

(١) الصافات / ١٠٠ .

يحبسه عليه السلام ، من الخوف المزوج بالشفقة والعطف على ذريته .  
فنقلتنا هذه الجمل إلى أجواء ذلك الوادي المقفر وطافت بنا بين جنباته ،  
وجعلت صدى هذا الدعاء يتردد في مسامعنا<sup>(١)</sup> .

وهذا التناغم بين الجمل نجده في دعاء سيدنا موسى عليه السلام في قوله:  
﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ  
لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي  
﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِمْ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ ﴾ .

فبعد أن جاءه أمر الله عز وجل في قوله : ﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ  
طَغَى ﴾<sup>(٣)</sup> ، بأن يتجه لدعوة فرعون إلى عبادة الله عز وجل ، دعا عليه  
السلام بذلك الدعاء فبدأ أولاً بقوله : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ فهذه  
الجملة الدعائية جاءت لتبين أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى انشراح صدر الداعي

(١) راجع الآيات السابقة في :

- ١ - الكشاف ٢ / ٥٣٦ - ٥٤٠ .
  - ٢ - الجامع لأحكام القرآن ٩ / ٣٦٨ - ٣٧٥ .
  - ٣ - تفسير البيضاوي بهامش حاشية الشهاب ، وحاشية الشهاب ٥ / ٢٧٠ - ٢٧٤ .
  - ٤ - تفسير أبي السعود ٥ / ٥٠ - ٥٤ .
  - ٥ - نظم الدرر ٤ / ١٨٩ - ١٩٣ .
  - ٦ - روح المعاني ١٣ / ٢٣٣ - ٢٤٤ .
  - ٧ - التحرير والتنوير ١٣ / ٢٣٧ - ٢٤٤ .
  - ٨ - في ظلال القرآن / ج ١٣ / مجلد ٤ / ٢١٠٩ - ٢١١١ .
- (٢) طه / ٢٥ - ٣٢ .
- (٣) طه / ٢٤ .

ليقوم على أمر الدعوة ويقبل على حمل تلك المسؤولية وأدائها على الوجه المطلوب ، فإذا ما حدث هذا وعلت المهمة وأقبل الداعي لتبليغ ما أمر به ، تظهر الحاجة إلى تيسير أمره ، لذا جاءت جملة ﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ معطوفة على سابقتها ، لأن التيسير من مقتضيات الانشراح ويكون ذلك بإزالة كل العقبات التي تقف في طريق الداعي ، ولم تكن أمام سيدنا موسى عليه السلام سوى عقبة عدم الإفهام ، نتيجة ما حصل له وهو صغير من أكله للجمرة مما أحدث رتة في لسانه . ولما كانت هذه هي العقبة الوحيدة نراه في الجملة التالية يعطف على الجملتين السابقتين داعياً الله عز وجل بقوله : ﴿ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾ أي أن يحل عقدة لسانه المانعة من الإفهام ، لا عقدة لسانه مطلقاً لذلك نكرها . وقال عقدة من لساني ولم يقل عقدة لساني ، لأن المراد عقدة من عقد لساني . ثم جاءت الجملة التي تليها تعليلاً لهذا الطلب حيث قال : ﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ أي حتى يفقهوا ما أدعوهم إليه من الخير .

وبعد أن فرغ من طلب العون الداخلي المتمثل في إصلاح ذاته لحمل الرسالة إلى فرعون اتجه إلى طلب الإصلاح الخارجي لأمر الدعوة المتمثل في أمداده بالمعين الصادق الذي يتحمل معه أعباء هذه الأمانة ويكون من أهله مبيناً لشخصه وهو هارون عليه السلام . أخوه الذي سيكون له خير ناصر وخصاً أن يكون الوزير من أهله ليكون أشفق عليه وأحرص .

وتأتي جملة ﴿ أَشَدُّ بِهِ أَرْزِي ﴾ وبعدها جملة ﴿ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴾ معطوفة عليها لبيان أثر هذا الوزير وفائدته التي تعود على موسى فبين أن هذا الوزير الأخ ، سيشد أزره ويزيد قوته . ليس ذلك فحسب بل

سيشاركه في أمر الدعوة ومهمة التبليغ . ولذا جاء بالجار والمجرور ( في أمري ) أي بعضاً من أمور الدعوة التي أكلفه بها .

فالجمل السابقة جاءت مرتبة « حسب ترتيبها في الواقع »<sup>(١)</sup> متداخلة تداخلاً منحها صفة التّوحد والترابط حتى لكأنها جملة واحدة سبكت في قالبٍ دعائي واحد .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

فالآية السابقة آية واحدة ، ولكنها جاءت تحمل خمس جمل مترتبة كل واحدة منها مرتبطة بالأخرى آخذة بعضها برقاب بعض فجملة ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ ذكرت بعدما دعا عليه السلام طالباً من ربه جعله وذريته من المسلمين ولما كان معلوماً أن الإسلام لا يتحقق إلا بإرسال الرسل قال : ﴿ وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ . وقد جعل البعث فيهم والمراد به البعث في الأمة المسلمة لذا قدّم الجار والمجرور ( فيهم ) لاهتمامه بأمر هذه الأمة ولما كان بعث الرسل في الأمم يقتضي أحياناً أن لا يكون الرسول المبعوث إليهم منهم ختم عليه السلام هذه الجملة بالجار والمجرور ( منهم ) حرصاً منه عليه السلام أن يكون الرسول منهم ، ليكون ذلك أدعى لاتباعه وإجابة دعوته ، وليكون « أرفق بهم وأشفق عليهم ويكونوا هم أجدر

(١) التحرير والتنوير ١٦ / ٢١٠ .

(٢) البقرة / ١٢٩ .

باتباعه والتزامي في نصره»<sup>(١)</sup> .

ثم تأتي الجملة الأربع المتعاطفة مبينة عمل الرسل في هذه الأمة ، فالجملة الأولى قوله تعالى : ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ ﴾ فتبدأ مهمة الرسول بتبليغ أمر الدعوة إلى الناس ويكون ذلك بتلاوة آيات الله - القرآن - فإذا تم له ذلك اتجهت الحاجة إلى تعلم معانيه لذا عطف بجملة ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ على ما سبق . حيث يأتي تعلم القرآن أولاً ثم تعلم الحكمة ( السنة ) ثانياً لذا أُخِّرَتْ الحكمة . ولما كان البعث مراداً به البعث في الأمة المسلمة فإن الجملة الثالثة ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ جاءت مؤخراً ، ذلك أن التزكية أصلها موجود بالإسلام ، وإنما هم في حاجة إلى تعليم ما ذكر أكثر من حاجتهم إليها<sup>(٢)</sup> . في حين أنه في سورة الجمعة عندما ذكر بعثه في الأميين عامة اقتضى المقام تقديم جملة ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ تلك التزكية التي رأسها البراءة من الشرك الأكبر ، ليقبلوا على ما جاءهم من العلم ، وأما تقديمها في آل عمران مع ذكر البعث للمؤمنين فلأن الحال اقتضت ذلك ، كونها حال معاتبة على الإقبال على الغنائم مما سبب الهزيمة لهم<sup>(٣)</sup> . ثم تأتي الخاتمة لهذا الدعاء بالجملة المؤكدة ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ « وفي ذلك إظهار عظيم لشرف العلم وطهارة الأخلاق ، وأن ذلك لا ينال إلا بمجاهدات لا يطيقها البشر ولا تدرك أصلاً إلا بجدٍ تطهره العزّة وترتيب أبرمته الحكمة »<sup>(٤)</sup> .

(١) نظم الدرر ١ / ٢٤٣ .

(٢) المرجع السابق ١ / ٢٤٤ .

(٣) المرجع السابق ١ / ٢٤٤ .

(٤) المرجع السابق ١ / ٢٤٤ .

ومن الآيات التي جاءت جملها مرتبة ترتيباً روعياً فيه السبب ما جاء على لسان جنود طالوت في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> . فالصبر سبب لتثبيت الأقدام وكلاهما سبب للنصر ، ففي الآية السابقة جاءت خمس جمل وضعت كل واحدة منها في موضع لا يكون إلا لها وفي نسق من الكلام ترتب ترتيباً لا يؤدي غيره معناه .

فالجملية الأولى ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ جاءت كاشفة لحال هؤلاء الداعين مصورة جو المعركة وكيف أنهم في فضاءٍ من الأرض دلت عليه كلمة ( برزوا ) وهم على ما هم عليه من الضعف والقلّة التي أخبروا عنها قبل ذلك في قوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلِّقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . ويعنون بالفئة القليلة أنفسهم والفئة الكثيرة جنود جالوت . ثم إن بروزهم أمام هذه الفئة الظالمة بكثرتها وقوتها ، ترتب عليه التجاؤهم إلى الله بقلوبهم وألسنتهم حيث دعوه سبحانه وتعالى ، لذا جاءت جملة ( قالوا ) وتلتها ثلاث جمل متعاطفة لتبين قولهم الذي قالوه والذي بدأوه بجملة ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ وتصديرها بـ ( برنا ) تدللاً وتضرعاً لله عز وجل طالبين منه عز وجل إفراغ الصبر عليهم وسكبه في قلوبهم ، والإفراغ يكون دائماً من علو ودفعة واحدة ، وفي ذلك إشارة إلى أنهم يريدون الصبر فيضاً ينزل

(١) البقرة / ٢٥٠ .

(٢) البقرة / ٢٤٩ .



عليهم من الله مباشرة فيحيط بهم من كل جانب ، وقد قدموه على تثبيت الأقدام والنصر حتى لا يعترتهم الخوف من هذا الجيش فيكون ثباتهم من الداخل أولاً ، وقد صوروا الصبر كالماء الذي يسكب عليهم فيغنيهم عن الماء الذي منعوا منه . ثم إذا ثبتت قلوبهم بالصبر احتاجوا إلى ثبات أقدامهم فجاءت جملة ﴿ وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ فلا تزيع ولا تنحرف في ساحة القتال . ثم إنهم لما تمكنوا من ثبات داخلهم وخارجهم ، امتلأت نفوسهم ثقةً بنصر الله ، لذا ختموا دعاءهم بجملة ﴿ وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> معتمدين على الله في تحقق هذا النصر ثم على إيمانهم، وفي نعتهم القوم بالكافرين ، زيادة استعطاف لله عز وجل ، وبيان أنهم أحق منهم بالنصر لإيمانهم بالله عز وجل . الذي لا يُغَلَب ولا يرد من دعاه من عباده المؤمنين .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾<sup>(٢)</sup> أهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿<sup>(٣)</sup> نرى ثلاث جملٍ كان ترتيبها في غاية الإحكام ، حيث جاءت الجملة الأولى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ مقدّمة على الجملة الثانية ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ذلك « أن العبادة تقرب للخالق تعالى فهي أجدر بالتقديم في المناجاة وأما الاستعانة فهي لنفع المخلوق للتيسير عليه فناسب أن يقدم المناجي ما هو من عزمه وصنعه على ما يسأله مما يعين على ذلك »<sup>(٣)</sup>

(١) راجع الآية في تفسير أبي السعود ١ / ٢٤٤ ، فتح القدير ١ / ٢٦٦ ، تفسير البيضاوي

وحاشية الشهاب ٢ / ٣٣١ ، نظم الدرر ١ / ٤٧٩ - ٤٨٠ .

(٢) الفاتحة / ٥ - ٦ .

(٣) التحرير والتنوير ١ / ١٨٦ .

ولأن العبادة « لا تتم ولا تحصل إلا بمعونة الله »<sup>(١)</sup> ثم لما قدّم العبادة وتلاها بما يعين عليها ، جاءت الجملة الثالثة لتبين كيفية هذه الإعانة ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ فكانه قيل كيف أعينكم ؟ فقالوا : اهدنا وأرشدنا إلى الحق وملة الإسلام ، ومعنى طلبهم الهداية وهم مهتدون ، زيادة في الهدى أو بمعنى ثبتنا أي طلب الاستمرار على هذا الحق وعدم الانحراف عنه<sup>(٢)</sup> .

وقد يأتي ترتيب الجمل في الذكر مخالفاً لترتيبها في الوجود من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾<sup>(٣)</sup> . فجملة ﴿ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ يراد بها الإدخال إلى المدينة وجملة ﴿ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ الإخراج من مكة . فالمقدم في الذكر مؤخر في الوجود ، لأن الإخراج يكون أولاً ثم الإدخال يأتي بعده . ولكن جاء الترتيب على هذا الوجه لأن المقدم هو الأهم بالنسبة للداعي ، فالإدخال للمدينة أهم للرسول عليه السلام<sup>(٤)</sup> .

فمما سبق يمكن القول إن ترتيب جمل الدعاء القرآني كان في معظمه ترتيباً يراعى فيه الترتيب الواقعي للأحداث . وإن بعض الآيات تتكاثر فيها الجمل وتُبنى على بعضها في نسق محكم تتآزر فيه جملة وتداخل ويلحق بعضها بعضاً . وبعضها الآخر تقل فيه الجمل ويكون الترتيب بين جملتين

(١) تفسير البيضاوي ١ / ١١٠ .

(٢) انظر الكشاف ١ / ٢٥ .

(٣) الإسراء / ٨٠ .

(٤) انظر البحر المحيط ٧ / ١٠٢ ، تفسير أبي السعود ٥ / ١٩٠ .

فقط نحو قوله : ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾<sup>(١)</sup> حيث جاءت جملة ﴿ سَمِعْنَا ﴾ مقدمة على جملة ﴿ وَأَطَعْنَا ﴾ لأن السمع يقع منهم أولاً ، وهو طريق الدعوة في الوصول إلى الناس ثم تظهر نتيجته إما بالإجابة والطاعة ، وإما بالرفض والعصيان .

---

(١) البقرة / ٢٨٥ .

## المبحث الثالث

### مظاهر الإيجاز والإطناب

يعدُّ الإيجاز والإطناب من أبواب البلاغة المهمة ، وقد تناولها الدارسون بالتفصيل والإيضاح ، مع العلم أن مسألة الإيجاز في الكلام - بالحذف أو بالقصر - والإطناب فيه مسألة يحددها المتكلم ، وتكون حسب الحاجة ، ووفق ما يقتضيه المقام ، فكل منهما مطلوبٌ في موضعه ، وله بلاغته ، فلا الإيجاز أبلغ من الإطناب ، ولا الإطناب أبلغ من الإيجاز ، بل كما قال أبو هلال العسكري<sup>(١)</sup> : « الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكل نوع منه ، ولكل واحد منهما موضع ، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته ، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ »<sup>(٢)</sup> .

ويلحظ المتأمل للدعاء القرآني أنَّ الإيجاز والإطناب يتآزران معاً للإبانة عن المعاني الواردة على السنة الداعين ، في أسلوب يفيض بروائع البلاغة في البيان المعجز ؛ وقد ناسب كل واحدٍ منهما موضعه الذي وضع فيه ، وأدَّى معناه كما يجب ، وكما يقتضيه السياق في تجانس بديع ونظم معجز ،

---

(١) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، عالم بالأدب، له شعر وتوفي بعد ٣٩٥ هـ ، ومن كتبه : التلخيص في اللغة ، وجمهرة الأمثال ، وكتاب الصناعتين : النظم والنثر .

انظر ترجمته في : الأعلام ٢ / ١٩٦ .

(٢) الصناعتين / ١٩٠ .

وسنعرض لصور الإيجاز والإطناب الواردة في الدعاء القرآني على النحو الآتي:

### أولاً : الإيجاز :

الإيجاز هو : « أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط »<sup>(١)</sup> ، وهو ضربان : أحدهما إيجاز القصر ويراد به : « تقليل الألفاظ وتكثير المعاني »<sup>(٢)</sup> . ومما ورد منه في آيات الدعاء قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾<sup>(٣)</sup> . وقوله : ﴿ وَآكُتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾<sup>(٤)</sup> ، فالحسنة في الآيتين فيها من الإيجاز الشيء الكثير ، فهي كلمة جامعة لكل خير كالزوجة الصالحة ، والعلم النافع ، والولد الصالح ، والرزق الطيب ، والمال ، والفهم لكتاب الله<sup>(٥)</sup> فالحسنة لفظة واحدة حملت في مضمونها معانٍ عديدة متنوعة .

ومنه كذلك قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي أَبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> . فقوله : ﴿ إِنِّي أَبْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ قول موجز ، أي أنّ ابني من صليبي فردّه إليّ ونجّه من العذاب فهو من أهلي الذين

(١) الإيضاح للخطيب القزويني ٣ / ١٧١ .

(٢) الصناعتين / ١٧٥ .

(٣) البقرة / ٢٠١ .

(٤) الأعراف / ١٥٥ .

(٥) راجع تفسير الطبري ٢ / ٣٠٠ .

(٦) هود / ٤٥ .

أمرتني بحملهم إلا من سبق عليه القول كما مرأتي لكفرها<sup>(١)</sup> .

فعبّر عليه السلام عن لهفته على ولده وحبه له بهذا القول الموجز لأن  
المقام مقام شدة وكرب وقلق على الأهل والذرية .

ونجد من شواهد إيجاز القصر في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ  
ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾<sup>(٢)</sup> فقد عبّر إبراهيم عليه  
السلام بقوله : ﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾ عن خلو هذا الوادي من مقومات  
الحياة ، أي أن هذا الوادي الذي أنزل فيه زوجته هاجر وابنها إسماعيل عليهما  
السلام وادٍ لا يصلح للسكن ، ذلك لأنه مفتقر لأهم ما يحتاجه الإنسان  
ليحيا، وهو الماء الذي ترتب على خلوه من هذا الوادي أن خلا أيضاً من  
النبات وأنواع الزروع المختلفة التي منها ما يكون غذاءً للإنسان . وجاء  
قوله : ﴿ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾ في وصف هذا الوادي ، ليدفع ما قد يتوهمه  
السامع من أن يكون هذا الوادي وادياً خصباً فيه ماء ونبات ، لأن منها ما  
هو كذلك ، وفي ذكره الزرع والاكتفاء به دون الماء للدلالة على قفر هذا  
الوادي وجده بلاغة رائعة ، لأن الماء قد يوجد في المكان ولا ينبت فيه نبات،  
لكن لا نبات دون ماء .

ومن ذلك أيضاً ما جاء على لسان الخليل عليه السلام في قوله تعالى :

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ ﴾<sup>(٣)</sup> فقوله : ﴿ مُقِيمَ الصَّلَاةِ ﴾ يحمل عدة

(١) راجع نضم الدرر ٣ / ٥٣٥ .

(٢) إبراهيم / ٣٧ .

(٣) إبراهيم / ٤٠ .

معان فهو أراد أن يجعله الله مقيماً للصلاة على أكمل وجه ، مؤدياً لها في وقتها ومتماً لركوعها وسجودها على الوجه المطلوب كما يجب سبحانه ويرضى .

ومنه كذلك قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾<sup>(١)</sup> فقوله : ﴿ ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ عبارة موجزة ، أي ظلمتها بإقدامي على ما لم يؤذن لي فيه من قتل القبطي انتصاراً للإسرائيلي .

ونلمح هذا الإيجاز في قول نوح عليه السلام : ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرُ ﴾<sup>(٢)</sup> أي أن قومي غلبوني بكفرهم ، ولا حيلة لي في هدايتهم ، فقد بالغت في دعوتهم بكل الطرق والوسائل دونما جدوى ، حيث قابلوا دعوتي بالكفر والإعراض ، فعاقبهم يا رب وانتصر لدينك .

وفي قوله تعالى تعليماً للإنسان الدعاء لوالديه : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رَبِّيََانِي صَغِيرًا ﴾<sup>(٣)</sup> يظهر الإيجاز في معنى التربية ، فالتربية اسم جامع شامل لصنوف الرعاية والاهتمام المقدمة للولد ، من عناية بطعامه وشرابه ولباسه وتهذيب أخلاقه ، وتعليمه وكل ما فيه رحمة بهذا الصغير . فحمل لفظ التربية كل هذه المعاني وأظهرها في الكلام كأنها مذكورة فيه .

(١) القصص / ١٦ .

(٢) القمر / ١٠ .

(٣) الإسراء / ٢٤ .

- أمّا الضرب الثاني من الإيجاز فهو إيجاز الحذف وهو « ما يكون بحذف والمحذوف إما جزء جملة أو جملة أو أكثر من جملة »<sup>(١)</sup> ، وقد جاء هذا الضرب بأنواعه المختلفة في الدعاء القرآني ومن نماذجه :

## أ - حذف جزء من أجزاء الجملة :

### (١) حذف أداة النداء :

التزم القرآن الكريم حذف أداة النداء ( اليا ) مع كلمة ( رب ) خاصة في كل موضع وردت فيه إلا في موضعين :

الأول قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾<sup>(٢)</sup> .

والثاني قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقد علل الكرمانى هذا الحذف بأنه للتنزيه والتعظيم بقوله : « كثر حذف ( يا ) في القرآن مع الرب تنزيهاً وتعظيماً ، لأن في النداء طرفاً من الأمر »<sup>(٤)</sup> . فقد أرجع النداء إلى أصل معناه من طلب الإقبال الدال على الأمر ، لذلك عند توجيهه لله حذفت الأداة تنزيهاً وتعظيماً له من أن يؤمر ، وقد ردّ عليه بأن « حذف أداة النداء لا يعني حذف النداء ، وإلغاء معناه ،

(١) الإيضاح ٣ / ١٨٥ .

(٢) الفرقان / ٣٠ .

(٣) الزخرف / ٨٨ .

(٤) العجائب للكرمانى نقلاً عن الإتيان للسيوطي ٣ / ١٨٩ .



ومن ثم فلا معنى لتعليل الحذف بأنه كان لتنزيه الله تعالى وتعظيمه من أن يتوجه إليه ما هو على صورة الأمر ، لأن دلالة النداء على الطلب ( طلب الإقبال ) ثابتة ذكرت الأداة أو حذفت «<sup>(١)</sup>» .

وللشاطبي<sup>(٢)</sup> تعليل حول هذا الحذف ، فقد جعل الحذف هنا لأن الأداة تدل على التنبيه والله منزّه عن ذلك ، ولأنها تستخدم لنداء البعيد مع أن الله قريب من عباده ، والداعين خاصة حيث يقول : « حرف النداء للتنبيه في الأصل ، والله تعالى منزّه عن التنبيه ، وأيضاً فإن أكثر حروف النداء للبعد ، ومنها ( يا ) التي هي أم الباب ، وقد أخبر الله - تعالى - أنه قريب من الداعي خصوصاً ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾<sup>(٣)</sup> . ومن الخلق عموماً لقوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَآبِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> «<sup>(٥)</sup>» وقد ردّ عليه بأن التنبيه هنا حمل معنى الدعاء لله عز وجل ، ليقبل على الداعي بالخير الذي يطلبه ، وأن المراد بالبعد هنا ليس بعد المكان وإنما بعد المكانة والمنزلة<sup>(٦)</sup> .

(١) بلاغة الدعاء في الحديث النبوي / ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠ هـ ، أصولي حافظ من أهل غرناطة ، من مؤلفاته : الموافقات ، والمجالس ، والاتفاق في علم الاشتقاق .

انظر ترجمته في : الأعلام / ١ / ٧٥ .

(٣) البقرة / ١٨٦ .

(٤) المجادلة / ٧ .

(٥) الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي نقلاً عن بلاغة الدعاء في الحديث النبوي / ٢٤٤ .

(٦) راجع بلاغة الدعاء في الحديث النبوي / ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

ومن علل حذف الأداة أيضاً الدكتور أحمد بدوي بقوله : « لعل في ذلك تعبيراً عن شعور الداعي بقربه من ربه »<sup>(١)</sup> . وبعضهم أرجعه « لكثرة الاستعمال والإحساس بالقرب الداني والإيناس بهذا المقرب »<sup>(٢)</sup> . وقيل أيضاً : « إن كلمة رب أكثر استعمالاً من غيرها في الدعاء ، فروعياً فيها من جهات التخفيف ما يجعلها أطوع في الألسنة وأسهل في مجاري الحديث »<sup>(٣)</sup> ، وهو لكثرتة غني عن التمثيل<sup>(٤)</sup> .

## (٢) حذف المضاف :

يحذف المضاف من الكلام لأنه معلوم لدى السامع ، فهو يقدره دون حاجة إلى ذكره ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ ﴾<sup>(٥)</sup> ، فقوله : ﴿ عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ فيه حذف للمضاف قدره الطبري وابن عطية على السنة رسلك<sup>(٦)</sup> ، وقدره الزمخشري بقوله : « ما وعدتنا على تصديق رسلك ... ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف ، أي ما وعدتنا منزلاً على رسلك ، أو محمولاً على رسلك ... وقيل على السنة رسلك »<sup>(٧)</sup> . ومنه كذلك قوله تعالى : ﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ

(١) من بلاغة القرآن / أحمد أحمد بدوي / ١٦٨ .

(٢) الأساليب الإنشائية / د. صباح عبيد دراز / ٦٦ .

(٣) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية / د. عبد العظيم المطعني / ٢ / ٨ .

(٤) راجع المعجم المفهرس ( ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ ) .

(٥) آل عمران / ١٩٤ .

(٦) البحر المحيط / ٣ / ٤٧٤ .

(٧) الكشف / ١ / ٤٤٥ .

وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾ .  
فقد حُذِفَ المضاف وَقُدِّرَ بالعقوبات - أو جزاء السيئات (١) .

### (٣) حذف المضاف إليه :

كثر حذف المضاف إليه في الدعاء خاصة إذا كان المضاف إليه (ياء المتكلم) والمضاف (رب) والسر في ذلك : « أن كلمة (رب) لا تحتاج في نسبتها إلى المتكلم إلى تلك العلامة اللفظية (الياء) فهو رب كل شيء سواء أضيف أو لم يضيف ، وقد حرص القرآن الكريم على أن يستعمل هذه الكلمة محذوفاً منها ضمير المتكلم المضاف إليه في أغلب مواضعها » (٢) .

وهنالك سبب لفظي يرجع إلى أن لفظة (رب) لما كان يكثر استعمالها في النداء « روعي فيها وجه الخفة بحذف ما تضاف إليه إلا أن يكون ما تضاف إليه اسماً ظاهراً غير ضمير المتكلم ... كقوله تعالى ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٣) ، ولأن قوة القرينة مع الإضافة إلى ياء المتكلم ساعدت على أمر الحذف بخلاف غيره ... وهو فضلاً عن كونه من التوسع في اللغة فإن فيه فضيلة الإيجاز مع وفاء الدلالة » (٤) .

(١) غافر / ٩ .

(٢) انظر الكشاف ٤ / ١٤٩ - البحر المحيط ٩ / ٢٣٩ - البيضاوي وحاشية الشهاب

٣٦٠ / ٧ .

(٣) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٢ / ٤٨ .

(٤) الشعراء / ٢٦ .

(٥) خصائص التعبير القرآني ٢ / ٤٨ - ٤٩ .

ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾<sup>(١)</sup>  
وقوله : ﴿ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> . وقوله : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ  
أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ ﴾<sup>(٣)</sup> .

#### (٤) حذف الفعل والفاعل :

ورد حذف الفعل والفاعل في الدعاء ، وذلك للدلالة ما قبله عليه ،  
فعندما أعيد حذف رغبة في الإيجاز وذلك في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا  
فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾<sup>(٤)</sup> ، فعندما عطفت جملة ﴿ فِي  
الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ على الجملة قبلها حذف الفعل والفاعل ( آتنا ) للدلالة  
الفعل ( آتنا ) قبله عليه . ومثله قوله تعالى : ﴿ وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا  
حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ ﴾<sup>(٥)</sup> . أي اكتب لنا في الآخرة حسنة فحذف الفعل  
والفاعل من الجملة الثانية ( وفي الآخرة ) للدلالة الفعل قبلها ( اكتب لنا )  
على المحذوف .

ويكثر في الدعاء القرآني حذف القول من ذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا  
تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>(٦)</sup> . أي يقولان ، ومنه أيضاً قوله

(١) المائدة / ٢٥ .

(٢) المؤمنون / ٢٦ - ٣٩ .

(٣) الأحقاف / ١٥ .

(٤) البقرة / ٢٠١ .

(٥) الأعراف / ١٥٦ .

(٦) البقرة / ١٢٧ .

تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾<sup>(١)</sup> . وقوله : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾<sup>(٢)</sup> . وقوله : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا ﴾<sup>(٣)</sup> . ففي الآيات السابقة محذوف تقديره ( يقولون ) ومن حذف الفاعل قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾<sup>(٤)</sup> أي « يقوم الناس للحساب فاكتفى بذكر الحساب عن ذكر الناس إذ كان مفهوماً معناه »<sup>(٥)</sup> .

### (٥) حذف المفعول :

اهتم البلاغيون بحذف المفعول اهتماماً خاصاً ، فبحثوا في أسرار حذفه ، وأفردوا له مباحث خاصة ، لأنه كما قال عنه الشيخ عبد القاهر : تكثر لطائفه وتدق أسراره وكان المزاياء فيه أخلب وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب<sup>(٦)</sup> . وقد كثر حذف المفعول في الدعاء القرآني ، ومن نماذجه :

١ - حذف مفعول الفعل ( اغفر ) فقد ورد هذا الفعل في الدعاء ثمان عشرة مرة ذكر مفعوله في ثلاثٍ منها في سورة آل عمران ، وهي قوله تعالى :

(١) آل عمران / ٨ .

(٢) آل عمران / ١٩١ .

(٣) غافر / ٧ .

(٤) إبراهيم / ٤١ .

(٥) الطبري / ٨ / ٢٣٦ .

(٦) راجع دلائل الإعجاز / ١٥٣ .

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾<sup>(١)</sup> . وقوله : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا  
ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله كذلك : ﴿ رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا  
ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا ﴾<sup>(٣)</sup> . حذف في الآيات الأخرى منها قوله  
تعالى : ﴿ وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا  
أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> . وقوله :  
﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ﴾<sup>(٦)(٧)</sup> . ويمكن تقدير المفعول  
لهذا الفعل من خلال تتبع مادة غفر في القرآن ، حيث يغلب أن يكون مفعولها  
( ذنوبنا أو خطايانا ) وهذا الحذف جاء لقوة دلالة الحس على تقديره فهو  
من قوة تعلقه بالفعل أصبح كالمذكور معه ، يدل عليه حتى لو لم يذكر في  
الكلام ، وفي هذا نوعٌ من الإيجاز كون المحذوف معلوماً في ذهن السامع .

٢ - حذف مفعول الفعل ( تقبل ) في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾<sup>ط</sup>  
﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>(٨)</sup> . وقوله : ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

(١) آل عمران / ١٦ .

(٢) آل عمران / ١٤٧ .

(٣) آل عمران / ١٩٣ .

(٤) البقرة / ٢٨٦ .

(٥) الأعراف / ٢٣ .

(٦) الأعراف / ١٥١ .

(٧) راجع المعجم المفهرس ( غفر ) ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦ .

(٨) البقرة / ١٢٧ .

الْعَلِيمُ ﴿١﴾ وتقدير المفعول في الآية الأولى ( دعاءنا ) وذلك لأنه ذكره في سورة إبراهيم في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ ﴿٢﴾ ، وقيل : ( تقبل أعمالنا ) ﴿٣﴾ . وتقديره في الآية الثانية ( تقبل مني نذري ) وقد حذف كلاهما لدلالة السياق عليه ، وفيه إيجاز بليغ بحذف ما يمكن أن يُقدَّر تعويلاً على الحس .

٣ - حذف المفعول من ( سمعنا - وأطعنا ) في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ ﴿٤﴾ . أي سمعنا ما جاءنا وأجبناه وأطعنا أمرك .

٤ - حذف المفعول من قوله تعالى : ﴿ وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ ﴿٥﴾ أي اكتب لنا في الآخرة حسنة كذلك ، فنحذف المفعول به لدلالة المذكور قبله عليه . ومثله قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴾ ﴿٦﴾ فقد « ترك المفعول الثاني لتنزيل الفعل منزلة ما لا يتعدى إلى المفعول الثاني لعدم تعلق الغرض ببيانه أي أعطنا عطاءً في الدنيا ، أو يقدر المفعول بأنه الإنعام أو الجائزة ، أو محذوف لقرينة

(١) آل عمران / ٣٥ .

(٢) إبراهيم / ٤٠ .

(٣) البحر المحيط ١ / ٦١٩ .

(٤) البقرة / ٢٨٥ .

(٥) الأعراف / ١٥٦ .

(٦) البقرة / ٢٠٠ .

قوله ( حسنة ) فيما بعد ، أي آتنا في الدنيا حسنة «<sup>(١)</sup> .

٥ - ومن حذف المفعول كذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ <sup>(٢)</sup> أي أرسل جبريل إليه بالوحي ، وحذف رغبة في الإيجاز وكون الاهتمام منصباً على أمر الدعوة فالمقام مقام شدة وضيق واستعداد لمقابلة أمر عظيم أمر دعوة فرعون فهو في حاجة إلى هارون ليكون معيناً له .

٦ - وفي قوله تعالى : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> . حذف المفعول به ( ولدأ ) وذلك « لدلالة الهبة عليه فإنها في القرآن وكلام العرب غلب استعمالها مع العقلاء في الأولاد »<sup>(٤)</sup> .

٧ - وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي ... ﴾ <sup>(٥)</sup> حذف المفعول به وتقدير الكلام : « إني أسكنت من ذريتي جماعة أو رجلاً أو قوماً ... »<sup>(٦)</sup> وذلك لدلالة الكلام على المراد وهو أسلوب يكثر استعماله مع من . وبهذا نرى أن حذف المفعول إمّا لضيق المقام ، وإمّا لدلالة ما قبله عليه .

(١) التحرير والتنوير ٢ / ٢٤٧ .

(٢) الشعراء / ١٢ - ١٣ .

(٣) الصافات / ١٠٠ .

(٤) حاشية الشهاب ٧ / ٢٧٩ وانظر ( الكشاف ٤ / ٥٠ - البحر المحيط ٩ / ١١٥ - تفسير

أبي السعود ٧ / ١٩٩ ) .

(٥) إبراهيم / ٣٧ .

(٦) تفسير الطبري ٨ / ٢٣٣ .



## (٦) حذف المبتدأ :

قلّ حذف المبتدأ في آيات الدعاء ، إن لم يندر ومنه قوله تعالى :  
﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ  
النَّارِ ﴾<sup>(١)</sup> . ففي الآية مبتدأ محذوف والآية خبره فكأنه « قيل من أولئك  
المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقليل هم الذين ... »<sup>(٢)</sup> .

## (٧) حذف المصدر :

يحذف المصدر خاصة إذا كان مؤكداً للفعل ومما جاء منه في الدعاء قوله  
تعالى : ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾<sup>(٣)</sup>  
( أي حملاً مثل حملك إياه على من قبلنا )<sup>(٤)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾<sup>(٥)</sup> وقوله : ﴿ وَأَنْ  
أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾<sup>(٦)</sup> أي عملاً صالحاً وحذف هذا المصدر لوضوحه  
ودلالة الفعل عليه . ومنه كذلك قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا  
رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾<sup>(٧)</sup> . أي ارحمهما « رحمةً مثل تربيتهما لي أو مثل رحمتهما  
لي »<sup>(٨)</sup> .

(١) آل عمران / ١٦ .

(٢) تفسير أبي السعود ٢ / ١٦ - انظر فتح القدير ١ / ٣٢٤ .

(٣) البقرة / ٢٨٦ .

(٤) تفسير أبي السعود ١ / ٢٧٧ .

(٥) فاطر / ٣٧ .

(٦) الأحقاف / ١٥ .

(٧) الإسراء / ٢٤ .

(٨) تفسير أبي السعود ٥ / ١٦٧ .

## ب - حذف الجملة :

حفل القرآن بكثير من نماذج هذا الحذف ومما ورد منه في الدعاء القرآني قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَتُوْا لِي قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴾<sup>(١)</sup> « أي فانتقم منهم »<sup>(٢)</sup> .

ومن حذف الجملة حذف جواب الشرط إذا دلّ عليه دليل فيكون في حذفه نوع من الإيجاز من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> . فإن أسلوب الشرط هنا حذف جوابه لدلالة جواب القسم عليه ، مع العلم أن القسم ذاته محذوف ، والتقدير : والله إن لم يغفر لنا لنكونن من الخاسرين<sup>(٤)</sup> . ومن حذف الجملة كذلك حذف جواب القسم نحو قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> . التقدير أقسم بما أنعمت عليّ من المغفرة لأتوبن<sup>(٦)</sup> . فحذف جواب القسم كونه مفهوماً من السياق . ومنه كذلك حذف السؤال في الاستئناف البياني كقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ أَسْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾<sup>(٧)</sup> ، ففي الكلام « استئناف مبني على سؤال ينساق إليه الذهن

(١) الدخان / ٢٢ .

(٢) البحر المحيط ٩ / ٤٠١ .

(٣) الأعراف / ٢٣ .

(٤) انظر البحر المحيط ٥ / ٢٩ - حاشية الشهاب ٤ / ١٥٩ .

(٥) القصص / ١٧ .

(٦) انظر الكشاف ٤ / ٣٨٥ - البحر المحيط ٨ / ٢٩٣ - تفسير أبي السعود ٧ / ٧ .

(٧) طه / ٢٥ - ٢٦ .

كأنه قيل : فماذا قال عليه الصلاة والسلام حين أمر بهذا الأمر العظيم والخطب العسير ، فقيل : قال مستعيناً بربه عز وجل ﴿ رَبِّ أَسْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿<sup>(١)</sup> . وهذا النوع من الحذف يكثر في أسلوب القصص والمحاورات رغبةً في الإيجاز حتى لا تطول القصة بل يُكتفى منها بالأحداث البارزة ، ويُترك ما يُفهم من السياق ليقدره السامع فيكون وقعه أبلغ ولما فيه من تنشيط الذهن . وهذا الغرض أيضاً نجده في حذف الجمل والتي تكثر كذلك في أسلوب القصص ومنه قوله تعالى : ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> « أي فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى في الظلمات »<sup>(٣)</sup> .

مما سبق يتضح لنا أن الإيجاز في الدعاء القرآني يقع إمّا بتقليل الألفاظ وتكثير المعاني - إيجاز القصر - وإمّا بالحذف كحذف حرف أو كلمة أو جملة أو عدة جمل وكان أكثر أنواع الحذف في آيات الدعاء حذف المفعول .

وتقف خلف هذا الحذف ثلاث مزايا ( الأولى الإيجاز ... والثانية صيانة الجملة من الثقل والترهل اللذين يحدثان من ذكر ما تدل عليه القرينة ، والثالثة إثارة الفكر والحس بالتعويل على النفس في إدراك المعنى<sup>(٤)</sup> .

أمّا حذف الجمل فيغلب وروده في سياق القصص الطويلة حيث تقتطع

(١) تفسير أبي السعود ٦ / ١٢ .

(٢) الأنبياء / ٨٧ .

(٣) تفسير أبي السعود ( ٦ / ١٢ ) وانظر تفسير البحر المحيط ٩ / ١٢٤ .

(٤) خصائص التراكيب / ١١٨ .

أجزاء من أحداث القصة إما لأنها معلومة ، أو لأنه لا فائدة تعود على السامع من معرفتها ، أو لكونها قد ذكرت في موضع آخر - وبعامه فإن الدعاء القرآني يمتاز بالإيجاز سواء كان منشأ هذا الإيجاز القصر أو الحذف ، ولا بد أن يراعى في ذلك مقام الدعاء وحالة الداعي ، ولا يغني هذا أن الدعاء القرآني خلا من الإطناب . بل نرى صوراً للإطناب في مقامات الدعاء منها :

### ١ - الإيضاح بعد الإبهام :

كما في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۗ ﴾<sup>(١)</sup> . « ففي زيادة كلمة لي مع انتظام الكلام بدونها تأكيد لطلب الشرح والتيسير بإبهام المشروح والميسر أولاً وتفسيرها ثانياً »<sup>(٢)</sup> . ففي الكلام زيادة بيان وإيضاح وتفخيم للأمر وتعظيم له<sup>(٣)</sup> . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۗ ﴾<sup>(٤)</sup> . فمن الجائز أن يقال : « قواعد البيت » على الإضافة ، ولكن قولهما : ( القواعد من البيت ) إيضاح بعد إبهام وعدل عن الإضافة إلى ما هو مذكور « لما في الإيضاح بعد الإبهام من تفخيم لشأن المبين »<sup>(٥)</sup> .

(١) طه / ٢٥ - ٢٦ .

(٢) تفسير أبي السعود ٦ / ١٢ .

(٣) انظر الإيضاح / شرح محمد عبد المنعم خفاجي ٣ / ١٩٧ ، البحر المحيط ٧ / ٣٢٨ - الكشف ٣ / ٥٩٥ ، التحرير والتنوير ١٦ / ٢١١ .

(٤) البقرة / ١٢٧ .

(٥) الكشف ١ / ١٨٧ ، انظر تفسير البيضاوي والشهاب ٢ / ٢٣٨ .

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ  
ءَامِنُوا ﴾<sup>(١)</sup>. فقولهم : ( سمعنا منادياً ) إبهام بينوه بقولهم : ( ينادي للإيمان )  
وفي هذا ( أسلوب بديع يصرار إليه للمبالغة في تحقيق السماع والإيدان بوقوعه  
بلا واسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل إلى تفصيله واستحضار  
صورته وقد اختص النظم الكريم بمزية زائدة على ذلك حيث عبر عن  
المسموع منه بالمنادي ثم وصف بالنداء للإيمان على طريقة قولك سمعت  
متكلماً يتكلم بالحكمة ، لما أن التفسير بعد الإبهام والتقييد بعد الإطلاق أوقع  
عند النفس وأجدر بالقبول<sup>(٢)</sup> .

## ٢ - ذكر العام بعد الخاص :

هذا الضرب من الإطناب نجده في الدعاء القرآني حيث يبدأ الداعي  
بذكر نفسه أولاً ثم من يهتم لأمرهم كالوالدين والأتباع وغالباً ما يكون على  
لسان الأنبياء .

(١) آل عمران / ١٩٣ .

(٢) تفسير أبي السعود ٣ / ١٣٢ .

وقوله ————— : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ  
الْحِسَابُ ﴾<sup>(١)</sup> . وقوله كذلك : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ  
بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾<sup>(٢)</sup> . فالدعاء في الآيتين السابقتين بدأ  
فيه الداعي بنفسه وطلب لها المغفرة ثم أتبع ذلك بذكر من لهم صلة به كأبويه  
وأتباعه من أهل الإيمان .

---

(١) إبراهيم / ٤١ .

(٢) نوح / ٢٨ .

### ٣ - التكرير :

التكرار من صور الإطناب ، وقد كثر في الدعاء القرآني تكرار لفظ ( ربنا ) ومن أسراره : ١ - إظهار المبالغة في الضراعة والاستعطاف من ذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَمَّا رَبَّنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١١٤﴾ . ففي هذه الآيات والتي قبلها نرى تكرار لفظ ربنا خمس مرات وهذا ( من باب الابتهاج وإعلام بما يوجب حسن الإجابة وحسن الإثابة ، من احتمال المشاق في دين الله ، والصبر على صعوبة تكاليفه ... (١) . وفيه « دلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها » (٢) . ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ ... ﴿١١٩﴾ .

فالفائدة من تكرار النداء « ( ربنا ) إظهار الضراعة إلى الله تعالى وإظهار أن كل من هاته الدعوات مقصودة بالذات » (٥) . ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا

(١) آل عمران / ١٩٣ - ١٩٤ .

(٢) الكشاف / ١ / ٤٤٧ .

(٣) تفسير البيضاوي / ٣ / ٩٢ .

(٤) البقرة / ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ .

(٥) التحرير والتنوير / ١ / ٧١٩ .

لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ  
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴿١﴾ فالنداء  
تكرر هنا « للإيذان بمزيد التضرع واللجأ إلى الله سبحانه »<sup>(١)</sup> .

٢ - وقد يكون تكرار النداء بـ ( ربنا ) لإظهار التأكيد من ذلك قوله  
تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
رَبَّنَا لِضَلُوبِهِمْ سَبِيلٌ رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبِهِمْ  
فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾<sup>(٢)</sup> . ففي تكرار ربنا في الآية  
السابقة تأكيد وتنبية « على أن المقصود عرض ضلالاتهم وكفرانهم مقدمة  
لقوله : ﴿ رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ ﴾<sup>(٣)</sup> » فتكريره للتأكيد وللإشارة إلى  
أنه المقصود وإن ورد في معرض العلة لأن ما قبله بث لسوء حالهم توطئة لما  
بعده «<sup>(٤)</sup> .

ومن التكرار في غير لفظ النداء ( ربنا ) ، تكرار الفعل اجعل ومتعلقه في  
قوله تعالى : ﴿ وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾<sup>(٥)</sup>  
فالتكرار هنا « للمبالغة في التضرع والابتهال »<sup>(٦)</sup> . ومن صورته كذلك تكرار

(١) البقرة / ٢٨٦ .

(٢) فتح القدير ١ / ٣٠٨ .

(٣) يونس / ٨٨ .

(٤) تفسير البيضاوي ٥ / ٥٦ .

(٥) حاشية الشهاب ٥ / ٥٦ .

(٦) النساء / ٧٥ .

(٧) تفسير أبي السعود ٣ / ٢٠٢ .



الضمير في قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(١)</sup> . دون أن يعطف الاستعانة على العبادة ( إياك نعبد ونستعين ) فقد جاء التكرار « للتخصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة وإبراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب »<sup>(٢)</sup> . وقبل التكرار هنا لاختلاف القصر بين العبادة والاستعانة « فالقصر في ( إياك نعبد ) قصر حقيقي وفي ( إياك نستعين ) ادعائي فإن المسلم قد يستعين غير الله تعالى ، كيف وقد قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾<sup>(٣)</sup> ولكنه لا يستعين في عظام الأمور إلا بالله »<sup>(٤)</sup> .

#### ٤ - الإيغال :

هو « ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها ... وهو لا يختص بالنظم »<sup>(٥)</sup> . منه قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٦)</sup> . فإن « العدول عن ذكر القول إلى نطق المتكلم بما قاله المحكي عنه هو ضرب من استحضار الحالة قد مهّد له الإخبار بالفعل المضارع في قوله : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ﴾ حتى كأن المتكلم هو صاحب القول وهذا ضرب من الإيغال »<sup>(٧)</sup> .

(١) الفاتحة / ٥ .

(٢) تفسير أبي السعود ١ / ١٦ .

(٣) المائة / ٢ .

(٤) التحرير والتنوير ١ / ١٨٦ .

(٥) الإيضاح / شرح محمد عبد المنعم خفاجي ٣ / ٢٠٢ - ٢٠٤ .

(٦) البقرة / ١٢٧ .

(٧) التحرير والتنوير ١ / ٧١٩ .

## ٥ - التذييل :

هو « تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد »<sup>(١)</sup> .  
وهو أسلوب شائع في آيات الدعاء ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ ﴾<sup>(٢)</sup> . ففيه تأكيد للجملة قبله وتقريب للإجابة « أي لأنك لا  
يغلبك أمر عظيم ولا يعزب عن علمك وحكمتك شيء »<sup>(٣)</sup> . ومنه أيضاً  
قوله تعالى : ﴿ فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله :  
﴿ وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> . وقوله : ﴿ رَبَّنَا  
أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> . وقوله كذلك :  
﴿ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾<sup>(٧)</sup> . فالآيات السابقة جميعاً جاء التذييل  
فيها مؤكداً ومقرراً لمضمون الجملة قبله - وفي قوله تعالى : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي  
حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾<sup>(٨)</sup> يسأل إبراهيم عليه السلام ربه بلوغ  
أعلى الدرجات ، وهي درجات الرسل والشهداء والصالحين ، وفي التذييل  
بلفظ الصالحين ليعمهم جميعاً<sup>(٩)</sup> .

(١) الإيضاح / شرح محمد عبد المنعم خفاجي ٣ / ٢٠٥ .

(٢) الممتحنة / ٤ .

(٣) التحرير والتنوير ١ / ٧٢٤ .

(٤) الأعراف / ١٥٥ .

(٥) الأعراف / ١٥١ .

(٦) الأعراف / ٨٩ .

(٧) المائدة / ١١٤ .

(٨) الشعراء / ٨٣ .

(٩) انظر التحرير والتنوير ١٩ / ١٤٥ .

## ٦ - الاحتراس :

هو « أن يؤتى في كلام يوهم بخلاف المقصود بما يدفعه »<sup>(١)</sup> وقد يأتي في وسط الكلام أو في آخره . ومما جاء منه في الدعاء القرآني في آخر الكلام قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴾<sup>(٢)</sup> فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> فقوله : ﴿ وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ احتراس ، ذلك لأنه طلب قبله أن يحكم الله بينه وبين قومه حكماً شديداً أي يستأصلهم<sup>(٤)</sup> ، فاحترس أن يصيبهم شيء من غضب الله . ومما جاء في وسط الكلام قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾<sup>(٥)</sup> . فقوله : ( مؤمناً ) احتراس منه عليه السلام حتى لا يفهم أن زوجته وابنه ضمن من يطلب لهم الرحمة لأنهم ممن دخلوا بيته ، فاحترس وبذلك يخرج كل مَنْ ليس من صفته الإيمان من هذا الدعاء<sup>(٥)</sup> .

## ٧ - الاعتراض :

هو « أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملته أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى ما ذكر في تعريف التكميل

(١) الإيضاح ٣ / ٢٠٨ ( ويسمى الاحتراس تكميلاً ) .

(٢) الشعرا / ١١٧ - ١١٨ .

(٣) انظر التحرير والتنوير ١٩ / ١٦٣ .

(٤) نوح / ٢٨ .

(٥) انظر فتح القدير ٥ / ٣٠٢ .

( الاحتراس ) «<sup>(١)</sup> . ومن أغراض هذا الاعتراض أن يكون للتنزيه والتعظيم نحو قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾<sup>(٢)</sup> . فقوله ( سبحانك ) « اعتراض للتنزيه من العبث وأن يخلق شيئاً بغير حكمة »<sup>(٣)</sup> .

أو أن يكون للتأكيد نحو قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ .. ﴾<sup>(٤)</sup> . « فإعادة النداء من خلال جمل الدعاء اعتراض للتأكيد بزيادة التضرع »<sup>(٥)</sup> .

ومنه كذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ .. ﴾<sup>(٦)</sup> فإعادة النداء ربنا اعتراضاً لتأكيد التضرع رغبة في بعث الرسول فيهم .

هذه صور الإطناب التي وردت في آيات الدعاء ، ويمكننا القول إن الإيجاز في الدعاء لم يكن عاماً وكذلك الإطناب ، إلا أن صور الإيجاز فاقت صور الإطناب قليلاً ، وأتت جميعاً في تآلف بديع ، بل قد يردان في الآية الواحدة معاً دون أن يخل أحدهما بالآخر بل يزيده وضوحاً وبلاغةً فتظهر

(١) الإيضاح ٣ / ٢١٤ .

(٢) آل عمران / ١٩١ .

(٣) الكشاف ١ / ٤٤٤ - انظر البحر المحيط ٣ / ٤٧١ - تفسير أبي السعود ٣ / ١٣١ -

تفسير البيضاوي ٣ / ٨٩ .

(٤) غافر / ٨ .

(٥) التحرير والتنوير ٢٤ / ٩٢ .

(٦) البقرة / ١٢٩ .

الآية في نمط فريد من الإعجاز ، وقد قيل وبضدها تمايز الأشياء ، فالقارئ يقرأ الآية ويرى فيها إيجازاً وإطناباً معاً ، يؤديان المعنى في توافق وانسجام فيعتقد أن الآية كلها إيجاز أو أنها كلها إطناب ، لشدة تآزرهما معاً لإيضاح المعنى على أكمل وجه وآكده .

## المبحث الرابع

### فواصل آيات الدعاء

الفواصل جمع فاصلة ، ويراد بها في اللغة عدة معانٍ منها : « الفصل :  
بون ما بين الشيئين والفصل من الجسد : موضع المفصل وبين كل فصلين  
وصل ، مثل ذلك : الحاجز بين الشيئين .

والفاصلة : الخرزة التي تفصل بين الخزرتين في النظام ... ومثله الفَصْلُ :  
القضاء بين الحق والباطل »<sup>(١)</sup> .

أما في الاصطلاح فقد تردد مصطلح الفاصلة في علوم العربية ( كالنحو  
والعروض والترقيم وعلوم القرآن ) . وقد حمل في كل علم منها معنى خاصاً  
يختلف به عن غيره<sup>(٢)</sup> .

وستتناول في هذا المبحث الفاصلة في القرآن الكريم .

وفواصل القرآن يراد بها : « أواخر الآي »<sup>(٣)</sup> ، وقال عنها ابن منظور :  
« أواخر الآيات في كتاب الله فواصل ؛ بمنزلة قوافي الشعر ، جل كتاب الله  
عز وجل ، واحدها فاصلة »<sup>(٤)</sup> ، « ونعني بها تلك الكلمة التي تختتم بها الآية  
من القرآن »<sup>(٥)</sup> .

---

(١) الفاصلة في القرآن / محمد الحسناوي / دار الأصيل / ١٩ .

(٢) راجع الفاصلة في القرآن / ١٩ - ٢١ .

(٣) مفردات الراغب / ٣٨١ .

(٤) لسان العرب مادة " فصل " .

(٥) من بلاغة القرآن / ٧٥ .

ويعد مصطلح الفاصلة ، مصطلحاً موعلاً في القدم حيث عُرف منذ بدايات التأليف في التراث الإسلامي عند الخليل بن أحمد<sup>(١)</sup> وتلميذه سيويه ، وأُطلق على مقاطع القرآن ، وعند الفراء<sup>(٢)</sup> كذلك الذي « حاول أن يربط بين مراعاة الفواصل في القرآن وتناسب القوافي في الشعر ، واستباح تغيير النظم في رؤوس الآي لتحقيق هذا التناسب ، حتى أجاز العدول عن الواحد إلى التثنية في قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ على أن المراد جنة واحدة وعدل عنه لمشكلة رؤوس الآي »<sup>(٣)</sup> .

---

(١) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليماني ، من أئمة اللغة والأدب وواضع علم العروض ، وهو أستاذ سيويه النحوي ولد سنة ١٠٠ هـ وتوفي ١٧٠ هـ في البصرة وعاش فقيراً وصابراً ، من مؤلفاته : العين ، وتفسير حروف اللغة ، والنقط والشكل .

انظر ترجمته في : الأعلام ٢ / ٣١٤ .

(٢) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي المعروف بالفراء ولد سنة ١٤٤ هـ وتوفي سنة ٢٠٧ هـ إمام الكوفيين في وقته وأعلمهم بالنحو واللغة والأدب ، من آثاره : معاني القرآن ، والمقصود والممدود .

انظر ترجمته في : الأعلام ٨ / ١٤٥ - ١٤٦ .

(٣) من أسرار المغيرة في نسق الفاصلة القرآنية / د. محمد الأمين الخضري / ١٤١٤ هـ -

١٩٩٤ م / ٦ .

وقد ردَّ عليه ابن قتيبة<sup>(١)</sup>(٢) كما جاء في الإتقان للسيوطي<sup>(٣)</sup> .

وفي عصر الجاحظ نرى استقرار مصطلح الفاصلة على أنه أواخر الآيات.

وقد أسهم القدماء على اختلاف بيئاتهم الثقافية ( من علماء كلام ولغة وتفسير وبلاغة ) في دراسة الفاصلة وبسط القول فيها . وهم في دراساتهم تلك إمَّا أن يفردوا لها كتباً خاصة<sup>(٤)</sup> . وإمَّا أن يعقدوا لها فقرات<sup>(٥)</sup> في كتبهم ، تختلف طولاً وقصراً .

---

(١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ولد سنة ٢١٣ هـ وتوفي سنة ٢٧٦ هـ ببغداد أحد أئمة العلم والأدب ، ولي قضاء دينور ، فترة من الزمن فنسب إليها ، من مؤلفاته : تأويل مختلف الحديث ، أدب الكاتب ، الشعر والشعراء ، ومشكل القرآن . انظر ترجمته في : الأعلام ٤ / ١٣٧ .

(٢) رد عليه ابن قتيبة بقوله : « إنما يجوز في رؤوس الآي زيادة هاء السكت أو الألف أو حذف همز ، أو صرف ، فأما أن يكون الله وعد يجتنب فيجعلهما جنة واحدة لأجل رؤوس الآي ، معاذ الله ! وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنين ، قال : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ الرحمن : ٤٨ ، ثم قال : ﴿ فِيهِمَا ﴾ الرحمن : ٥٠ « تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة / نقلا عن كتاب الإتقان للسيوطي ٣ / ٢٩٩ .

(٣) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضير السيوطي ( ٨٤٩ - ٩١١ هـ ) إمام حافظ مؤرخ أديب شارك في التصنيف في معظم العلوم ، ولد ومات في القاهرة ، له مصنفات كثيرة جداً منها : الإتقان في علوم القرآن ، والأشباه والنظائر ، وتفسير الجلالين . انظر ترجمته في : الأعلام ٣ / ٣٠١ .

(٤) من تلك الكتب ( بغية الواصل إلى معرفة الفواصل للطوفي ، وإحكام الراي في أحكام الآي لابن الصايغ ، ومنظومة في فواصل ميم الجمع للخروبي ، والقول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز للمخللاتي ) راجع الفاصلة القرآنية / ٤٩ .

(٥) من هؤلاء العلماء ( الرماني " في كتابه النكت في إعجاز القرآن " ، والباقلاني في كتابه " إعجاز القرآن " وهما من علماء الكلام أمَّا من النحاة فالقراء في كتابه " معاني القرآن " وأبو عبيدة في كتابه " مجاز القرآن " ومن المفسرين الزركشي في كتابه " البرهان في علوم القرآن " والسيوطي في كتابه " الاتقان في علوم القرآن " ومن البلاغيين ابن سنان في كتابه " سر الفصاحة " وابن قيم الجوزية في كتابه " الفوائد - المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان " ) . راجع الفاصلة القرآنية / ٤٧ .



ونرى جهود المحدثين في دراسة الفاصلة تعتمد على جهود القدماء ، حيث تناولوها إمّا بالجمع والتنسيق أو بالمناقشة والترجيح ، وفي أحيان قليلة تأتي دراساتهم لتفتح أبواباً جديدة في مناحي الفاصلة الجمالية كالتصوير الذي لم يهمله القدماء أيضاً ، وهذا نجده عند سيد قطب<sup>(١)</sup> . وهنالك دراسة جادة للدكتور محمد الأمين الخضري<sup>(٢)</sup> ، اعتمد فيها على الاستماع لهمس السياق محاولاً الكشف عمّا صاحب الفواصل من أسرار البيان .

و حين نتبع جهود القدماء نرى أنه « لا خلاف بين العلماء في أن لفواصل القرآن إيقاعها الفريد وبلاغتها العليا ، لكن الخلاف في شأن هذه الفواصل هل هي من قبيل ما يعرف بالسجع في فنون البديع أو هي شيء آخر غيره »<sup>(٣)</sup> .

وفكرة القول بالسجع في القرآن ، لم تلق رواجاً حتى القرن الثالث للهجرة ، وإن كان قد قيل بها قبل ، فإن الحرج كان واضحاً في إطلاقها صراحة « وكأنما كان الحس المؤمن ينبو عن هذه الكلمة ، كثرة ما أطلقت عن قديمٍ على سجع الكهان »<sup>(٤)</sup> .

---

(١) سيد بن قطب بن إبراهيم : مفكر إسلامي مصري ، من مواليد قرية موشا في أسيوط ولد عام ١٣٢٤ هـ ، حُكم عليه بالإعدام سنة ١٣٨٧ هـ بسبب إنضمامه إلى الإخوان المسلمين وترأسه لنشر قسم الدعوة وتوليه تحرير جريدتهم ، وله كتب عديدة منها : التصوير الفني في القرآن ، في ظلال القرآن ، والإسلام ومشكلات الحضارة .

انظر ترجمته في : الأعلام ٣ / ١٤٧ - ١٤٨ .

(٢) في كتابه « من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية » .

(٣) الإعجاز البياني للقرآن / ٢٥٣ .

(٤) المرجع السابق / ٢٥٤ .

وقضية السجع في القرآن أصبحت قضية دائرة على السنة كثير من الفرق الإسلامية وامتد القول فيها ، ودخلت نطاق الجدل . وانقسم العلماء إزاء هذه القضية قسمين : « الأول : يمنع أن يكون في القرآن سجع . ولهم في ذلك حجج وأسباب ذكروها وبنو مذهبهم عليها .

والثاني : يرى جواز مجيء السجع في القرآن ، بل هو وارد فيه فعلاً . ولهم ردود على حجج وأسباب المانعين . وأسباب أخرى مهدوا بها لمذهبهم .. وبنوا فكرتهم عليها »<sup>(١)</sup> .

ولا نريد الخوض في هذه القضية ، فما يهمنا هو أن القرآن الكريم في سوره وآياته وفواصله جاء معجزاً لا يماثل قول البشر وسندرس فواصله في آيات الدعاء من حيث تناسبها مع الآية الواردة فيها ، ومع بقية الفواصل في السورة الواحدة ، آخذين في عين الاعتبار « أن تناسب الفواصل مقصد من مقاصد النظم وهو من جلى القرآن وروافد تأثيره ، لكننا ننزه القرآن عن أن يقهر المعاني - في سبيل تحقيق هذه الغاية - على ارتداء مالا يناسبها من الألفاظ أو يحدث في بناء العبارة ما يجعل توافد المعاني على الأذهان مخالفاً لترتيبها في الجنان »<sup>(٢)</sup> .

وقد ذكر ابن الصائغ<sup>(٣)</sup> في كتابه " إحكام الرأى في أحكام الآي " أن

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ١ / ٢١٩ .

(٢) من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة / ١٠ .

(٣) محمد بن عبد الرحمن بن علي شمس الدين الحنفي الزمردى ، ابن الصائغ : أديب ، من العلماء ، مصري ولي في آخر عمره قضاء العسكر وإفتاء دار العدل ودرّس بالجامع الطولوني ولد سنة ٧٠٨ هـ وتوفي سنة ٧٧٦ هـ . من كتبه : التذكرة في النحو ، والشر الحني في الأدب .

انظر ترجمته في : الأعلام ٦ / ١٩٢ .

المناسبة بين الفواصل لها أهميتها وهي مطلوبة ، ويمكن من أجل تحقيقها ارتكاب ما يخالف الأصل حيث قال : « اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية ، يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول ... وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاةً للمناسبة فعثرت منها على نيفٍ عن الأربعين حكماً »<sup>(١)</sup> وقد أوردتها السيوطي في الإتيان<sup>(٢)</sup> . ثم نراه يقول : « لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة ، فإن القرآن العظيم - كما جاء في الأثر - لا تنقضي عجائبه »<sup>(٣)</sup> . فهو بهذا القول لم يجعل المناسبة هي المحور الأساس الذي تأتي الفواصل مراعية له ، بل فتح المجال أمام الدارسين لمعرفة المزيد عن هذه الفواصل بقوله : « أمور أخرى » . وهذه الأمور هي ما نحاول الكشف عنها في دراستنا لفواصل الدعاء القرآني . والتي سنسير في دراستنا لها وفق التقسيم التالي :

## ١ - التقديم والتأخير في الفاصلة :

### أ - التقديم في صفات الله عز وجل :

يكثُر في آيات الدعاء أن تحتم بذكر الله سبحانه وتعالى ، والثناء عليه ، وتأكيد صفاته العليا ، وفي هذا تقرب لله عز وجل ، وزيادة في الضراعة والابتهاال ، ونجد في هذه الفواصل تقديماً لبعض صفاته على بعض . كتقديم السميع على العليم ، وبتتبع هاتين الصفتين في القرآن عامة نرى أن

(١) الإتيان في علوم القرآن ٣ / ٢٩٦ .

(٢) المصدر السابق / ٣ / ٢٩٦ - ٣٠١ .

(٣) المصدر السابق / ٣ / ٣٠١ .

( السميع ) مقدمة دوماً على ( العليم )<sup>(١)</sup> .

أمّا في الدعاء فقد وردت هاتان الصفتان مرتين ، الأولى على لسان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>(٢)</sup> . والثانية على لسان امرأة عمران في قوله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>(٣)</sup> .

فقد طلب إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من الله عز وجل قبول دعائهما وإجابته ، لذا قدمت صفة السمع « لأنها التي يترتب عليها إجابة الدعاء ، ولما كان الدعاء لا يُقبل إلا إذا خرج من قلب صادق وعقيدة سليمة جاء الوصف بالعليم ، ليدل على إخلاصهما وصدق بواطنهما في توجيهها إلى الله تعالى حتى يكونا جديرين بتقبل الله لأعمالهما »<sup>(٤)</sup> .

وكذلك القول في دعاء امرأة عمران وفي هذا الصدد يقول أبو حيان : « إن تأخير صفة العليم لعمومها إذا يشمل علم المسموعات وغير المسموعات »<sup>(٥)</sup> . ونجد في هذه الفاصلة قصراً ، حيث قصرنا صفة السمع والعلم على الله عز وجل قصراً حقيقياً تحقياً .

ومن ذلك التقديم أيضاً ما كان بين ( العزيز والحكيم ) فمتى ما وردتا

(١) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن / ٤٥٧ - ٤٥٨ .

(٢) البقرة / ١٢٧ .

(٣) آل عمران / ٣٥ .

(٤) من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة / ٤٤ .

(٥) البحر المحيط / ١ / ٦٢٠ .

معاً تقدم صفة العزيز على صفة الحكيم<sup>(١)</sup> .

وفي الدعاء جاءت ( العزيز الحكيم ) فاصلةً ثلاث مراتٍ . الأولى في قوله تعالى على لسان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾<sup>(٢)</sup> . والثانية في قوله تعالى على لسان الملائكة : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾<sup>(٣)</sup> . والثالثة في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام والمؤمنين معه : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقد جاء هذا التقديم في الآيات السابقة لمناسبة المعنى في كل واحدة منها ، ففي الآية الأولى نرى أن « إرسال رسول متصف بالأوصاف التي سألها إبراهيم لا تصدر إلاَّ عن اتصف بالعزة ، وهي الغلبة أو القوة ، أو عدم النظر ، وبالحكمة التي هي إصابة مواقع الفعل ، فيضع الرسالة في أشرف خلقه وأكرمهم عليه »<sup>(٥)</sup> .

(١) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن / ٥٨٤ - ٥٨٥ .

(٢) البقرة / ١٢٩ .

(٣) غافر / ٨ .

(٤) الممتحنة / ٥ .

(٥) البحر المحيط / ١ / ٦٢٧ .

وكذلك نقول في الآيتين الأخرتين فهو الغالب ذو القوة والعزة بيده إدخال المؤمنين الجنة تحقيقاً لوعده ، وغفران الذنوب لمن طلب منه ذلك ، وهو كذلك الحكيم الذي تقتضي حكمته إرسال الرسل حتى تندفع حجج العباد ، ومقابلة المحسن بالإحسان .

وقيل إن التّقدم بالسببية وذلك « لأن العزيز هو الغالب ولأنه تعالى لما عزَّ في ذاته بالغبلة حكم على كل شيء ، فلم يخرج عن حكمة ملكه خارج »<sup>(١)</sup>.

ونرى كذلك تقديم ( التواب على الرحيم ) ليس في الدعاء فحسب بل في القرآن كله عند اجتماعهما . وقد وردت في الدعاء في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾<sup>(٢)</sup> . وقد « ناسب تقديم ذكر التوبة على الرحمة ، لمجاورة الدعاء الأخير في قوله : ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا ﴾ . وتأخرت صفة الرحمة لعمومها ، لأن من الرحمة التوبة »<sup>(٣)</sup> فقبول التوبة هو جزء من الرحمة بالعباد . وقيل إن الله « إذا قبل التوبة من العبد قرَّبه بالرحمة »<sup>(٤)</sup> .

ومن صور التقديم في صفات الله تقديم الرؤوف على الرحيم في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾<sup>(٥)</sup> .

(١) الطراز / ٢٣١ .

(٢) البقرة / ١٢٨ .

(٣) البحر المحيط ١ / ٦٢٥ .

(٤) بصائر ذوي التمييز ٢ / ٣١٠ .

(٥) الحشر / ١٠ .

وقد فسّر الراغب الرأفة بالرحمة<sup>(١)</sup> .

وقد علل الإمام محمد عبده<sup>(٢)</sup> التقديم في ( رؤوف رحيم ) بقوله :  
« وعندي أن الرأفة أثر من آثار الرحمة ، تشمل دفع الألم والضرر وتشمل  
الإحسان ، فذكر الرحمة هنا فيه معنى التعليل والسببية ، وهو من قبيل الدليل  
بعد الدعوى فهو واقع في موقعه كما تحب البلاغة وترضى »<sup>(٣)</sup> .

### ب - التقديم في المتعلقات :

تتقدم بعض المتعلقات على الفعل أو تتقدم على بعضها البعض في البيان  
القرآني ، بصفة عامة ، ويهمننا في هذا الموضوع أن نقف على ما جاء منها في  
فواصل آيات الدعاء بصفة خاصة ، من ذلك تقديم المفعول كما في قوله  
تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾<sup>(٤)</sup> حيث قيل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾  
ولم يقل ( نعبدك ، ونستعينك ) .

وقيل في تقديمه إمّا : « لشاكلة رؤوس الآي »<sup>(٥)</sup> على اعتبار ما قبله  
﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾<sup>(٦)</sup> .

(١) مفردات الراغب / ٢٠٨ .

(٢) محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني ، مفتي الديار المصرية من كبار رجال  
الإصلاح والتجديد ، ولد في شنرا من قرى مصر ، توفي بالإسكندرية ودفن بالقاهرة  
( ١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ ) ، له عدة مؤلفات منها : رسالة التوحيد ، شرح نهج البلاغة .

انظر ترجمته في : الأعلام / ٦ / ٢٥٢ .

(٣) تفسير المنار / محمد رشيد رضا نقلاً عن كتاب ( من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة ) / ٤٣ .

(٤) الفاتحة / ٤ .

(٥) الطراز / ٢٣٤ .

(٦) الفاتحة / ٣ .

وإمّا لأن التقديم هنا جاء للاهتمام أو التخصيص . وعلى القول الثاني « فإن ذوباً من إعجاز النظم يتفلت من الأذواق كما أن الوقوف على بيان الغرض من التقديم عند القول بالاختصاص أو الاهتمام دون البحث عن سر هذا الاهتمام والتخصيص قصور عن استكشاف أسرار النظم »<sup>(١)</sup> . ويمكن القول إن تقديم المفعول به فيه دلالة على القصر ، أي قصر الاستعانة عليه سبحانه وتعالى دون غيره قصراً حقيقياً .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾<sup>(٢)</sup> . حيث تقدم الجار والمجرور ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وتأخر المفعول الثاني ﴿ إِمَامًا ﴾ . وفي ذلك عناية واهتمام بأمر المقدم وتخصيص لهم دون غيرهم ، فهم يطلبون من الله أن يكونوا أئمة لهؤلاء المتقين وفي قوله تعالى : ﴿ وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله : ﴿ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾<sup>(٤)</sup> . وقوله : ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾<sup>(٥)</sup> . نرى تقديم الجار والمجرور ﴿ مِن لَّدُنكَ ﴾ وتأخير المفعول به ( نصيراً - سلطاناً نصيراً - ولياً ) . وذلك ليس لمراعاة المناسبة بين الفواصل فقط بل لأن فيه قصراً ، حيث قصرُوا هذا السلطان أو النصير أو الولي على كونه صادراً من عند الله وحده لا من عند غيره ، وفيه أيضاً نوع من التشويق إلى المؤخر « فإن ما حقه

(١) من أسرار المغيرة في نسق الفاصلة / ٦٠ .

(٢) الفرقان / ٧٤ .

(٣) النساء / ٧٥ .

(٤) الإسراء / ٨٠ .

(٥) مريم / ٥ .



التقديم إذا أحر تبقی النفس مستشرقة فعند وروده لها يتمكن عندها فضل تمكن» (١) .

أما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢) . وقوله : ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٣) . فالفاصلة في الآيتين ﴿ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ أي الرجوع بالموت والبعث إليك لا إلى غيرك وفي هذا دلالة على القصر ، وهو قصر حقيقي تحقيقي .

### ج - التقديم بين المتعاطفات :

جاء التقديم بين المتعاطفات في الفاصلة القرآنية في آيات الدعاء في موضعين فقط هما في قوله تعالى : ﴿ أَنْتِي مَسْنَى الشَّيْطَانِ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ (٤) . حيث قَدَّمَ ﴿ بِنُصْبٍ ﴾ على ﴿ عَذَابٍ ﴾ . وليس هذا مراعاة التناسب مع ما قبلها ﴿ حُسْنِ مَّآبٍ ﴾ أو ما بعدها ﴿ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ فقط ، بل إنه من باب الترتي حيث قَدَّمَ ﴿ بِنُصْبٍ ﴾ وهو التعب لكونه أهون ثم أتبعه بالأشد وهو العذاب . فقد روعي فيه التدرج في الشدة بدءاً بالأضعف ثم الأقوى .

(١) تفسير أبي السعود ٥ / ٢٥٤ .

(٢) البقرة / ٢٨٥ .

(٣) المتحنة / ٤ .

(٤) ص / ٤١ .

وقوله تعالى : ﴿ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْذِلَ وَنَخْزِي ﴾<sup>(١)</sup> . حيث تقدم الذل على الخزي ليس لمراعاة الفاصلة فقط، بل لمراعاة الترتيب الزمني ، ذلك أن الذل هو عذابهم في الدنيا والخزي عذابهم في الآخرة بدخول النار<sup>(٢)</sup> ، فقدم الذل على الخزي لتقدم الدنيا على الآخرة .

---

(١) طه / ١٣٤ .

(٢) راجع تفسير أبي السعود ٦ / ٥٢ .

## ٢ - الحذف في الفاصلة :

يكثر في فواصل الدعاء حذف ياء الإضافة " ياء المتكلم " من ذلك ما جاء في الآيات التالية : في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله : ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله أيضاً : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقوله : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴾<sup>(٥)</sup> وقوله : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾<sup>(٦)</sup> وقوله : ﴿ فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾<sup>(٧)</sup> . فالحذف فيما سبق جاء مع مراعاته للتناسب معبراً عن أسرار بلاغية ، وبالرجوع إلى سياق الآيات السابقة ، نجدها ( عدا الآية الأولى ) جاءت في باب الخوف والرهبة ، خوفاً من التكذيب أو القتل أو حضور الشياطين أو حلول الأجل دون التزود للآخرة بالعمل الصالح .

(١) إبراهيم / ٤٥ .

(٢) المؤمنون / ٢٦ - ٣٩ .

(٣) المؤمنون / ٩٨ .

(٤) المؤمنون / ٩٩ .

(٥) الشعراء / ١٢ .

(٦) الشعراء / ١١٧ .

(٧) القصص / ٣٣ .

(٨) القصص / ٣٤ .

وحالة الخوف تلك تجعل اللسان ينطق بالكلمة سريعة مقتطعاً جزءاً منها غالباً ما يكون من الحروف الأخيرة في الكلمة .

أما في دعاء إبراهيم عليه السلام وقع مناسبتة لما قبله ( السماء - الدعاء ) أفاد العموم أي عامة دعائي ، هذا الذي دعوت به وغيره . ولذلك نكّر ( دعاء ) بحذف الضمير لأنه لو أبقاه لكان معرفة ودلّ على دعائه الذي قاله في تلك اللحظة فقط .

ومن الحذف في الفاصلة ما جاء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾<sup>(١)</sup> . فقد حذف المخصوص بالذم وتقديره هي<sup>(٢)</sup> . وهذا الحذف جاء للدلالة ما قبله ﴿ عَذَابِ النَّارِ ﴾ عليه .

(١) البقرة / ١٢٦ .

(٢) راجع التحرير والتنوير ١ / ٧١٧ .

### ٣ - بناء الفاصلة على كلمة قبلها :

عند تأمل فواصل الدعاء نجدها تختتم في بعض الأحيان بكلمة تناسب ما قبلها ، حتى إن الفاصلة لشدة تمكنها في مكانها قد توحى بها الآيات قبل النطق بها .

وهذا التوافق يكون غالباً توافقاً لفظياً ، ومع ذلك فإن ورود الفاصلة على تلك الحالة لا يخلو من أسرار بلاغية نستشفها من السياق . من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾<sup>(١)</sup> . وقوله : ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وفي فاصلة هاتين الآيتين ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ مناسبة لما قبلهما ﴿ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾<sup>(٣)</sup> و ﴿ ثُمَّ أَنْابَ ﴾<sup>(٤)</sup> . وكلمة ﴿ الْوَهَّابُ ﴾ ناسبت كلمة ﴿ هَبْ ﴾ التي سبقتها ومهدت السبيل لأن تجيء فاصلة الآية الكريمة ﴿ الْوَهَّابُ ﴾ وقد أطلق البلاغيون على هذا الفن الإرصاء والتسهيم ، أو رد العجز على الصدر<sup>(٥)</sup> .

وفي الآيتين السابقتين نرى الداعين قد بالغوا في طلب الرحمة التي تمنعهم من الزيغ والانحراف بعد الهداية ، وفي طلب الملك الذي من صفته أنه لا

(١) آل عمران / ٨ .

(٢) ص / ٣٥ .

(٣) آل عمران / ٧ .

(٤) ص / ٣٤ .

(٥) راجع الإيضاح ٦ / ١٠٢ .

يكون لأحدٍ غيره ، فناسب تلك المبالغة الإتيان بالفاصلة ( وهَّاب ) على صيغة المبالغة . وفيها دلالة على « أنه تعالى يهب الكثير والعظيم »<sup>(١)</sup> .

وفيها قصرٌ ، أي « أنت القوي الموهبة لا غيرك ، لأن الله يهب ما لا يملك غيره أن يهبه »<sup>(٢)</sup> .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> . وقوله كذلك : ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

فالآيات السابقة جاء فيها طلب المغفرة مقدماً على طلب الرحمة ، وجاءت الفاصلة فيها مناسبة لكلمة الرحمة دون المغفرة . لأنَّ الداعين وإن طلبوا المغفرة رغم أنهم لم يفعلوا ما يستدعيها من عمل الذنب أو المعصية ، وهذا على عادة الصالحين نراهم يختمون بالرحمة لأنها أهم لديهم وهم لها أحوج خلافاً للمغفرة . التي نراها تحتّم بها الآية حينما يحدث ما يستوجب طلب المغفرة فتكون الفاصلة ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ بدلاً من ﴿ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ وذلك كما في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام :

(١) التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٦٣ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٦٣ .

(٣) الأعراف / ١٥١ .

(٤) المؤمنون / ١٠٩ .

(٥) المؤمنون / ١١٨ .

﴿ فَأَغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> . فقد جاءت الفاصلة  
خلافاً لما سبق وذلك لأن « إقدامه عليه الصلاة والسلام على أن يقول إن هي  
إلا فتنتك الخ ، جراءة عظيمة فطلب من الله تعالى غفرانها والتجاوز عنها ...  
وتخصيص المغفرة بالذكر لأنها الأهم بحسب المقام »<sup>(٢)</sup> فقد أرتكب في هذه  
الآية ذنباً يستدعي طلب الغفران .

ويمكن لك أن تقيس على ذلك الآيات : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً  
مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> و ﴿ أَفْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا  
بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> . وكذلك : ﴿ وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ  
الرَّازِقِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

فالآيات السابقة كانت الدلالة فيها على الفاصلة دلالة لفظية ، ولكن قد  
تأتي آيات تكون الدلالة فيها دلالة معنوية من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ  
إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> . فقد  
جاءت الفاصلة ﴿ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ مع أنه لم يسبقها ذكر للفظ  
الرحمة . ولكن عند تأمل السياق نجد أن طلب الرحمة جاء ضمناً في قوله :

(١) الأعراف / ١٥٥ .

(٢) تفسير أبي السعود ٣ / ٢٧٧ .

(٣) المؤمنون / ٢٩ .

(٤) الأعراف / ٨٩ .

(٥) المائدة / ١١٤ .

(٦) الأنبياء / ٨٣ .

﴿ أَنِّي مَسْنِيَ الضُّرُّ ﴾ ذلك أن الضر « سوء الحال إمَّا في نفسه لقلّة العلم والفضل والعفة ، وإمَّا في بدنه لعدم جارحةٍ ونقص ، وإمَّا في حالةٍ ظاهرةٍ من قلة مالٍ وجاهٍ وقوله ﴿ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّ ﴾ محتمل لثلاثتها «<sup>(١)</sup> .

وقيل الضر هو « المرض والوجع والعلّة »<sup>(٢)</sup> . وفي مقابل هذا يُفهم أنه يطلب من ربه الرحمة ولذلك ختم بقوله : ﴿ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ فهو مفهوم من السياق وفيه أدب في الدعاء لأنه لم يطلب الرحمة صراحة من الله عز وجل بل عرّض في دعائه .

ومثله قوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> فقوله : ﴿ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا ﴾ « أي وحيداً بلا ولد يرثني ... ولو كان المراد بلا ولد يصاحبني ويعاونني ل قيل وأنت خير المعينين »<sup>(٤)</sup> . ولما أراد بلا ولد يرثني جاءت الفاصلة ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ مناسبة لذلك .

(١) مفردات الراغب / ٢٩٣ .

(٢) بصائر ذوي التمييز ٣ / ٤٦٩ .

(٣) الأنبياء / ٨٩ .

(٤) روح المعاني ١٧ / ٨٧ .



#### ٤ - من أسرار الصفات في الفاصلة :

جاءت الصفات في فواصل الدعاء القرآني وصفاً لكلمة ( القوم ) ، والإتيان بهذه الصفات فيه من الأسرار البلاغية الشيء الكثير ، حيث اقتضى السياق أن يكون الوصف كما ورد من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> فقد جاءت الفاصلة ﴿ الْكَافِرِينَ ﴾ وصفاً للقوم ، وهي بذلك مناسبة لمعنى الآية ، حيث دارت الآية حول طلب النصر على أعداء الله عز وجل الذين يحاولون أن يغطوا الحقائق ويصرفوا الناس عن الإيمان بالله . ولأن الكفر بالله أمرٌ يوجب المجابهة مع هؤلاء المتصنفين به حتى لا يتفاقم شرهم .

وكذلك في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ فَأَفْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

فقد وصف قومه بالفاسقين ، وبالرجوع لمعنى فسق نجده يعني « خرج عن الحق وترك امثال أمر الله »<sup>(٣)</sup> . وهذا ما حدث من قومه فعلاً ، فقد قالوا كما جاء في الآيات قبلها : ﴿ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ط فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَفَقِتْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> وبقولهم هذا خرجوا عن الحق وتركوا امثال أوامر الله فناسب وصفهم بالفاسقين .

(١) البقرة / ٢٥٠ ، ٢٨٦ ، آل عمران / ١٤٧ .

(٢) المائدة / ٢٥ .

(٣) بصائر ذوي التمييز ٤ / ١٩٢ .

(٤) المائدة / ٢٤ .

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(١)</sup>  
حكاية عن لوط عليه السلام ، الذي نعت قومه بالمفسدين وطلب من ربه أن  
ينصره عليهم .

والفساد : « خروج الشيء عن الاعتدال »<sup>(٢)</sup> ، وهذا ما كان من قومه  
حيث خرجوا عن حد الاعتدال في الفطرة السوية السليمة وذلك بتركهم  
إتيان النساء ، والإنصراف إلى الذكور . وفي عملهم هذا فساد وخروج عن  
طبيعة البشر . فناسب وصفهم بالمفسدين .

ومن ذلك أيضاً وصف الأقوام بالظلم ، وقد جاء هذا في قوله تعالى :  
﴿لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> على لسان أهل الجنة عند رؤيتهم  
لأهل النار الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم ، والظلم « وضع الشيء في غير  
موضعه المختص به »<sup>(٤)</sup> وهذا ما فعله أصحاب النار حيث صرفوا الإيمان  
والعبودية لغير الله عز وجل . وجاء أيضاً على لسان موسى عليه السلام :  
﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٥)</sup> . فإن قوم فرعون من الأقباط  
ظلموا بني إسرائيل وطمغوا عليهم . وكذلك جاء على لسان امرأة فرعون في  
قوله تعالى : ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٦)</sup> وتقصد بذلك قوم

(١) العنكبوت / ٣٠ .

(٢) مفردات الراغب / ٣٧٩ .

(٣) الأعراف / ٤٧ .

(٤) بصائر ذوي التمييز ٣ / ٥٤١ .

(٥) التحريم / ١١ .

(٦) التحريم / ١١ .

فرعون الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله ، وظلموها بتعذيب أهل الإيمان والاستمرار في الغي والظلال . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(١)</sup> تعليماً منه لرسول الله ﷺ طلب النجاة وأن لا يكون في الزمرة الظالمة الخارجة عن الحق .

من خلال ما تقدم يمكننا القول : « إن الجمال الذي نراه في فواصل الآيات نابع من التوازن بين المقاطع وتوافقها في الروي ، حتى ليخيل لك أن القرآن عمد إليه وتوخاه ، وإذا تأملت المعاني والأغراض وجدت أنه أحكم نسق الألفاظ وفقاً لثوابت المعاني وحركتها في الأذهان ، فمن أي جانب نظرت وقعت على سر من أسرار الإعجاز الذي يتجلى في هذه المواءمة الدقيقة بين جمال الشكل والمضمون ، ليتحقق بها التناسب بين الفواصل ، في نفس الوقت الذي يتحقق فيه التناسب بين المعاني »<sup>(٢)</sup> .

---

(١) المؤمنون / ٩٤ .

(٢) من أسرار المغيرة في نسق الفاصلة القرآنية ( بتصرف ) / ٨٠ .

# الفصل الثالث

صور البيان والبدیع فی آیات الدعاء

## الفصل الثالث

### صور البيان والبديع في آيات الدعاء

يلحظ المتتبع لآيات الدعاء قلة ورود الصور البيانية والمحسنات البديعية فيه . وربما يعود هذا - والله أعلم - إلى أن الدعاء يخرج عن الداعي في بساطة في لغة سهلة واضحة ، قريبة يفهمها العامة والخاصة .

أو لأن ذكر الدعاء في القرآن يظهر فيه الجانب التعليمي ، في تعليم الأمة كيفية صرف هذه العبادة على أكمل وجه وأتم صورة . والتعليم لا بد أن يأتي في أسلوب سهل واضح حتى يفهمه المتعلم .

أو لعل هذا راجع إلى أن الدعاء غالباً ما يصدر عن نفسيات أضنتها الحاجة وأرهقتها الشدة ، أو غمرتها النعمة وشملتها الرحمة . وفي كلا الحالتين نرى الداعي ينصرف ذهنه كلياً لذات الدعاء .

أمّا ما ورد فيه من صور بيانية ومحسنات بديعية فهو في مجمله بسيط واضح يدنو من الأذهان لا يلتوي على السامع أو القارئ في إدراك دلالاته ومراميه البلاغية .

وسنعرض في الصفحات القادمة نماذج متنوعة لصور البيان والبديع في آيات الدعاء ، وستكون على النحو الآتي :

## أولاً : صور البيان .

### أ - التشبيه :

« الشَّبْهُ والشَّبَّه والشَّبِيه : المِثْلُ والجمع أشباه . وأشبه الشيء الشيء :  
ماثله »<sup>(١)</sup> .

وفي الاصطلاح يراد به : « مشاركة أمر لأمر في معنى »<sup>(٢)(٣)</sup> .

وقد عدّه الشيخ عبد القاهر من محاسن الكلام وذلك أثناء حديثه عن التشبيه والتمثيل والاستعارة حيث قال : « إن هذه أصول كبيرة ، كأنَّ جُلَّ محاسن الكلام - إن لم نقل كلها - متفرعة عنها . وراجعة إليها ، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها ، وأقطارٌ تحيط بها من جهاتها ... »<sup>(٤)</sup> . والتشبيه يعمل على ( تقرير المشبه في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه فيستفاد من ذلك البلاغة فيما قصد به من التشبيه على جميع وجوهه من مدح أو ذم أو ترغيب أو ترهيب أو كبر أو صغر أو غير ذلك من الوجوه التي يقصد بها التشبيه وتراد للإيجاز أيضاً والاختصار في اللفظ من تعديد الأوصاف الشبهية . وتراد للبيان والإيضاح أيضاً<sup>(٥)</sup> .

(١) اللسان / مادة شبه ٧ / ٢٣ .

(٢) التلخيص في علوم البلاغة / للقزويني / شرح عبد الرحمن البرتوفي / دار الكتاب العربي لبنان /

١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ / ٢٣٨ .

(٣) راجع العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق : دار الجيل بيروت ، ط ٥ /

١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م / ١ / ٢٨٦ ، التبيان في علم المعاني والبدیع والبيان / ١٨٠ .

(٤) أسرار البلاغة / ٢٧ .

(٥) الطراز للعلوي / ١٣١ .

ونرى القرآن الكريم « يسير بأسلوب التشبيه إلى غاية بعيدة ، من الصدق والقوة ، وروعة التأثير ، وجودة التصوير ، وتقرير الشبه بين الأشياء وإبراز المعاني البعيدة في صورة حسية مألوفة ، ويبلغ في ذلك غاية الإيجاز ، ومنتهى الإعجاز »<sup>(١)</sup> .

والتشبيه في آيات الدعاء لم يرد كثيراً بل وردت فيه صور منها قوله تعالى : ﴿ وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾<sup>(٢)</sup> . ففي قوله ( إماما ) تشبيه أي اجعلنا للمتقين كالأئمة . حيث أطلق الإمام على القدوة تشبيهاً بالمثل أو القالب ، وغلب ذلك فصار الإمام بمعنى القدوة وجرى الكلام على التشبيه البليغ<sup>(٣)</sup> .

ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَيَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾<sup>(٤)</sup> . فقد شبه الداعون الإصر<sup>(٥)</sup> الذي يخافونه بالإصر الذي حُمِلَ على مَنْ قبلهم وهو أعم من الإصر السابق لتخصيصه بالتشبيه وعموم هذا<sup>(٦)</sup> . وفيه كذلك نوع من الاختصار حيث لم يذكر لنا ماهيات هذا الإصر ، وعلى من وقع ؟ أو ما هي أسبابه ؟ بل اكتفى بذكر مشابيه اختصاراً .

---

(١) ملحق على الجزء الرابع من كتاب الإيضاح للخطيب القزويني بقلم د/ محمد عبد المنعم خفاجي ٤ / ١٣٦ من كتاب الإيضاح .

(٢) الفرقان / ٧٤ .

(٣) راجع التحرير والتنوير ١٩ / ٨٣ .

(٤) البقرة / ٢٨٦ .

(٥) الإصر يراد به : العبء الثقيل أو التكليف الشاق .

(٦) راجع البحر المحيط ٢ / ٧٦٥ - ٧٦٦ .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾<sup>(١)</sup> .  
فقد قيل : « الكاف للتعليل أي ( رب ارحمهما ) لتربيتهما لي وجزاءً على  
إحسانهما إليّ حالة الصغر والافتقار »<sup>(٢)</sup> .

وهنالكَ من قال : « إنها من التشبيه الذي يعبر عنه النحاة بمعنى التعليل  
أي ارحمهما رحمة تكافئ ما ربياني صغيراً »<sup>(٣)</sup> . فقد دلّ التشبيه في الآيتين  
السابقتين على الاختصار .

ففي الآية الأولى لم يذكر الداعون هذا الاصر الذي يخافونه ، ما هو ؟  
وما هي أسبابه ؟ وإنما جعلوه شبيهاً بالإصر الذي سبق أن وقع على من كان  
قبلهم من الأمم . وفي تنكيره تعظيم وتهويل لأمره . لذا هم حريصون على  
عدم الوقوع فيه ، ليس هرباً من أمر الله وتكليفه ولكن خوفٌ من عدم تنفيذه  
كما يجب .

وفي الآية الثانية دعا الداعون بالرحمة للوالدين لقاء تربيتهما ، وفي ذلك  
دليل على أنّ التربية في الصغر رحمة عظيمة بالمولود ، ومع اختصاره دلّ  
كذلك على الشمول والتنوع ، فالرحمة عامة شاملة لها هيئات مختلفة وصفات  
متعددة وأحوالٌ متنوعة فأرادوا اختصارها بذكر ما يماثلها ، وهو رحمة  
الوالدين لولدهما حال الصغر .

(١) الإسراء / ٢٤ .

(٢) البحر المحيط ٧ / ٣٩ .

(٣) راجع التحرير والتنوير ١٥ / ٧٣ .



ومثله قوله تعالى : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾<sup>(١)</sup>  
فقد شبه من لا ولد له بالمنفرد الذي لا قرين له<sup>(٢)</sup> . لجامع الوحدة ، وفي هذه  
الآية نرى حرص زكريا عليه السلام على أن تكون له ذرية طيبة ترثه ، كما  
جاء في دعائه في سورة مريم بقوله : ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي  
وَيَرِثُ مِنْ عَالٍ يَعْقُوبُ ۗ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾<sup>(٣)</sup> . أي يرثه « العلم والدين  
والنبوة ... وقيل يرثني الحبورة وكان عليه السلام حبراً »<sup>(٤)</sup> . ولكي يكون له  
ذكرٌ بعد مماته على عادة البشر حيث جبلوا على حب الأولاد قال تعالى :  
﴿ زَيْنَ النَّاسِ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ  
مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾<sup>(٥)</sup> . فالتشبيه كان قليلاً جداً ورد في أربع آيات  
فقط ذكرت الأداة ( الكاف ) في آيتين فقط .

أمَّا التشبيه التمثيلي وهو ما انتزع فيه وجه الشبه « من عدة أمور يُجمع  
بعضها إلى بعض ثم يستخرج من مجموعها الشبه فيكون سبيله سبيل الشيين  
يمزج أحدهما بالآخر ، حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حال  
الإفراد »<sup>(٦)</sup> . وقد أشار الشيخ عبد القاهر إلى أنَّ المعنى بالتمثيل يَفْخُمُ وَيَنْبُلُ  
ويشرف ويكمل . وله تأثيرٌ عظيم في النفس ذلك « أنَّ أُنْسَ النفوس موقوف

(١) الأنبياء / ٨٩ .

(٢) راجع التحرير والتنوير ١٧ / ١٣٥ .

(٣) مريم / ٥ - ٦ .

(٤) تفسير أبي السعود ٥ / ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٥) آل عمران / ١٤ .

(٦) أسرار البلاغة / ١٠١ .

على أن تخرجها من خفي إلى جلي ، وتأتيها بصريح بعد مكثي ، وأن تردّها في الشيء تُعلّمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم ، وثقتها به في المعرفة أحكم نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس ، وعمّا يُعلّم بالفكر إلى ما يُعلم بالاضطرار والطبع ، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حدّ الضرورة ، يفضل المستفاد من جهة النّظر والفكر في القوة والاستحكام ، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام»<sup>(١)</sup> .

وقد جاء التشبيه التمثيلي في آيات الدعاء في قوله تعالى : ﴿ هَرُونَ أَخِي ﴿٢﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٤﴾ ﴾ حيث جاء الكلام « تمثيلاً لهيئة المعين والمعان بهيئة مشدود الظهر بجزام ونحوه »<sup>(٢)</sup> . ومثله قوله تعالى : ﴿ فِدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴾<sup>(٣)</sup> . فقد شبه عليه السلام حالته وهو يئس من إجابتهم لدعوته بحال الذي قاتل أو صارع فغلبه مقاتله . لجامع العجز في كل . وبهذا التعبير الموجز في الآيتين استطاع الداعون إظهار حاجتهم وتصويرها في صورة قريبة ملموسة حتى لكأنها ماثلة للعيان وقد جاء الدعاء في مقام الشدة والحاجة ، حاجة موسى عليه السلام لمن يعينه ، وحاجة نوح عليه السلام لمن ينصره ، فعبراً عن حاجتهما عن طريق التمثيل لأنه كما قيل : « يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بُعد ما بين المشرق والمغرب ، ويجمع ما بين المشتم والمعرق . وهو يريك للمعاني

(١) المصدر السابق / ١٢١ .

(٢) طه / ٣٠ - ٣١ - ٣٢ .

(٣) التحرير والتنوير ١٦ / ٢١٣ .

(٤) القمر / ١٠ .

الممثلة بالأوهام شهباً في الأشخاص الماثلة وينطق لك الأخرس ، ويعطيك  
البيان من الأعجم ، ويريك الحياة في الجماد ... «<sup>(١)</sup> .

## ب - المجاز :

المجاز : مصدر ( جزتُ مجازاً ) من جزت الطريق ، وجاز الموضوع : أي  
سار فيه وسلكه<sup>(٢)</sup> وهو : كل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع  
واضعها ، لملاحظة بين الثاني والأول ... وإن شئت قلت : كل كلمة جزت  
بها ما وضعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له ، من غير أن تستأنف  
فيها وضعاً ، لملاحظة بين ما تجوز بها إليه ، وبين أصلها الذي وضعت له في  
وضع واضعها «<sup>(٣)</sup> . وقد عرفه السكاكي بقوله : « هو الكلمة المستعملة  
في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع  
حقيقتها مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع »<sup>(٤)</sup> . وللمجاز  
مكانة عظيمة عند العرب وكثيراً ما تستعمله ، بل « وتعدده من مفاخر  
كلامها ؛ فإنه دليل الفصاحة ، ورأس البلاغة ، وبه بانت لغتها عن سائر  
اللغات ... والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة ، وأحسن موقعاً في  
القلوب والأسماع ... »<sup>(٥)</sup> في حين أن عبد القاهر جعل كل شيء في البلاغة  
يرجع إلى العقل وطبع الإنسان مشتركاً بين اللغات جميعاً وجعل الخاص  
بالعربية هو ما سماه ( الاستعارة غير المفيدة ) .

وقد قسّم البلاغيون المجاز إلى قسمين :

(١) أسرار البلاغة / ١٣٢ .

(٢) راجع اللسان / مادة جوز ٢ / ٤١٦ - راجع الإيضاح ٥ / ١٦ .

(٣) أسرار البلاغة / ٣٥٢ .

(٤) التلخيص للخطيب القزويني / ٢٩٤ .

(٥) العمدة لابن رشيق ١ / ٢٦٥ - ٢٦٦ .

**القسم الأول :** المجاز اللغوي : وهو « أنَّ المتكلم قد جاز باللفظة أصلها الذي وقعت له ابتداءً في اللغة ، وأوقعها على غير ذلك ، إمَّا تشبيهاً ، وإمَّا لصلة وملابسة بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه »<sup>(١)</sup> .

**والقسم الثاني :** المجاز العقلي ( الحكمي ) وهو : « إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأويل »<sup>(٢)</sup> . وهنالك فرقٌ بين المجازين اللغوي والعقلي وهذا الفرق « يكمن في أمرين : أ - طريق التجوز في المجاز اللغوي هو اللغة ، أمَّا المجاز العقلي فطريقه العقل والفكر . ب - المجاز اللغوي في اللفظ أمَّا المجاز العقلي ففي الإسناد »<sup>(٣)</sup> .

وقد قسم البلاغيون المجاز اللغوي بحسب العلاقة الجامعة بين المعنيين ( المعنى الأصلي والمعنى المنقولة إليه الكلمة ) إلى قسمين :

**القسم الأول :** المجاز المرسل هو : « ما كانت العلاقة الجامعة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه »<sup>(٤)</sup> . وسمي مرسلًا ( أي مطلقاً ) لأن الإرسال لغة الإطلاق ، فهو غير مقيد بعلاقة مخصوصة بل ردد بين علاقات بخلاف الاستعارة حيث قيدت بعلاقة واحدة هي علاقة المشابهة<sup>(٥)</sup> .

(١) أسرار البلاغة / ٤٠٨ .

(٢) الإيضاح ١ / ٨٢ .

(٣) من أسرار التركيب البلاغي / السيد عبد الفتاح حجاب / الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م / المكتبة التوفيقية ص ٣٣ .

(٤) الإيضاح ٥ / ٢٠ .

(٥) شرح عبد المنعم خفاجي بهامش الإيضاح ٥ / ١٧ .

ومما جاء منه في الدعاء القرآني قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ... ﴾<sup>(١)</sup> فالسماح مجاز عن القبول<sup>(٢)</sup> حيث عبر بالسبب الذي هو السماع عن المسبب الذي هو القبول فهو مجاز مرسل ، ذلك أنّ القرآن فيه كثير من الآيات الداعية إلى عبادة الله وحده والإيمان به دون سواه ، فهو وسيلة الدعوة إلى الله عز وجل ، ومثله قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تَزُغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾<sup>(٣)</sup> فقد دعا الداعون بالثبات على الإيمان بعد هداية الله لهم قائلين : لا تزغ ، أي لا تمل قلوبنا وتصرفها عن الحق . فعبروا بالجزء ( القلوب ) مع إرادة الجسد ككل ذلك لما للقلب من مكانة فبصلاحه يصلح الجسد وبفساده يفسد<sup>(٤)</sup> . فهو مفتاح الهداية وأساسها لذا طلبوا له الثبات على طريق الحق وعدم الميل أو الانحراف عنه .

ومنه قوله تعالى في دعاء إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوَىٰ إِلَيْهِمْ ﴾<sup>(٥)</sup> . فقد طلب عليه السلام من ربه أن يجعل مكة بلداً عامرة بالسكان عن طريق إتيان الناس لها وتهافتهم لزيارتها من كل فج عميق وذكر الجزء ( الأفتدة ) ومعلوم أن الأفتدة لا تأتي وحدها مفصولة عن أجسادها بل يأتي الإنسان بكليته . وفي تخصيص الأفتدة يظهر لنا جمال وروعة لغة القرآن ونظمه المعجز ذلك أنّ القلب له مزية على غيره من أعضاء الجسم فهو موطن المشاعر ( من حب وكرهية ونحوهما ) وفي طلب إبراهيم ( يتوافد الناس إلى مكة ) نرى جانب المحبة يطغى فلا يعقل أن تسرع القلوب إلى مكان دون أن تحبه ودون أن يكون مقبولاً لديها ، ونلاحظ أنه في الآية الأولى جاء التعبير بلفظ ( قلوبنا ) وفي الآية الثانية بلفظ ( أفتدة ) وفي ذلك ملمح بلاغي رائع يظهر لنا من معنى كلُّ منهما ، ومن السياق ذاته .

(١) آل عمران / ١٩٤ .

(٢) راجع البحر المحيط ٣ / ٤٧٣ .

(٣) آل عمران / ٨ .

(٤) راجع نظم الدرر ٢ / ٢٦ .

(٥) إبراهيم / ٣٧ .

فالقلب سمي بذلك ( لكثرة تقلبه )<sup>(١)</sup> لذلك ناسب التعبير به للفظ ( لا تزغ )<sup>(٢)</sup> الذي معناه « الميل عن الاستقامة »<sup>(٣)</sup> . أمّا الآية الثانية فلفظ الأفتدة جاء دالاً على شدة تأجج الشوق في الفؤاد والرغبة الملحة لزيارة البلد الحرام وهذا مستفاد من معنى ( الفؤاد ) الذي هو ( القلب ) لكن « إذا اعتبر فيه معنى التَّفَوُّد أي التَّوَقُّد »<sup>(٤)</sup> . والقلوب متوقدة متشوقة لزيارة مكة لذا ناسب ذكر الأفتدة هنا .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> . نرى الداعين في هذه الآية الكريمة يتضرعون إلى الله ويرجون تثبيت أقدامهم في أرض المعركة ، مخصصين هذا الثبات بالأقدام وحدها دون سائر الجسد ؛ مع أنّ الجسد كله هو الذي يثبت لا الأقدام وحدها . ولكن بالنظر إلى السياق نرى وجه ما ذكر فالسياق سياق شدة وضيق في معركة غير متكافئة ، فكثرة العدو ، وقتلهم لهو مدعاة للهرب - عند ذوي النفوس الضعيفة - فعبروا بثبات الأقدام ( أي بالجزء ) مع إرادة الكل وذلك لأن الأقدام هي وسيلة الحركة والهرب ومن خلالها يكون التوجه في أرض المعركة إمّا للأمام طلباً للنصر أو الشهادة وإمّا للخلف تراجعاً وهروباً . ونرى تداخل علاقتي الجزئية والآلية في هذه الآية الكريمة .

(١) مفردات الراغب / قلب / ٤١١ .

(٢) ما ذكر الفعل ( تزغ ) إلا ذكر معه لفظ القلوب دون الأفتدة . راجع المعجم المفهرس

لألفاظ القرآن / ٤٢٥ - ٤٢٦ .

(٣) مفردات الراغب / زيغ / ٢١٧ .

(٤) مفردات الراغب / فؤاد / ٣٨٦ .

(٥) البقرة / ٢٥٠ .

ومما جاء منه كذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي  
الْآخِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> . فقد دعا إبراهيم عليه السلام طالباً من ربه اللسان الصادق  
ويريد به الثناء والذكر الحسن<sup>(٢)</sup> . وعبر باللسان لأنه الوسيلة لهذا الذكر  
« القول » وآلته . فالعلاقة هي الآلية .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ﴾<sup>(٣)</sup> . وهذه الآية تُعدُّ من  
شواهد البلاغيين المعروفة في المجاز المرسل لعلاقة الحالية . فمعلوم أنَّ الرحمة  
لا يُحلُّ فيها إنَّما يُحلُّ في مكانها ( الجنة ) فاطلقت الحال هنا ( الرحمة )  
وأريد بها محلها ( الجنة ) فالعلاقة هنا ( الحالية ) فقولهم هذا يظهر رغبتهم  
الملحَّة في الحلول في هذه الرحمة لتحيط بهم من كل جانب كإحاطة الظرف  
بمظروفه .

### القسم الثاني من أقسام المجاز اللغوي : الاستعارة .

الاستعارة في اللغة : « مأخوذة من العارية أي نقل الشيء من شخص إلى  
آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه . والعارية والعار :  
ما تداولوه بينهم وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاوره إيَّاه . والمعاورة  
والتعاور شبه المداولة والتداول يكون بين اثنين . وتعوَّر واستعار ، طلب  
العارية ، واستعاره الشيء واستعاره منه طلب منه أن يعيره إيَّاه »<sup>(٤)</sup> . أمَّا في

(١) الشعراء / ٨٤ .

(٢) راجع نظم الدرر ٥ / ٣٧٠ .

(٣) الأعراف / ١٥١ .

(٤) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١ / ١٣٦ .

اصطلاح البلاغيين فإنها تدل على أن ( للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختصَّ به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية »<sup>(١)</sup> . وهي ضرب من المجاز اللغوي « علاقته تشبيه معناه بما وضع له »<sup>(٢)</sup> . فالفرق بين المجاز المرسل والاستعارة يكمن في نوع العلاقة . فإن كانت المشابهة فهي الاستعارة وإن كانت غير ذلك فهو المجاز المرسل .

وللإستعارة فوائد عدة وخصائص جمّة وقد أفاض الشيخ عبد القاهر في إظهار هذه الخصائص ومن ذلك قوله : « هي أمدُّ ميداناً ، وأشدُّ افتناناً . وأكثر جرياناً ، وأعجب حسناً وإحساناً ، ..... من أن تجمع شعبها وشعوبها ، وتحصر فنونها وضروبها ... وأن تأتيك على الجملة بعقائل يأنس إليها الدين والدنيا ، وفضائل لها من الشرف الرتبة العليا .... ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدره نبلاً ، وتوجب له بعد الفضل فضلاً ... ومن خصائصها التي تذكر بها ، وهي عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ، حتى تُخرج من الصدفة الواحدة عدّة من الدرر ، وتجنّي من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر »<sup>(٣)</sup> . ونراه يطنب في إبراز محاسنها وإظهار فوائدها وكيف أنها تحرك الأشياء وتبعث فيها الحياة بقوله : « فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً ، والأعجم فصيحاً ، والأجسام الخرس مبينة ، والمعاني الخفية بادية جليلة ... إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل ، كأنها قد جسّمت حتى

(١) أسرار البلاغة / ٣٠ .

(٢) الإيضاح / ٥ / ٣٧ .

(٣) أسرار البلاغة / ٤٢ - ٤٣ .



رأتها العيون ، وإن شئت لطفّت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون»<sup>(١)</sup> .

وقد قسمها البلاغيون باعتبار أحد الطرفين إلى قسمين :

١ - استعارة تصريحية .

٢ - استعارة مكنية .

أمّا الاستعارة التصريحية فهي « ما صُرِّحَ فيها بلفظ المشبه به دون المشبه »<sup>(٢)</sup> .

فقد جاءت في الدعاء القرآني في عدة مواضع منها :

قوله تعالى : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾<sup>(٣)</sup> فقد استعير لفظ (الصراط) للدلالة على ( ملة الحق ودين الله ) حيث طلب الداعون الهداية لهذا الدين . والعرب تستعير الصراط « فتستعمله في كل قول وعمل وصف باستقامة أو اعوجاج ، فتصف المستقيم باستقامته ، والمعوج باعوجاجه »<sup>(٤)</sup> . فهم شبهوا ملة الحق بالصراط لأن كليهما يوصل سالكيه إلى الغاية المطلوبة وإلى بر النجاة وأدخل المشبه في جنس المشبه به حتى أضحي فرداً من أفرادها على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية . وفي التعبير بقولهم : ( المستقيم ) احتراز وتكميل لأن الصراط قد يكون ملتوياً فيستغرق السير فيه زمناً طويلاً

(١) المصدر السابق / ٤٣ .

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١ / ١٥٥ .

(٣) الفاتحة / ٦ .

(٤) تفسير الطبري ١ / ٧٤ .

ويلقى فيه السائر زيادة عناء ، ولدفع هذا التوهم جيئ بهذا الوصف ( المستقيم ) لتأكيد أن صراط الله مستقيم لا اعوجاج فيه<sup>(١)</sup> فأبرز المعقول في صورة المحسوس لزيادة الاعتناء بشأن هذا الطريق الذي يرجون الاهتداء إليه حتى لكانه يلمس ويرى .

ومنها كذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾<sup>(٢)</sup> . فالضلال « مستعار لعدم الاهتداء لطرائق المكر الذي خشي نوح غائلته في قوله : ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كَبِيرًا ﴾<sup>(٣)</sup> . أي حُلُ بيننا وبين مكرهم ولا تزدهم إمهالاً في طغيانهم علينا إلا أن تضللهم عن وسائله<sup>(٤)</sup> . فجاء التعبير على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية<sup>(٥)</sup> . مظهراً مدى غضبه عليه السلام من إعراض قومه وصددهم عن دعوة الحق فطلب الزيادة لهم في الضلال والبعد عن إيدائهم عن طريق صرفهم وتضليلهم عن طرق الأذى كلها .

ومنها كذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا ﴾<sup>(٦)</sup> حيث استعير ( الإصر ) للعهد والميثاق المؤكد الذي يصعب الوفاء به . والإصر في الأصل هو : ما يؤصر به أي يربط وتعقد به الأشياء ، ولكنه استعمل في

---

(١) راجع الترغيب والترهيب في القرآن الحكيم / يوسف بن عبد الله الأنصاري ( رسالة دكتوراه ) إشراف د/ عبد العظيم المطعني ١٤١٣ هـ ، ص ١٥٦ ، ١٧٠ .

(٢) نوح / ٢٤ .

(٣) نوح / ٢٢ .

(٤) التحرير والتنوير ٢٩ / ٢١١ .

(٥) ويحتمل أن يكون في قوله : ﴿ ضَلَالًا ﴾ مجازاً مرسلًا حيث أطلق الضلال وأراد به العذاب المسبب عنه ( أي مجاز علاقته السببية ) .

(٦) البقرة / ٢٨٦ .

العهد والميثاق المؤكد ، وأطلق أيضاً على ما يثقل عمله والامثال فيه<sup>(١)</sup> .  
فجاء التعبير على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية . حيث أظهرت الآية  
حرص الداعين على تنفيذ أوامر الله على الوجه الأكمل دونما تكاسل أو  
تهاون . لذا دعوا الله أن لا يكلفهم أساساً بما يعجزون عن تنفيذه وما يشق  
عليهم الوفاء به حتى لا يقعوا في الإثم .

ومنها كذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ  
لَنَا عِيدًا ﴾<sup>(٢)</sup> فقد استعير لفظ العيد للسرور وأدخل المشبه في المشبه به  
حتى صار من جنسه فأصبحوا يعبرون عن السرور والفرح بالعيد « لأن العادة  
جرت في الأعياد بتوفير السرور عند الصغير والكبير ، فتضمن من معنى  
السرور ما لا تتضمنه الحقيقة »<sup>(٣)</sup> فهو استعارة تصريحية أصلية .

ومنها كذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي  
الْآخِرَةِ ﴾<sup>(٤)</sup> . نجد الداعين يستعرون الكتابة للعطاء المحقق حصوله المجدد  
مرة بعد مرة ثم اشتق من الكتابة اكتب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .  
ومن قولهم هذا تظهر لنا رغبتهم الصادقة فيما عند الله « وأن يأتيهم الله  
الحسنة تلو الحسنة في أزمان حياتهم وفي يوم القيامة »<sup>(٥)</sup> .

(١) راجع التحرير والتنوير ٣ / ١٤٠ .

(٢) المائة / ١١٤ .

(٣) الصناعتين للعسكري / ٢٧٤ .

(٤) الأعراف / ١٥٦ .

(٥) التحرير والتنوير ٩ / ١٢٨ (بتصرف) .

ومنها كذلك قوله تعالى : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي <sup>(١)</sup> إِلَىٰ يَهُودِيٍّ ﴾ <sup>(٢)</sup> . فقد استعير الهوي للإسراع ثم اشتق من الهوي تهوي على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، وبهذا التعبير استطاع إبراهيم عليه السلام أن يعبر عن شوق الناس وتلهفهم إلى مكة والإسراع نحوها بالشيء الذي يهوي مسرعاً واختيار الفعل ( تهوي ) بالمضارع ليدل على تجدد هذا الميل والإسراع إليها مرة بعد مرة ، وهذا مناسب للحج الذي يأتي كل عام . فلا ينقطع الناس عن زيارتها أبداً يدفعهم الحب والشوق لهذا المكان .

فلاستعارة في الآيات السابقة استطاعت أن تؤدي المعنى أداءً واضحاً لا يخلو من الإيجاز .

أما الاستعارة المكنية <sup>(٣)</sup> وهي : « التي اختفى فيها لفظ المشبه به واكتفي بذكر شيء من لوازمه دليلاً عليه » <sup>(٤)</sup> . فقد جاء منها في الدعاء القرآني قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ <sup>(٥)</sup> . حيث شبهوا « الصبر بماء تشبيه المعقول بالمحسوس وحذفوا المشبه به وذكروا لازماً من لوازمه وهو الإفراغ على سبيل الاستعارة المكنية ثم شبهوا خلقه في نفوسهم بإفراغ الماء من الإناء على طريقة التخيلية <sup>(٦)</sup> - فإن الإفراغ صب جميع ما في

(١) ( تسرع إليهم وتطير نحوهم شوقاً ونزاعاً ) ، الكشاف ٢ / ٥٣٧ .

(٢) إبراهيم / ٣٧ .

(٣) وتسمى كذلك الاستعارة بالكناية .

(٤) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها / ١٤٥ .

(٥) البقرة / ٢٥٠ ، وفي الأعراف / ١٢٦ ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ .

(٦) وهي أن يستعار لفظ دال على حقيقة خيالية تقدر في الوهم ثم تردف بذكر المستعار له

إيضاحاً لها وتعريفاً لحالها . معجم المصطلحات البلاغية وتطورها / ١ / ١٥١ .

الإناء ، والمقصود من ذلك الكناية عن قوة الصبر لأن إفراغ الإناء يستلزم أنه لم يبق فيه شيء مما حواه . فاشتملت هذه الجملة على مكنية وتخييلية وكناية «(١)» .

وقيل : « استعير الإفراغ هنا للكثرة مع التعميم والإحاطة وتثبيت الأقدام استعارة لعدم الفرار ، شبه الفرار والخوف بزلق القدم ، فشبه عدمه بثبات القدم في المأزق »(٢) .

ففي الآية السابقة « معنى بديع واستعارة لطيفة ونكتة بليغة لأنه جعل الصبر بمنزلة الماء المنصب عليهم لثلج صدورهم وإغنائهم عن الماء الذي منعوا منه »(٣) .

فهذه الاستعارة جعلت صورة المعركة حية ماثلة أمامنا نراهم وهم في أمس الحاجة إلى العون والصبر الذي جعلوه ماءً ينزل عليهم من السماء يعمهم فلا يترك واحداً منهم إلا وشمله هذا الفيض الإلهي ، فتمتلئ قلوبهم صبراً وجلداً لمواجهة الأعداء دون خوف أو جزع .

ومما جاء منها في الدعاء القرآني قوله تعالى : ﴿ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٤﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴾(٤) . حيث شبه حبسة لسانه وعجزه عن الإبانة بالعقدة في الحبل أو الخيط وذلك لأنها تمنع سرعة استعماله ، « والعقدة : موضع ربط بعض الخيط أو الحبل ببعض آخر منه ... أطلقت على عسر

(١) التحرير والتنوير ( بتصرف ) ٥ / ٥٦ .

(٢) التحرير والتنوير ٢ / ٤٩٩ ، وانظر حاشية الشهاب ٤ / ٢٠٦ .

(٣) حاشية الشهاب ٢ / ٣٣١ .

(٤) طه / ٢٧ / ٢٨ .

النطق بالكلام أو ببعض الحروف على وجه الاستعارة لعدم تصرف اللسان عند النطق بالكلمة ... فهو أعقد إذا كان لا يبين الكلام ، واستعار لازالتها فعل الحل المناسب للعقدة على طريقة الاستعارة المكنية «<sup>(١)</sup> . فمن خلال الاستعارة السابقة شعرنا بمدى حاجة موسى عليه السلام للإفصاح والإبانة وكيف أنه لم يعبر عن ذلك مباشرة بل سلك طريقاً أوجز ، وقعه أبلغ ذلك هو طريق الاستعارة فإنك ترى « بها الجماد حياً ناطقاً ، والأعجم فصيحاً ، والأجسام الخرس مبينة ، والمعاني الخفية بادية جليّة »<sup>(٢)</sup> .

---

(١) التحرير والتنوير ١٦ / ٢١١ .

(٢) أسرار البلاغة / ٤٣ .

## القسم الثاني من أقسام المجاز : المجاز العقلي ( الحكمي ) .

وهو : « إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأويل »<sup>(١)</sup> .  
وقد جاء المجاز العقلي في الدعاء القرآني في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾<sup>(٢)</sup> .  
حيث أسند عليه السلام في دعائه السابق القيام إلى الحساب ، وهو ليس فاعله الحقيقي لأن الذي يقوم للحساب الناس ، وإنما عدل إلى ( يقوم الحساب ) بدلاً من ( يقوم الناس للحساب ) لبيان شدة ذلك اليوم وعظمته حتى وكأنه قائم بذاته من شدة الجزع ، وعظم المشهد ، وفيه أيضاً استحضار لصورة ذلك اليوم ، وما فيه من هول بأقصر طريق . ومنه قوله تعالى على لسان أيوب عليه السلام : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾<sup>(٣)</sup> . فقد أسند عليه السلام المس بالنصب والعذاب إلى الشيطان ، وجاءت أقوال كثيرة في تعليل هذا الإسناد مبنية كلها على جعل الباء في ( بنصب ) إمّا للتعديّة وإمّا للعلّة . وما ارتضاه الطاهر ابن عاشور : « أن تحمل الباء على معنى السببية يجعل النَّصْب والعذاب مسببين لمس الشيطان إياه . أي مسني بوسواس سببه نصب وعذاب ، فجعل الشيطان يوسوس إلى أيوب بتعظيم النصب والعذاب عنده ويلقي إليه أنه لم يكن مستحقاً لذلك العذاب ليلقى في نفس أيوب سوء الظن بالله أو السخط من ذلك . أو تحمل الباء على المصاحبة ،

(١) الإيضاح ١ / ٨٢ .

(٢) إبراهيم / ٤١ .

(٣) ص / ٤١ .

أي مسني بوسوسة مصاحبة لضرٍّ وعذابٍ»<sup>(١)</sup> . فيظهر أدبه عليه السلام بعدم إسناده الشر إليه . ومثله قوله تعالى على لسان أيوب كذلك : ﴿ أَنْتَى مَسْنَى الضَّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . فإسناد المس إلى الضر مجاز عقلي لأن الفاعل الحقيقي هو الله عز وجل وليس الضر ولكن أسنده إليه تأدباً مع الله .

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ ... ﴾<sup>(٣)</sup> . فقد ذهب بعض المفسرين إلى جعل ( المنادي ) القرآن فيكون في الآية مجازاً عقلياً علاقته السببية ذلك أن كل المؤمنين لم يلقوا الرسول . فإسناد النداء إلى القرآن جاء على المجاز .

ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾<sup>(٤)</sup> . فقوله ( يزكيهم ) أي « يطهرهم من أرجاس الشرك وأنجاس الشك وقاذورات المعاصي »<sup>(٥)</sup> . ففي إسناد فعل التزكية إلى الرسول مجاز عقلي علاقته السببية . ذلك أن التطهير هو نتيجة إيمانهم بالله عز وجل ، ولكن لأن الرسول هو المبلغ لهذا الدين الموصل إلى الإيمان والنجاة ، أي أنه هو السبب بعد الله في إيمانهم وطهارتهم ذكره مسنداً الفعل إليه .

(١) التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٧٠ .

(٢) الأنبياء / ٨٣ .

(٣) آل عمران / ١٩٤ .

(٤) البقرة / ١٢٩ .

(٥) روح المعاني ١ / ٣٨٧ .



وفي قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾<sup>(١)</sup> نرى في إسناد الانبغاء إلى الملك مجاز عقلي .  
حيث أن الفعل ( ينبغي ) مطاوع بغاه .

يقال : بغاه فانبغي له ، وليس للملك اختيار وانبغاء ، وإنما الله هو المعطي والميسر . فالحقيقة هو انبغاء سببه - أي الملك - وهذا من التأدب في دعائه عليه السلام إذ لم يقل لا تعطه أحداً من بعدي<sup>(٢)</sup> .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> نرى مجازاً عقلياً في النسبة الإضافية ، حيث نسب الصدق إلى اللسان وإنما الذي يوصف بالصدق صاحبه ومنها كذلك قوله تعالى : ﴿ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾<sup>(٤)</sup> . فنسب الصدق كذلك إلى مكان الدخول والخروج ، وإنما هو وصف لمن يدخل أو يخرج . ولكن لشدة تلهفه للخروج من مكة لأنها لم تكن حينئذ مكاناً ملائماً لنشر الدعوة وشوقه إلى المدينة موطن نصرته المنتظر . نراه ينسب إليها هذا الصدق ويضيفه إليها لتخصيصهما . فيكون خروجه خروجاً مخصوصاً متصفاً بالصدق وكذلك دخوله .

(١) ص / ٣٥ .

(٢) راجع التحرير والتنوير ٣ / ٢٦٢ .

(٣) الشعراء / ٨٤ .

(٤) الإسراء / ٨٠ .

ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾<sup>(١)</sup> . فالنار ليست هي التي تعذب ولكنها مكان التعذيب يحل فيها الكافرون . ولكن نظراً لأن الداعين حريصون على طلب الوقاية من هذا العذاب الذي تملك الخوف منه شغاف قلوبهم نراهم ينسبون إلى النار مباشرة لما فيه من تهويل لأمر هذا العذاب وإظهار شدة خوفهم من الوقوع فيه ومثله قوله تعالى : ﴿ أَصْرَفَ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ومنها كذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾<sup>(٣)</sup> . فالجواز هنا في قوله ( الأليم ) لأن في إسناد الأليم وإضافته إلى العذاب مجاز عقلي لأن المراد الأليم أثره . أو العذاب المؤلم فالعلاقة هنا الفاعلية .

(١) البقرة / ٢٠١ - آل عمران / ١٦ - ١٩١ .

(٢) الفرقان / ٦٥ .

(٣) يونس / ٨٨ .

## ج - الكناية :

الكناية « لفظ أريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة معناه »<sup>(١)</sup> وقيل :  
« هي ترك التصريح بالشيء إلى ما يساويه في اللزوم لئنتقل منه إلى الملزوم  
كما يقال : فلان طويل النجاد . أي طويل القامة وسميت كناية لما فيها من  
إخفاء وجه التصريح بالعلم »<sup>(٢)</sup> .

والكناية من فنون البيان التي يشعر معها الشخص بجمال الأسلوب  
و( خصوبة العبارة التي لم تدل على المعنى دلالة مباشرة وإنما تلوح ، وتومئ  
وتشير ، وتترك تحديد المراد ، والنص عليه للقوى والملكات البيانية تشقق فيما  
وراء الحجب صنوفاً من المعاني وضروباً من الإشارات )<sup>(٣)</sup> ومما يميز كنايات  
الدعاء القرآني أنها واضحة قريبة وغالباً ما تكون كنايات عن صفة . وتمتاز  
كذلك ( بنظمها البديع ، وتأليفها الفريد ، فمعناها لا يؤدي بغير لفظها ،  
ولفظها لا يصلح إلا لمعناها ، حتى لتكاد تصعب التفرقة بينهما فلا يدرى  
أيهما التابع ؟ وأيهما المتبوع ؟ وهي من هذه الناحية ، تعد من مظاهر  
الإعجاز في القرآن »<sup>(٤)</sup> . وهي غالباً ما تأتي مصاحبة لصور المجاز .

ومن كنايات القرآن قوله تعالى : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۗ ﴾

(١) الإيضاح ٥ / ١٥٨ .

(٢) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان / ٢٦١ .

(٣) التصوير البياني / ٣٧٦ .

(٤) الأسلوب الكنائي (نشأته - تطوره - بلاغته) / محمود السيد شيخون / ط ١ ، ١٣٩٨ هـ -

١٩٧٨ م ، مكتبة الكليات الأزهرية / ص ١٠٦ .

إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿١﴾ . وقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى  
الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ ﴿٢﴾ فقد جاءت الكناية  
في قوله : ﴿ لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ كناية عن الاستجابة والقبول لهذا الدعاء  
وهي كما ترى كناية واضحة قريبة لأن سماع الدعاء أَدْعَى لإجابته غالباً .

ومنها كذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ  
وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ ﴿٣﴾ . ففي تثنية ( ضعفين ) كناية عن شدة العذاب ﴿٤﴾  
وقسوته على هؤلاء المضلين وهو نظير ما في الأعراف من قوله تعالى :  
﴿ فَكَاتِبِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴾ ﴿٥﴾ . ونرى شدة حقد هؤلاء الأتباع  
على من أضلهم وذلك عندما يطلبون من ربهم أن يريهم المضلين من الجن  
والإنس في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ  
تَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ ﴿٦﴾ . فطلب رؤية المضلين  
كناية عن إرادة الانتقام ﴿٧﴾ منهم وقوله : ليكونا من الأسفلين فيه كناية عن  
المهانة والذل والحقارة .

(١) آل عمران / ٣٨ .

(٢) إبراهيم / ٣٩ .

(٣) الأحزاب / ٦٨ .

(٤) راجع التحرير والتنوير ٢٢ / ١١٩ .

(٥) الأعراف / ٣٨ .

(٦) فصلت / ٢٩ .

(٧) راجع التحرير والتنوير ٢٤ / ٢٨١ .

ونجدها كذلك في قوله تعالى لسان يوسف عليه السلام : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ<sup>(١)</sup> إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . فالميل إليهن كناية عن قبول ما قلن . وقيل : كناية عن المؤاتاة عند من قال : إن النسوة دعونه إليهن كذلك<sup>(٣)</sup> .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> . فالكتابة هنا كناية عن صفة الثبات على الإيمان في الخاتمة والظاهر أن المراد اجعل ذلك وقدّره لنا .. أو أدخلنا في عداد أتباعهم<sup>(٥)</sup> فهو كناية عن الانضمام إلى الصالحين . وفي اختيار الفعل ( اكتب ) دلالة على شدة حرصهم أن يكونوا في عداد الصالحين ومن جملتهم وذلك بتثبيت أسمائهم معهم عن طريق الكتابة لأنها وسيلة التوثيق في العهود والمكاتبات .

وفي قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ ﴾<sup>(٦)</sup> . جاء التعبير بقوله : ( مقيم الصلاة ) من باب الكناية ، أي اجعني مؤدياً لها على أكمل وجه ، تامة الركوع والسجود لا يعترئها النقص و« وفقني لتوفية شرائطها »<sup>(٧)</sup> .

(١) أصبُ إليهن : أملُ إليهن .

(٢) يوسف / ٣٣ .

(٣) راجع حاشية الشهاب ٥ / ١٧٦ .

(٤) آل عمران / ٥٣ - المائة / ٨٣ .

(٥) راجع حاشية الشهاب ٣ / ٣٠ .

(٦) إبراهيم / ٤٠ .

(٧) مفردات الراغب / ٤١٨ .

## ثانياً : صور البديع

يظهر للمتأمل في آيات الدعاء، أنه لم يرد من صور البديع - والله أعلم - سوى الطباق ورد العجز على الصدر أو ما يعرف بالإرصاد والتسهم وكذلك الجمع والتقسيم ومراعاة النظير<sup>(١)</sup> .

فالداعي يقف بين يدي ربِّ عليم ، يدعوه عباده فيجيبهم ، فيكون حرص الداعي حينها على الإلحاح في الدعاء وعرض حاجته بطريق مباشر ، قارعاً أبواب السماء منتظراً الإجابة لذا ظهر الدعاء القرآني بعددٍ قليل من محسنات القول .

والمحسنات البديعية الواردة في الدعاء ، نراها زادت المعنى جمالاً ، بل كانت منسجمة مع النظم تكاد تنطق بها الآيات ، وهي مع بساطتها دلّت على معانٍ مستفادة من السياق ذاته .

### ١ - الطباق :

فن بديعي يعمد إلى « الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة »<sup>(٢)</sup> . و« الطباق يجمع المعاني المتقابلة ، والألفاظ المتضادة في رتبة واحدة ، تعطي الأسلوب قوة وحيوية ، فيجمع أموراً لا تجتمع في العادة ويجعلها مقترنة متلاصقة . فيرينا الحياة مع الموت ، والنور مع الظلام ،

---

(١) الجمع والتقسيم كما في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ﴾ المائدة / ١١٤ حيث جمع في قوله : ﴿ تَكُونُ لَنَا عِيدًا ﴾ ثم قسم بقوله : ﴿ لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ﴾ .

أمّا مراعاة النظير ففي قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ جَعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ فصلت / ٢٩ .

(٢) الإيضاح ٦ / ٧ .

والصحة مع المرض ، والفقر مع الغنى .. وهذا الجمع يحدث الائتلاف بين المختلفات ، ويحقق العناق بين المتنافرات ، وذلك مكمّن الإبداع في العربية»<sup>(١)</sup> .

وجاء الطباق في الدعاء القرآني واضحاً ، قريباً سهل المأخذ ، جمع بين الأضداد في توافق وحُسن انسجام ، متنوعاً بين لفظين إمّا من نوع واحد ( كاسمين أو فعلين ) وإمّا من نوعين مختلفين ( اسم وفعل ) ولم يأت بين حرفين إلا في سياق الدعاء كما في سورة البقرة ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾<sup>(٢)</sup> .

## أولاً : بين لفظين من جنس واحد ( اسمين ) .

### ١ - المطابقة بين الدنيا والآخرة :

جاء الطباق بين الدنيا والآخرة في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ التَّارِ ﴾<sup>(٣)</sup> . فقد جمع الداعون الخير في دعائهم هذا ، فعبروا عن طلبهم الدنيوي موصولاً بالآخروي ، مظهرين حاجتهم لتلك الحسنة ليس في الدنيا فقط بل في الآخرة وخاصة عند الوقوف بين يدي الله ، الذي بيده أن يهبهم الحسنة ( الجنة ) تفضلاً منه ورحمة وكرماً. ونظيرها ما جاء في الأعراف من قوله تعالى : ﴿ وَأَكْتُبْ لَنَا

(١) بلاغة الدعاء في الحديث النبوي / ٣٨٢ .

(٢) البقرة / ٢٨٦ .

(٣) البقرة / ٢٠١ .

فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ ﴿١﴾ . وجاءت كذلك في قوله تعالى : ﴿ أَنْتَ وَلِيِّّ فِي الدُّنْيَا وَآلِ الآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ ﴿٢﴾ . فيوسف عليه السلام يؤكد ولاية الله له في الدنيا والآخرة فهو وليه سبحانه والقادر على تحقيق ما يطلبه منه .

## ٢ - المطابقة بين أولنا وآخرنا :

جاءت تلك على لسان عيسى عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ﴾ ﴿٣﴾ . واختلفوا في المراد بأولنا وآخرنا إلى عدة أقوال منها : إنه يراد بهم المتقدمون والمتأخرون منهم ، وقيل : أولهم وآخرهم ، وقيل : الرؤساء والأتباع ﴿٤﴾ . وأياً كان المراد ، فإن في ذلك دلالة على حرصه عليه السلام على شمول هذا السرور والفرح الجميع بنزول تلك المائدة ، فلا يفوت أحداً منهم من الأولين أو الآخرين . فيجعلنا نشعر بالآكلين من هذه المائدة يلحق آخرهم بأولهم . لا يفصل بينهم فاصل ، مجتمعون في مكان واحد .

## ٣ - المطابقة بين الجن والإنس :

جاءت تلك المطابقة على لسان المعذنين في النار في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا

(١) الأعراف / ١٥٦ .

(٢) يوسف / ١٠١ .

(٣) المائدة / ١١٤ .

(٤) راجع تفسير أبي السعود ٣ / ٩٨ .



أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ جَعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ  
الْأَسْفَلِينَ ﴿١﴾ . حيث أظهرت أن الإضلال لا يقع من الجن وحدهم بل إنَّ  
من الإنس من يعمل على الغواية والإضلال لغيره . لذا فالأتباع يطلبون  
رؤيتهم للانتقام منهم .

#### ٤ - المطابقة بين السموات والأرض :

جاءت تلك على لسان يوسف عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ فَاطِرَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ ﴿٢﴾ . فقد جمع عليه  
السلام بين السماء والأرض في دعائه وخصهما بالذكر لما في خلقهما من  
الإبداع والدلالة على القدرة المطلقة . فأظهر لنا السماء بعلوها والأرض  
بانخفاضها ليس بينهما مسافة سوى رفع البصر إلى السماء ورده إلى الأرض .

#### ثانياً : بين لفظين من جنس واحد ( فعلين ) .

#### ١ - المطابقة بين ( أمتنا وأحييتنا ) :

جاءت في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا أَتْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَتْنَتَيْنِ  
فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ ﴿٣﴾ . فقد طابق بين الإحياء  
والإماتة مبيناً أنهما من أحوال الإنسان التي لا مفر منها مظهراً أنهما كذلك  
من خصائص قدرة الله عز وجل وصفاته التي لا يشاركه فيها أحد ، بيده  
القدرة التامة على البعث والإيجاد من العدم .

(١) فصلت / ٢٩ .

(٢) يوسف / ١٠١ .

(٣) غافر / ١١ .

## ٢ - المطابقة بين ( تضل وتهدي ) :

جاءت في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَآغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۗ ﴾<sup>(١)</sup> . فجمع بذلك بين الضلال والهداية ليعين أنهما بيد الله يصرفها بين عباده كيف يشاء .

## ٣ - المطابقة بين ( يُصدّقني ويكذبون ) :

جاءت في قوله تعالى : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۗ ﴾<sup>(٢)</sup> . فبين الصدق والكذب طباق أظهرت الآية حرص موسى عليه السلام على تبليغ الدعوة واستعمال كل ما من شأنه إبلاغها على الوجه المطلوب ، مظهراً خوفه الشديد من تكذيبهم إياه لذلك فهو في حاجة إلى من يصدقه فيما يقول ويكون عضداً له في مواجهة هؤلاء المكذبين .

## ٤ - المطابقة بين ( أدخلني وأخرجني ) :

جاءت في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ۗ ﴾<sup>(٣)</sup> . وهنالك أقوال<sup>(٤)</sup> عديدة في المراد بالإدخال والإخراج في هذه الآية . وأياً كان المراد فإن الآية أظهرت

(١) الأعراف / ١٥٥ .

(٢) القصص / ٣٤ .

(٣) الإسراء / ٨٠ .

(٤) راجع تفسير أبي السعود ٥ / ١٩٠ .

لنا الدخول والخروج معاً في وقتٍ واحدٍ ، وأشعرتنا بقصر المسافة بين هذا الدخول وذلك الخروج ، واصفةً إياهما بالصدق ؛ لتتم البركة فيهما فلا تشوبهما شائبة تمنع حصولهما .

### ثالثاً : بين لفظين ليسا من جنس واحد ( اسم وفعل ) .

#### ١ - المطابقة بين ( مغلوب وانتصر ) :

جاءت في قوله تعالى : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرٌ ﴾<sup>(١)</sup> .  
فجمع بين الغلبة والنصر مظهراً أنه قد غلب على أمره فلا يجيب لدعوته لذلك طلب النصرة من الله عز وجل .

#### ٢ - الإحصاء<sup>(٢)</sup> :

« وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروي »<sup>(٣)</sup> . وهو كثير جداً في آيات الدعاء وقد أشرنا إليه عند دراستنا لمبحث فواصل آيات الدعاء ، ومنه على سبيل المثال قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تَزِرْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾<sup>(٤)</sup> . فقد ذكر لفظ ( هب ) وهو مناسب للفظ ( الوهاب ) .  
ومنه كذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ

(١) القمر / ١٠ .

(٢) ويسمى كذلك التسهيم أو رد العجز على الصدر .

(٣) الإيضاح ٦ / ٢٥ .

(٤) آل عمران / ٨ .

الْفَتْحِينَ ﴿١﴾ . فالأرصاد فيه قوله ( افتح ) .

ومما سبق يمكن القول :

- ١ - إنَّ صور البيان والبديع جاءت قليلة للأسباب التي ذكرناها ولكنها مع قلتها وبساطتها لم تخلُ من البلاغة المعجزة والدلالة الأسلوبية الرائعة .
- ٢ - إنَّ أكثر صور الاستعارة كانت من باب ( الاستعارة التصريحية ) .
- ٣ - إنَّ أكثر كنايات الدعاء القرآني هي كنايات عن صفة .
- ٤ - إنَّ الكناية في الدعاء القرآني تدخل ضمن أساليب مجازية غالباً « وذلك بأن يكون المجاز داخلاً في طبيعة صياغتها ؛ أو يكون طريقاً لها »<sup>(٢)</sup> .

---

(١) الأعراف / ٨٩ .

(٢) بلاغة الدعاء في الحديث النبوي / ٣٦٩ .

## الخاتمة

وبعد أن عشنا مع القرآن دراسة وتحليلاً ، عرضاً وتفصيلاً ، يمكننا أن نوجز أهم النتائج التي توصل إليها البحث في النقاط الآتية :

١ - إن مقام الدعاء من أصدق المقامات الخطابية ، وأبعدها عن التكلف وبهرجة القول .

٢ - قيام الدعاء على جملة من المشاعر النفسية كالخوف والرجاء والتذلل والخضوع والأمل والحياء .

٣ - غزارة مادة ( دعا ) وثراء دلالاتها ، وانفراد القرآن بمعانٍ لم ترد في كلام الناس كالدعاء بمعنى العبادة والسؤال والقول والحث على الشيء والطلب والاستعجال ونداء الهلاك وهي في معظم تلك المعاني تخرج إلى المجاز.

٤ - كثرة النداء بصفة الربوبية ، وقلته بصفة الألوهية لما في الربوبية من معاني التربية والإنعام والتفضل واللجوء إلى مصدر الخير أملاً في الإجابة .

٥ - خروج بعض الصور من الدعاء لفقدائها شرط التذلل والخضوع كدعاء إبليس ومشركي مكة .

٦ - كثرة صدور الدعاء الدنيوي على ألسنة المؤمنين والأنبياء خاصة . أما الدعاء في الآخرة فصدر معظمه من المعذنين .

٧ - دقة القرآن في التعبير بالاسم والفعل ومراعاة الفروق الدقيقة في بعض الأفعال متقاربة الدلالة كما في ( أعطى وآتى ) و ( كفر - واغفر ) و ( مس وأصاب ) .

٨ - كثرة القصر في الدعاء القرآني بأسلوب التقديم .

٩ - السياق القرآني هو المحرك والباعث على كثير من الدلالات ، كما في الجمع والإفراد والتقديم لبعض المفردات ، وكذلك هو الذي يُظهر لنا المعاني الخفية والمناسبات الدقيقة التي تربط الجمل ببعضها وتفصلها عن بعض، غير ما قرره علماء البلاغة من أسباب الفصل والوصل المعروفة .

١٠ - كثرة الوصل في آيات الدعاء وذلك لحاجة الداعي ولهفته لتحقيق مراده لذا نراه يحاول وصل كلامه حتى لا يفوته ذكر شيء من تلك الحاجات. وكان أكثر صور الوصل ( التوسط بين الكمالين ) لأن الدعاء في الأساس هو صورة من صور الأمر أو النهي .

١١ - كان التقديم بين أركان الجملة غالباً ما يكون للعناية والاهتمام والقصر .

١٢ - إن التأكيد في الدعاء القرآني تحركه بواعث نفسية ، وقد كثر التأكيد في الحقائق المتعلقة بالله . فيثها الداعي مؤكدة حسب قوتها في نفسه. واستخدم لذلك الآداة ( إنَّ ) لخفتها وسرعتها ولأنها أم الباب .

١٣ - كثرة التعريف بالإضمار والإضافة خاصة الإضافة للفظي ( رب - خير ) .

١٤ - أكثر دلالات التنكير شيوعاً دلالة التعظيم ؛ لرغبة الداعين في تعظيم ما يطلبون .

١٥ - إن ترتيب الجمل في الدعاء القرآني جاء موافقاً للترتيب الخارجي للأحداث وقد يخالف مراعاةً لأمر يقتضيها السياق . ويدعو البحث إلى

بذل مزيد من الجهود في دراسة ترتيب الجمل لما فيه من اللطائف والأسرار  
البلاغية .

١٦ - السمة المميزة للدعاء القرآني إيجازه ، وقد يأتي ببعض صور  
الإطناب .

١٧ - إن فواصل آيات الدعاء قد ضُمَّت ألواناً من الدرس البلاغي  
كالتقديم والتأخير والحذف ، وهي لا تزال في حاجة إلى جهود الباحثين  
لبحث دقائقها وعرض بلاغتها وإعجازها .

١٨ - قلة صور البيان والبديع في آيات الدعاء ؛ وذلك لبساطته فهو  
يصدر غالباً من نفسيات أضعنتها الفاقة وأرهقتها الشدة . فنرى الداعي  
يعرض كلامه بطريقة مباشرة - وحتى الصور الواردة منهما تُعد بسيطة ومع  
ذلك لم تخلُ من الإعجاز والدلالة الأسلوبية الرائعة .

١٩ - إنَّ أكثر استعارات الدعاء من باب الاستعارة التصريحية ربما  
لبساطة الدعاء وبعده عن الغموض .

٢٠ - كثرة الكنايات عن صفة في الدعاء القرآني .

ونسأل الله الكريم أن يكون ما كتبناه في هذا البحث حجة لنا لا علينا  
وأن ينفع به ويجعله خالصاً لوجهه الكريم إنه على ذلك لقدير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



فهرس الآيات

رقم الآية	رقم الصفحة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة	السورة
٢٨٥	٢٧٨، ٢٤٠، ٣٤	البقرة	٣	٢٧٩	الفاتحة
٢٨٦	٥٨، ٣٧، ٣٦، ٣٥		٤	٢٧٦، ١٠٥	
	١٤٥، ١٢٦، ٦٧		٥	١٥٥، ١٢٣، ٥٧	
	٢٢٣، ٢١١، ١٥٢			٢٦٢، ٢٣٨	
	٢٥٤، ٢٥١، ٢٤٦		٦	١٢٣، ٥٧، ٣٥	
	٢٩٢، ٢٨٦، ٢٦١		١٤٩، ١٣٣		
	٣١٧، ٣٠٣		٣٠٢، ٢٣٨		
٧	٢٨٢	آل عمران	١٤	١١٣	البقرة
٨	١١٠، ٥٨، ٣٧، ٣٥		٣٥	٤٥	
	١٥٣، ١٢٣، ١١٦				
	٢٥٩، ٢٢١، ١٩٨				
	٣٢١، ٢٦٨، ٢٨٢				
٩	١١٥، ٨١		٣٦	٤٥	
١٤	٢٩٤		٣٩	١٥٢	
١٦	١٢٠، ٨٣، ٥٨		٥٥	١٨٦	
	٢٥١، ١٩٧، ١٢٢		٦٩	١٠	
	٣١١، ٢٥٣				
٣٥	١١٤، ١١٥، ١١٠		١٢٦	١٣٣، ١٠٠، ٦٣	
	٢٧٢، ٢٥٢			٢٢٨، ٢٠٤، ١٤٠	
				٢٨١، ٢٣٠	
٣٦	١١٣، ٥٦		١٢٧	١١٥، ٤٨، ٣٤	
				٢٢١، ١٣٤، ١٢٤	
			٢٥٧، ٢٥١، ٢٤٩		
			٢٧٢، ٢٦٢، ٢٦٠		
٣٨	١١٥، ١١٠، ٦٤	١٢٨	١١٦، ٤٨		
	١٦٤، ١٥٣، ١٤٤		٢٧٥، ٢٦٠		
	٣١٣، ٢٢٢				
٤١	١٤٣، ١٠٨، ١٠٧	١٢٩	١١٦، ٧٥، ٤٨		
	٢٢٢، ٢٠٢، ١٩٢		١٦٠، ١٣٤، ١٣٠		
			٢٦٥، ٢٦٠، ٢٣٥		
			٣٠٩، ٢٧٤		
٤٧	١٧٦	١٣٢	٢٠٦		
٥٣	١٢٦، ٨٤، ٥٦	٢٠٠	٢٥٢		
	٣١٤، ٢١٢، ١٣٧				
١٠٩	٥٨	٢٠١	١٧٦، ١٧٣، ٥٨، ١٦		
			١٩٧، ١٤٦، ٩٨		
			٢٤٩، ٢٤٢، ٢٠١		
			٣١٧، ٣١١		
١٢٠	١٧٠	٢٤٩	٢٣٧		
١٤٥	٨٤	٢٥٠	٧٢، ٥٥، ٣٦		
١٤٧	٧٢، ٦٧، ٥٧		١٦٣، ١٥٢، ١٤٣		
	٢٠٦، ١٨٩، ١٥٢		٢٨٦، ٢٣٧، ١٨٩		
	٢٨٦، ٢٥١		٣٠٥، ٢٩٩		



السورة	رقم الآية	رقم الصفحة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
آل عمران	١٨٥	١٧٧، ١٨٤، ٢٧	الأعراف	٦٥	٤٧
	١٩١	١٩٧، ١٣٢، ١٨٣		٨٣	٢١٥
	١٩٢	٣١١، ٢٦٥، ٢٥٠		٨٩	١٣٩، ١٢٩، ١٠٣، ٥٤ ٢٦٣، ٢٥٨، ١٨٧ ٣٢٢، ٢٨٤، ٢٥٨
	١٩٣	١١٥		١٢٦	١٥٠، ١٤٣، ٨٤، ٥٥ ٣٠٥، ١٨٨، ١٦٣
	١٩٤	١٤٣، ٨٤، ٣٤ ١٦٩، ١٦١، ١٥٠ ٢١٤، ٢٠٧، ٢٠٦ ٢٦٠، ٢٥٨، ٢٥١		١٥١	١١٩٩، ١٥٦، ١٣٠ ٣٠٠، ٢٨٣، ٢٦٣، ٢٥١
النساء	١٠	١٧٩	الأعراف	١٥٥	٢١٢، ١٨٦، ١٢٩، ٤١ ٣٢٠، ٢٨٤، ٢٦٣، ٢٤٢
	٧٥	٦٨، ٦٧، ٥٧ ٢١٩، ١٤١، ١٠٨ ٢٧٧، ٢٦١		١٥٦	١١٩، ٩٨، ٨٦، ٧٩ ٢٠١، ١٤١، ١٣٠ ٣١٨، ٣٠٤، ٢٥٢، ٢٤٩
	١٦٥	٧٥		٢	١٧٨
المائدة	٢	٢٦٢	الأنفال	٣٢	٨٨
	٢٤	٢٨٦، ١٨٥		٣٧	١٧٨
	٢٥	١٨٥، ١٥٢، ٣٨ ٢٨٦، ٢٥٨، ٢٤٩	التوبة	٦٠	١٧٩
	٨٣	١٥٠، ٨٤، ٥٦ ٣١٤، ٢٢٢، ١٦١		٨٦	٩٠
	٩١	١٧٩		١٢٩	١٢٤، ١٠٣، ٥٤، ٤١ ١٩١، ١٣٩، ١٢٨
الأنعام	١١٤	١٢٩، ٦٤، ٥٣ ٢٨٤، ٢٦٣، ١٤٣ ٣١٨، ٣٠٤	يونس	١٠	١٢٨، ٥٩، ٣٩، ١٠ ١٠٩، ٦٥، ٢١١ ١٢٩
	١١٦	٥٣		٢٢	١٦٥، ١٢٠، ١٠
	٧١	١١		٢٤	١٧٧
	٩١	٧٧		٨٤	٢١٤
	٢٣	١١٩، ٨٠، ٤٥ ٢٥٥، ٢٥١		٨٥	١٥٢، ٥٤، ٣٧ ٢١٤
	٣٤	٧٤		٨٦	١٩٩، ١٦٥، ٦٩
	٣٨	١٤١، ٩١، ٦٠ ٣١٣، ١٧٢		٨٨	١٠٠، ٧١، ٥٢ ٣١١، ٢٦١، ١٤٤
٤٧	٨٣، ٥٩، ٣٦ ٢٨٧، ٢٢٢، ١٥٢				

رقم الآية	رقم الصفحة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة	السورة
١٥	١٠٢	الحجر	٣٣	١٨٠	هود
٣٦	٢٣		٣٦	٧١	
٣٩	٣٢		٣٧	١٥٤	
١٨	٢٠٠	النحل	٤٥	١١٥، ١١٦، ١٥٧، ٢٤٢	يوسف
٤٠	١٧٦		٤٧	٦٥، ٨٠، ١١٩	
١١٥	١٧٩		٣٣	٥٠، ٣١٤	
١٢٥	١١		٣٤	٥٠	
١٥	١٧٧، ٧٦	الإسراء	٨٥	١٠٣	
٢٤	٢٩٣، ٢٥٤، ٢٤٤		٨٦	١٧٥	
٨٠	١٨٠، ١٦٨، ١٤٤، ١٢٤، ١٥٨، ٢٣٩، ٢٧٧، ٣١٠، ٣١٩		١٠١	٣٤، ٨٤، ٩٨، ١٥٠، ٢٢٣، ٣١٨، ٣١٩	
١٠	١٠٩، ٨١، ٥٥، ١٤٣، ١٩٨، ٢١٣	الكهف	٧	١٧٦	الرعد
٢٥	٥٥		٧	٧٢	
٢٦	٥٥		٣٥	٤٩، ٦٣، ١٣٣، ٢٢٧، ٢٥٩	
٤٦	٦٤		٣٦	١١٦، ٢٢٧	
١١٠	١٧٦		٣٧	٦٣، ١٣٣، ١٤٤، ٢٠٤، ٢٢٧، ٢٤٣، ٢٥٣، ٢٩٨، ٣٠٥	
٢	٥٣	مريم	٣٨	١١٨، ٢٢٧	إبراهيم
٥	١٥١، ١١٠، ٥٣، ٢١٣، ٢٧٧، ٢٩٤		٣٩	٩٩، ١١٥، ١٣٥، ١٣٩، ٢٢٧، ٣١٣	
٦	٢٩٤، ٥٣		٤٠	١٢٤، ١٥٠، ٢٢٧، ٢٤٣، ٢٥٢، ٣١٤	
١٠	١٠٧، ١١٠، ١٩٢، ١٩٣، ٢٠٢		٤١	٨٠، ٢٢٧، ٢٥٠، ٢٥٩، ٣٠٨	
١١	١٩٤		٤٤	٧٤	
٤٧	٤٨		٤٥	٢٨٠	

رقم الآية	رقم الصفحة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة	السورة
٤٩	١٧٦	الحج	٢٤	١٤٥	طه
١٠	٢٥	المؤمنون	٢٥	٢٣٣، ١٠٨، ٧٦ ٢٥٧، ٢٥٥	
١١	٢٥		٢٦	٢٣٣، ١٠٨، ٧٦ ٢٥٧، ٢٥٥	
١٩	١٥٨		٢٧	٣٠٦، ٢٣٣، ٧٦	
٢٦	٢٤٩، ٢٦٦، ٢٣٦ ٢٨٠		٢٨	٣٠٦، ٢٣٣، ٧٦	
٢٩	١٢٩، ٢٦٦، ٢٣٦ ٢٤٩، ١٥٩ ٢٨٤، ٢٨٠		٢٩	١٤٤، ١٠٧، ٧٦ ٢٣٣	
٣٩	٢٦٦، ٤٤٨، ٣٦٦ ٢٨٠، ٢٤٩		٣٠	٢٣٣، ١٠٧، ٧٦ ٢٩٥	
٩٤	٢٨٧، ٢٦٩		٣١	٢٩٥، ٢٣٣، ٧٦ ٣١٥	
٩٧	٢٠٣، ١٣٢، ٧٤		٣٢	٢٩٥، ٢٣٣، ٧٦	
٩٨	٢٨٠، ٧٥		٩٠	١٨٠	
٩٩	٢٨٠، ٧٤		٩٨	١٧٦	
١٠٦	٦٠		١١٤	١٤٤، ٧٧	
١٠٧	٤٨٩، ٢٠، ٣٤ ١٢٩		١٣٤	٢٧٩، ٧٦	
١٠٩	٢٨٣، ١٥٨، ٢٣		١٥	١٠	الأنبياء
١١٧	١٧٨، ١٥٨		٧٧	١٥٤	
١١٨	١٢٩، ٥٤ ٢٨٣، ١٥٨		٨٣	٨١، ٧٨، ٥٠، ٣٩ ٣٠٩، ١٧٠، ١٥٦	
٦٢	١٧٨	٨٤	٧٩، ٣٩		
٣٠	٢٤٥	الفرقان	٨٧	١١٩، ٥١، ٣٩ ٢٥٦، ١٩٠	
٦٥	٤٨٣، ٥٧، ٣٨ ٣١١، ١٢٦، ٩٩		٨٨	٣٩	
٧٤	٢٠٢، ١٢٥، ٣٤ ٢٩٢، ٢٧٧، ٢٠٥		٨٩	٦٤، ٣٨، ٣٦، ٣٥ ٢٩٤، ١٩٢، ١٤٥	
٧٧	٩		٩٠	١٩٢	
			١١٢	١٥٤	

رقم الآية	رقم الصفحة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة	السورة
٢٣	٧٦	القصص	١٢	٧٦، ١٢٠، ٢٥٣، ٢٨٠	الشعراء
٢٤	٧٦، ٢٥٣، ٣٩، ٦٤، ٧٦، ١١٧، ١٣٧		١٣	٧٦، ٢٥٣	
٢٥	٦		١٧	١٦٦	
٣٣	٢٨٠، ١٢٦		١٨	١٦٦، ١٦٥	
٣٤	٣٢٠، ٢٨٠، ١٥٥		١٩	١٦٥	
٣٥	١٥٦		٢٦	٢٤٨	
٤٧	٧٦		٨٣	٤٩، ٢١٨، ٢٦٣	
٧٩	١٠١		٨٤	٣٣، ٤٩، ٢١٨، ٣٠٠، ٣١٠	
٣٠	٢٨٧، ١٦٦، ٤٩	العنكبوت	٨٥	٣٣، ٤٩، ٨٥، ٢١٨	
٣٣	٩٢	الروم	٨٦	٣٣، ٤٨، ٨٠، ٢١٨، ٢٢١	
١٢	١٧٧	لقمان	٨٧	٨٢، ٢١٨	
٣٢	٩٢		١١٧	١١٣، ٢١٨، ٢٦٤، ٢٨٠	
١٢	١٢٠، ٨٩	السجدة	١١٨	١٥٠، ٢١٨، ٢٥٩، ٢٦٤	
١٧	٨٥		١٦٩	٣٦، ١٣٨، ١٦٦، ٢٥٩	
٥	٧	الأحزاب	١٩	٧٢، ٨٤، ١٣٠، ١٣١، ١٣٦، ١٥٠، ١٦٤، ١٩٩	النمل
٥٣	٧		٤٠	١٧٧	
٦٣	١٧٩		٥٦	٤٩	
٦٧	١٠٢، ٦٠		٦٢	١٠	
٦٨	٦٠، ٩١، ١٠٢، ١٧٢، ٣١٣		١٦	٢٤٤	
١٣	٢٠٥	١٧	٢٥٥		
٥٠	١٧٧	٢١	٦٩، ١٦١		
		سبأ			

السورة	رقم الآية	رقم الصفحة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
فاطر	٢٤	٧٥	غافر	١١	٢٠٧، ٨٩، ٤٢ ٣٢٠
	٢٨	٧٨		١٤	٩
	٣٧	٨٩، ٦٠، ٣٤ ٢٥٤، ١٦٨، ١٣٨		٦٠	٩، ١٦، ٢٤، ٤٤، ١٥٤
				٧٠	٢١٢
يس	١٣	١١٢	فصلت	٦	١٧٧
	١٤	١١٢		٢٩	١٠١، ٣١٣، ٣١٩
	١٥	١١٢		٤٩	١٢
	١٦	١١٢	الزخرف	٨٨	١١٧، ١٤١، ١٤٥، ٢٤٥
الصفات	١٠٠	٢٥٣، ٢٣٢، ١٢٦	الدخان	١٢	١١٨
	١٠١	٦٤		٢٢	١١٧، ١٤١، ٢١٧، ٢٥٥
				٢٥	
ص	١٦	٨٨		٥٥	٧
	٣٤	٢٨٢			
	٣٥	٥٢، ٧٠، ١١٦، ١٢٣، ١٢٤، ١٤٣، ٢٢١، ٢٨٢، ٣١٠، ٣١٥	الأحقاف	١٥	٣٧، ٥٨، ٦٥، ٧٢، ١١٨، ١٢١، ١٣٦، ١٦٤، ٢٠٠، ٢٥٩، ٢٥٤
	٤١	٧٨، ١٤٥، ١٧٠، ٢٧٨، ٣٠٨	الحجرات	١٠	١١٩، ١٧٨
٦١	٩١، ١٤١، ٢١٥	القمر	١٠	٦٦، ١١٧، ١٥٣، ٢٤٤، ٢٢١، ٢٩٥	
			٤٧	١٨٤	
الزمر	٨	١٢	الرحمن	١	٧٧
	٤١	١٧٧	٤	٧٧	
غافر	٧	٥٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٦، ٢٥٠	الحديد	١٢	٨٧
	٨	٥٩، ٨٦، ٩٩، ١٣٦، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٧٤	المجادلة	٧	٢٤٦
	٩	٥٩، ١٣٥، ١٤٢، ٢٠٧	١٠	١٧٨	

رقم الآية	رقم الصفحة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة	السورة
١	٢٢	المطففين	١٠	١١٦، ١٣٦، ١٤٥، ٢٧٥	الحشر
١١	١١	الانشقاق	٤	١٠٣، ١٠٤، ٢٦٣، ٢٧٨	المتحنة
٢١	١٧٧	الغاشية	٥	٣٥، ١١٦، ٢٧٤	
٤	٧٧	العلق	١٠	٧٤	المنافقون
٥	٧٧		١٥	١٧٩	التغابن
٥	١٧٧	القارعة	٧	١٧٨	التحریم
١	٦٤	التكاثر	٨	٦٠، ٨٢، ٨٦، ١١٦، ١٩٧، ٢٢١	
١	٢٢	الهمزة	١١	٥٦، ٦٩، ٨٥، ١١٠، ١٤٠، ١٦٥، ١٦٧، ٢٨٧	
١	٢٢	المسد	٢٧	١١	الملك
			٥	٤٧	نوح
			٦	٤٧	
			٧	٤٧	
			٨	٤٧	
			٩	٤٧	
			٢١	١١٧	
			٢٢	٣٠٣	
			٢٤	٤٧، ٧٠، ١٨٣، ٢١٦، ٣٠٣	
			٢٦	٤٧، ٧١، ١٢٦	
			٢٨	٤٧، ٧٠، ٨٠، ١٤٦، ١٨٣، ٢٥٩، ٢٦٤	
			٣٨	٢١٦	

## ثبت المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم .

أولاً : المصادر القديمة :

( أ )

٢ - الإتقان في علوم القرآن .

جلال الدين السيوطي .

تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية : بيروت .

( ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ) .

٣ - أسرار البلاغة .

عبد القاهر الجرجاني .

تعليق / محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة .

ط ١ ، ( ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م ) .

٤ - الإنتصاف فيما تضمنه الكشاف من الإعتزال بهامش حاشية

الكشاف .

ناصر الدين أحمد بن محمد المنير .

دار الكتب العلمية : بيروت .

ط ١ ، ( ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ) .

٥ - الإيضاح .

الخطيب القزويني .

شرح / محمد عبد المنعم خفاجي ، المكتبة الأزهرية للتراث بمصر .

ط ٣ ، ( ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ) .

( ب )

٦ - البرهان في علوم القرآن .

بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي .

تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة : بيروت .

ط ٢ ، ( د . ت ) .

٧ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز .

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي .

تحقيق / محمد علي النجار ، المكتبة العلمية : بيروت .

( د . ت ) .

٨ - البيان والتبيين .

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .

تحقيق / عبد السلام هارون ، دار الجيل : بيروت .

( د . ت ) .



( ت )

٩ - التبيان في علم المعاني والبديع والبيان .

شرف الدين حسين بن محمد الطيبي .

تحقيق د/ هادي عطية الهلالي ، عالم الكتب : بيروت .

ط ١ ، ( ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ) .

١٠ - تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)

أبو السعود محمد بن محمد العمادي .

دار إحياء التراث العربي : بيروت .

ط ٤ ، ( ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ) .

١١ - تفسير البحر المحيط .

محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي .

دار الفكر : بيروت .

( ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ) .

١٢ - تفسير البيضاوي المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل بهامش

حاشية الشهاب .

القاضي البيضاوي .

دار إحياء التراث العربي : بيروت .

( د . ت ) .

١٣ - تفسير الطبري : جامع البيان في تفسير آي القرآن .

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري .

دار الفكر : بيروت .

. ( ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ) .

١٤ - تفسير القرآن العظيم .

أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي .

دار الفكر : ( د . م ) .

. ( د . ت ) .

١٥ - التلخيص في علوم البلاغة .

للخطيب القزويني .

شرح / عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي : بيروت .

. ( ١٣٥٠ هـ / ١٩٣٢ م ) .

( ج )

١٦ - الجامع لأحكام القرآن .

أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي .

تحقيق / أحمد عبد العليم البردوني ، دار الكتاب العربي : القاهرة .

. ( ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ) .

١٧ - جامع الترمذي .

محمد بن عيسى بن سورة الترمذي .

تحقيق / أحمد شاكر وآخرون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي : القاهرة .

ط ١ ، ( د . ت ) .

١٨ - الجامع الصحيح المختصر .

محمد بن إسماعيل البخاري .

تحقيق د/ مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير : اليمامة ، بيروت .

ط ٣ ، ( ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ) .

( ح )

١٩ - الحاكم في المستدرک علی الصحیحین .

محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري .

تحقيق / مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية : بيروت .

ط ١ ، ( ١٤١١ هـ / ١٩٩٨ م ) .

( د )

٢٠ - دلائل الإعجاز .

عبد القاهر الجرجاني .

تحقيق / محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني : القاهرة ، دار المدني :

جدة .

ط ٣ ، ( ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ) .

٢١ - ديوان أبي نواس .

تحقيق / أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي : لبنان .

( د . ت ) .

٢٢ - ديوان حسان بن ثابت الأنصاري .

دار صادر : بيروت ، ( ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م ) .

٢٣ - ديوان العباس بن الأحنف .

دار صادر : بيروت ، ( ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ) .

( ذ )

٢٤ - ذيل الأمالي والنوادر .

دار الكتب العلمية : بيروت .

ط ١ ، ( ١٤١٦ هـ ) .

( ر )

٢٥ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .

شهاب الدين محمود الألوسي .

دار إحياء التراث العربي : بيروت .

ط ٤ ، ( ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ) .

( س )

٢٦ - سنن أبي داود .

سليمان بن الأشعث السجستاني .

تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر : بيروت .

( د . ت ) .

٢٧ - سنن الدارمي .

للإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي .

دار إحياء السنة النبوية .

( د . ت ) .

( ش )

٢٨ - الشعر والشعراء .

أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة .

دار إحياء العلوم : بيروت .

ط ٤ ، ( ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م ) .

( ص )

٢٩ - صحيح مسلم .

أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري .

مؤسسة قرطبة .

ط ٢ ، ( ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ) .

( ط )

٣٠ - الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز .

يحيى بن حمزة العلوي اليمني .

ضبط وتدقيق/ محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية: بيروت.

ط ١ ، ( ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ) .

( ع )

٣١ - عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للخطيب القزويني .

بهاء الدين السبكي .

طبع ضمن شروح التلخيص ، دار الكتب العلمية .

( د . ت ) .

٣٢ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده .

أبو علي الحسين بن رشيق القيرواني .

دار الجيل : بيروت .

ط ٥ ، ( ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ) .

( ق )

٣٣ - قصص الأنبياء .

أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي .

تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، المكتبة الإسلامية : بيروت .

ط ٢ ، ( ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ) .

( ك )

٣٤ - كتاب الضاعتين .

أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري .

تحقيق / علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم .

المكتبة العصرية : بيروت .

( ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ) .

٣٥ - كشف : عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه

التأويل .

جار الله محمود بن عمر الزمخشري .

ضبط وتصحيح / محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية :

بيروت .

ط ١ ، ( ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ) .

٣٦ - الكليات .

أبو البقاء الكفوي .

تحقيق / عدنان درويش ، ومحمد المصري .

دار الكتاب الإسلامي : القاهرة .

ط ٢ ، ( ١٤١٣ هـ ) .

( م )

٣٧ - مختصر السعد على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني .

سعد الدين التفتازاني .

طبع ضمن شروح التلخيص ، دار الكتب العلمية : بيروت .

( د . ت ) .

٣٨ - معجم أساس البلاغة .

جار الله محمود بن عمر الزمخشري .

دار الكتب المصرية : مصر .

( د . ت ) .

٣٩ - معجم الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية .

إسماعيل بن حماد الجوهري .

تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين : لبنان .

( د . ت ) .

٤٠ - معجم لسان العرب .

ابن منظور ، دار إحياء التراث العربي : بيروت .

ط ٣ ، ( ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ) .

٤١ - معجم المفردات في غريب القرآن .

أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني .

تحقيق / محمد سعيد كيلاني ، دار المعرفة : لبنان .

( د . ت ) .



٤٢ - معجم مقاييس اللغة .

أبو الحسين أحمد بن فارس .

تحقيق / عبد السلام هارون ، دار الفكر .

( د . ت ) .

٤٣ - ملاك التأويل : ( القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه

اللفظ من أي التنزيل ) .

أحمد بن إبراهيم الغرناطي .

تحقيق / سعيد الفلاح ، دار الغرب الإسلامي : ( د . م ) .

ط ١ ، ( ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ) .

٤٤ - مواهب الفتاح .

ابن يعقوب المغربي .

طبع ضمن شروح التلخيص ، دار الكتب العلمية : بيروت .

( د . ت ) .

( ن )

٤٥ - نتائج الفكر في النحو .

أبو القاسم السهيلي .

تحقيق / د. محمد إبراهيم البنا ، دار الرياض .

( د . ت ) .

٤٦ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور .

برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي .

تخريج / عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية : بيروت .

ط ١ ، ( ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ) .

## ثانياً : الرسائل العلمية :

٤٧ - بلاغة الدعاء في الحديث النبوي .

سلامة جمعة علي داود ، إشراف / عبد الحميد العبيسي .

رسالة دكتوراه - كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر ( ١٤١٩ هـ /

١٩٩٨ م ) .

٤٨ - الحوار في القرآن الكريم : خصائصه التركيبية وصوره البيانية .

محمد إبراهيم شادي .

رسالة دكتوراه - بحث مخطوط بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر .

٤٩ - نصوص الترغيب والترهيب في القرآن الحكيم من وجهة بلاغية .

يوسف عبد الله الأنصاري ، إشراف د/ عبد العظيم إبراهيم المطعني .

رسالة دكتوراه - كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى ،

( ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ) .

ثالثاً : المطبوعات الحديثة :

( أ )

٥٠ - أبو العتاهية رائد الزهد في الشعر العربي .

أسامة عانوني ، منشورات المكتبة الأهلية : بيروت .

١٩٦٢ م .

٥١ - الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن .

د. صباح عبيد دراز ، مطبعة الأمانة بمصر .

ط ١ ، ( ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ) .

٥٢ - أساليب القصر .

د. صباح عبيد دراز ، مطبعة الأمانة بمصر .

ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .

٥٣ - الأسلوب الكنائي : ( نشأته - تطوره - بلاغته ) .

محمود شيخون ، مكتبة الكليات الأزهرية .

ط ١ ، ( ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ) .

٥٤ - الإعجاز البيان في صيغ الألفاظ : دراسة تحليلية للإفراد والجمع في

القرآن .

د / محمد الأمين الخضري ، مطبعة الحسين الإسلامية .

ط ١ ، ( ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ) .

٥٥ - الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق .

عائشة عبد الرحمن ( بنت الشاطئ ) ، دار المعارف : القاهرة .

ط ٢ ، ( ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ) .

٥٦ - الأعلام .

خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين : لبنان .

ط ١٠ ، ١٩٩٢ م .

( ت )

٥٧ - التصوير البياني : دراسة تحليلية لمسائل البيان .

د. محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة : القاهرة .

ط ٣ ، ( ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ) .

٥٧ - التصوير الفني في القرآن .

سيد قطب ، دار الشروق .

( ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ) .

٥٨ - تفسير التحرير والتنوير .

محمد الطاهر بن عاشور .

( خ )

٥٩ - خصائص التراكيب .

د. محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة : القاهرة .

ط ٣ ، ( د . ت ) .

٦٠ - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية .

د. عبد العظيم المطعني ، مكتبة وهبة : القاهرة .

ط ١ ، ( ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ) .

( د )

٦١ - دراسات في علم الصرف .

د. عبد الله درويش ، مكتبة الطالب الجامعي : مكة المكرمة .

ط ٣ ، ( ١٤٠٨ هـ ) .

٦٢ - دلالات التراكيب .

د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة : القاهرة .

ط ٢ ، ( ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ) .

( ع )

٦٣ - العصر الإسلامي .

د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر .

ط ٧ ، ١٩٦٣ م .

٦٤ - العصر الجاهلي .

د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر .

ط ٨ .

٦٥ - علم البيان و ثراء المعاني في القرآن الكريم .

د. يوسف الأنصاري ، دار الأنصاري : مكة المكرمة .

ط ١ ، ( ١٤١٨ هـ ) .

( ف )

٦٦ - الفاصلة في القرآن .

محمد الحسناوي ، دار الأصيل .

( ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ) .

٦٧ - فتح القدير .

محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، عالم الكتب .

( د . ت ) .

٦٨ - في ظلال القرآن .

سيد قطب ، دار الشروق : بيروت ، القاهرة .

ط ١٧ ، ( ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ) .

( ه )

٦٩ - معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم .

د. إسماعيل أحمد عمايره ، ود. عبد الحميد مصطفى السيد .

مؤسسة الرسالة : بيروت .

ط ١ ، ( ١٤٠٧ هـ ) .

٧٠ - معجم ألفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية .

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .

ط ٢ ، ( ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ) .

٧١ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها .

د. أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي .

. ( ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ) .

٧٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

د. محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المعرفة : بيروت .

ط ٢ ، ( ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ) .

٧٣ - المعجم الوسيط .

إبراهيم أنيس وآخرون ، المكتبة الإسلامية : استانبول .

ط ٢ ، ( د . ت ) .

٧٤ - من أسرار البلاغة في القرآن .

د. محمد السيد شيخون ، مكتبة الكليات الأزهرية : القاهرة .

ط ١ ، ( ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ) .

٧٥ - من أسرار التركيب البلاغي .

السيد عبد الفتاح حجاب ، المكتبة التوفيقية .

ط ١ ، ( ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ) .

٧٦ - من أسرار القيد بالحال في النظم القرآني .

د. محمد الأمين الخضري ، بحث مستل من مجلة كلية اللغة العربية

بالقاهرة .

ع ١١ ، ( ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ) .



٧٧ - من أسرار المغيرة في نسق الفاصلة القرآنية .

د. محمد الأمين الخضري ( د . م ، د . ن ) .

( ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ) .

٧٨ - من بلاغة القرآن .

أحمد أحمد بدوي ، دار نهضة مصر : القاهرة .

١٩٧٧ م .

٧٩ - من سمات التراكيب : دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني .

عبد الستار حسين زموط ، مطبعة الحسين الإسلامية : القاهرة .

ط ١ ، ( ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ) .

( ن )

٨٠ - النبأ العظيم .

د. محمد عبد الله دراز ، دار القلم : كويت .

ط ٤ ، ( ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ) .

٨١ - النحو الوافي .

عباس حسن ، دار المعارف بمصر .

ط ٣ ، ( ١٩٧٤ م ) .

٨٢ - نهج البلاغة .

لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .

شرح الشيخ / محمد عبده ، دار الكتب العلمية : بيروت .

ط ١ ، ( ١٤١٠ هـ ) .

## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١ - ٤
التمهيد	٦ - ٢٧
أ - الدلالات اللغوية للدعاء في القرآن الكريم :	٦
١ - المعاني المشتركة لمادة ( دعا ) في القرآن وكلام الناس	٦ - ٧
٢ - المعاني التي لم ترد في القرآن	٨
٣ - المعاني التي انفرد بها القرآن	٩ - ١٣
ب - الدعاء في بيان العربية :	١٤ - ٢٧
١ - النثر	١٤ - ٢٢
٢ - الشعر	٢٣ - ٢٧
<b>الباب الأول : الدعاء أساليبه ومقاصده في القرآن الكريم</b>	
<b>الفصل الأول : أساليب الدعاء في محكم التنزيل</b>	
١ - الدعاء بأسلوب الأمر	٣١ - ٣٤
٢ - الدعاء بأسلوب النهي	٣٥ - ٣٨
٣ - الدعاء بأسلوب الخبر	٣٩ - ٤٠
٤ - الدعاء بأسلوب الاستفهام	٤١ - ٤٢
<b>الفصل الثاني : أصناف الداعين</b>	
<b>أولاً : الداعون في الدنيا</b>	
أ - آدم وحواء عليهما السلام	٤٥
ب - الأنبياء والرسل	٤٥ - ٥٣
ج - المؤمنون	٥٤ - ٥٨

الموضوع

الصفحة

ثانياً : في الآخرة ..... ٥٩ - ٦٠

أ - الملائكة ..... ٥٩

ب - المنعمون ..... ٥٩

ج - المعذبون ..... ٦٠

**الفصل الثالث : مقاصد الدعاء ..... ٦٢ - ٩٢**

أولاً : المطالب الدنيوية : ..... ٦٢ - ٧٨

١ - الأمن والرزق ..... ٦٣

٢ - الولد والذرية الصالحة ..... ٦٤

٣ - النصر ..... ٦٥ - ٦٧

٤ - النجاة من أهل الظلم والطغيان وأعمالهم ..... ٦٨ - ٦٩

٥ - طلب الملك ..... ٧٠

٦ - طلب الهلاك والعذاب للكافرين ..... ٧٠

٧ - شكر النعمة والقدرة على العمل الصالح ..... ٧١ - ٧٢

٨ - تثبيت الأقدام وقت الشدة والكرب ..... ٧٣

٩ - طلب التأخير والرجوع للدنيا عند رؤية الموت ..... ٧٣

١٠ - التعوذ من همزات الشياطين ..... ٧٤

١١ - إرسال الرسل ..... ٧٥ - ٧٦

١٢ - الزيادة في العلم ..... ٧٧

١٣ - الشفاء من المرض ..... ٧٨

## الموضوع

## الصفحة

- ثانياً : المطالب الأخروية ..... ٧٩ - ٩٢
- ١ - الرحمة والغفران ..... ٧٩ - ٨٠
- ٢ - عدم الخزي ، والنجاة من الظالمين ..... ٨١ - ٨٢
- ٣ - الوقاية من عذاب النار والإنصراف عنه ..... ٨٣
- ٤ - الوفاة على الإسلام والانضمام إلى الصالحين ..... ٨٤
- ٥ - الجنة والفوز بها ..... ٨٥
- ٦ - إتمام نور المؤمنين على الصراط ..... ٨٦ - ٨٧
- مطالب أهل الكفر ..... ٨٨
- ١ - طلب الخروج من النار والرجوع للعالم ..... ٨٩
- ٢ - طلب مضاعفة العذاب للمضلين ..... ٩٠ - ٩٢

## الباب الثاني : التحليل البلاغي لآيات الدعاء

### الفصل الأول : دراسة تركيب الجملة ..... ٩٥ - ٢٠٧

- المبحث الأول : التقديم وأسواره ..... ٩٥ - ١٢٢
- أولاً : تقديم بعض المفردات على بعض ..... ٩٦ - ١٠٢
- ١ - تقديم الدنيا على الآخرة ..... ٩٧
- ٢ - تقديم إسماعيل على إسحاق ..... ٩٨
- ٣ - تقديم الآباء على الأزواج والذرية ..... ٩٩
- ٤ - تقديم الأزواج على الذرية ..... ٩٩
- ٥ - تقديم الأمن على الرزق ..... ١٠٠
- ٦ - تقديم الزينة على الأموال ..... ١٠٠
- ٧ - تقديم الجن على الإنس ..... ١٠١
- ٨ - تقديم السادة على الكبراء ..... ١٠٢

## الموضوع

## الصفحة

- ثانياً : تقديم بعض أجزاء الجملة على بعض ..... ١٠٣ - ١١٠
- ١ - تقديم المفعول به على الفعل ..... ١٠٣ - ١٠٤
- ٢ - تقديم أحد المفعولين على الآخر ..... ١٠٥ - ١٠٦
- ٣ - تقديم المتعلق (الجار والمجرور) على الفعل ... ١٠٦ - ١٠٧
- ٤ - تقديم الجار والمجرور أو الظرف على المفعول به ... ١٠٨ - ١١٠
- المبحث الثاني : أسلوب التوكيد ودلالاته البلاغية ..... ١١١ - ١٢١**
- ١ - إظهار اليقين بمضمون الجملة ..... ١١٥
- ٢ - الاهتمام بالمؤكد ..... ١١٦
- ٣ - طلب النصرة والعون من الله إظهاراً للضعف  
وشدة الحاجة ..... ١١٧
- ٤ - الاعتذار والندم والرجوع إلى الإسلام ..... ١١٨ - ١١٩
- ٥ - إظهار اليقين لما سيحصل ..... ١٢٠
- ٦ - إظهار حقيقة منشأ الإيمان في نفوس الداعين ..... ١٢٠
- المبحث الثالث : التعريف والتكثير ..... ١٢٢ - ١٤٧**
- أولاً : التعريف في آيات الدعاء ..... ١٢٣ - ١٤٢**
- ١ - التعريف بالضمير ..... ١٢٣ - ١٢٤
- ٢ - التعريف بالإضافة ..... ١٢٥ - ١٣١
- ٣ - التعريف ( بأل ) ..... ١٣٢ - ١٣٤
- ٤ - التعريف بالاسم الموصول ..... ١٣٥ - ١٣٧
- ٥ - التعريف بالعلمية ..... ١٣٨ - ١٣٩
- ٦ - التعريف باسم الإشارة ..... ١٤٠ - ١٤٢

الموضوع

الصفحة

- ثانياً : التنكير في آيات الدعاء ..... ١٤٣ - ١٤٧
- ١ - التعظيم ..... ١٤٣
- ٢ - التكثير ..... ١٤٤
- ٣ - التقليل ..... ١٤٤
- ٤ - النوعية ..... ١٤٥
- ٥ - العموم والإبهام ..... ١٤٦
- المبحث الرابع : المشتقات وصيغ الأفعال ودلالاتها البلاغية ... ١٤٨-١٧٢
- أ - دلالة الفعل على التحدد والحدوث ..... ١٦٠ - ١٦٢
- ب - إثثار أفعال دون غيرها ..... ١٦٣ - ١٦٨
- ج - الأفعال المتقاربة الدلالة ..... ١٦٩ - ١٧٢
- المبحث الخامس : دلالات إنما والنفي والاستثناء ..... ١٧٣ - ١٩٤
- دلالة إنما ..... ١٧٤ - ١٨٠
- دلالة النفي والاستثناء ..... ١٨١ - ١٩٤
- المبحث السادس : أسرار الإفراد والجمع في آيات الدعاء ... ١٩٥-٢٠٧
- أولاً : الإفراد ..... ١٩٦ - ٢٠٢
- أ - الألفاظ المفردة - عامة - في الدعاء وغيره ..... ١٩٦
- ١ - الصراط ..... ١٩٦
- ٢ - النور ..... ١٩٧
- ٣ - النار ..... ١٩٧
- ب - الألفاظ التي جاءت بالإفراد والجمع وذكرت في الدعاء مفردة .... ١٩٨
- ١ - الرحمة ..... ١٩٨

الموضوع	الصفحة
٢ - النعمة	١٩٩
٣ - الحسنة	٢٠١
٤ - آية	٢٠١
٥ - إماماً	٢٠٢
ثانياً : الجمع	٢٠٣ - ٢٠٧
١ - همزات	٢٠٣
٢ - الثمرات	٢٠٤
٣ - أعين	٢٠٥
٤ - ذرياتنا	٢٠٦
٥ - الذنوب والسيئات	٢٠٦
<b>الفصل الثاني : دراسة تركيب الجمل</b>	<b>٢٠٩ - ٢٨٨</b>
المبحث الأول : علاقات الجمل	٢٠٩ - ٢٢٤
الفصل في آيات الدعاء	٢٢١
المبحث الثاني : ترتيب الجمل وأسراره	٢٢٥ - ٢٤٠
المبحث الثالث : مظاهر الإيجاز والإطناب	٢٤١ - ٢٦٦
أولاً : الإيجاز	٢٤٢ - ٢٤٤
أ - حذف جزء من أجزاء الجملة	٢٤٥ - ٢٥٤
١ - حذف أداة النداء	٢٤٥ - ٢٤٦
٢ - حذف المضاف	٢٤٧
٣ - حذف المضاف إليه	٢٤٨
٤ - حذف الفاعل والفاعل	٢٤٩

الموضوع

الصفحة

- ٥ - حذف المفعول ..... ٢٥٠ - ٢٥٣
- ٦ - حذف المبتدأ ..... ٢٥٤
- ٧ - حذف المصدر ..... ٢٥٤
- ب - حذف الجملة ..... ٢٥٥ - ٢٥٦
- ثانياً : الإطناب ..... ٢٥٧ - ٢٦٥
- ١ - الإيضاح بعد الإبهام ..... ٢٥٧
- ٢ - ذكر العام بعد الخاص ..... ٢٥٨
- ٣ - التكرير ..... ٢٦٠ - ٢٦١
- ٤ - الإيغال ..... ٢٦٢
- ٥ - التذييل ..... ٢٦٣
- ٦ - الاحتراس ..... ٢٦٤
- ٧ - الاعتراض ..... ٢٦٤ - ٢٦٦
- المبحث الرابع : فواصل آيات الدعاء ..... ٢٦٧ - ٢٨٨
- ١ - التقديم والتأخير في الفاصلة ..... ٢٧٢ - ٢٧٩
- أ - التقديم في صفات الله عز وجل ..... ٢٧٢ - ٢٧٦
- ب - التقديم في المتعلقات ..... ٢٧٦ - ٢٧٧
- ج - التقديم بين المتعاطفات ..... ٢٧٨ - ٢٧٩
- ٢ - الحذف في الفاصلة ..... ٢٨٠ - ٢٨١
- ٣ - بناء الفاصلة على كلمة قبلها ..... ٢٨٢ - ٢٨٥
- ٤ - من أسرار الصفات في الفاصلة ..... ٢٨٦ - ٢٨٨



الموضوع	الصفحة
<b>الفصل الثالث : صور البيان والبديع في آيات الدعاء .. ٢٩٠ - ٣٢٢</b>	
أولاً : صور البيان .....	٢٩١ - ٣١٥
أ - التشبيه .....	٢٩١ - ٢٩٥
ب - المجاز .....	٢٩٦ - ٣١١
١ - المجاز اللغوي .....	٢٩٧ - ٣٠٧
٢ - المجاز العقلي .....	٣٠٨ - ٣١١
ج - الكناية .....	٣١٢ - ٣١٤
ثانياً : صور البديع .....	٣١٥ - ٣٢٢
١ - الطباق .....	٣١٥
أولاً : بين لفظين من جنس واحد ( اسمين ) .....	٣١٦ - ٣١٨
١ - المطابقة بين الدنيا والآخرة .....	٣١٦
٢ - المطابقة بين أولنا وآخرنا .....	٣١٧
٣ - المطابقة بين الجن والإنس .....	٣١٧
٤ - المطابقة بين السموات والأرض .....	٣١٨
ثانياً : بين لفظين من جنس واحد ( فعلين ) .....	٣١٨
١ - المطابقة بين ( أمتنا وأحيينا ) .....	٣١٨
٢ - المطابقة بين ( تفضل وتهدي ) .....	٣١٩
٣ - المطابقة بين ( يصدقني ويكذبون ) .....	٣١٩
٤ - المطابقة بين ( أدخلني وأخرجني ) .....	٣١٩
ثالثاً : بين لفظين ليسا من جنس واحد ( اسم وفعل ) .....	٣٢٠
١ - المطابقة بين ( مغلوب وانتصر ) .....	٣٢٠
٢ - الأرصاء .....	٣٢٠ - ٣٢١
الخاتمة .....	٣٢٢ - ٣٢٤
فهرس الآيات .....	٣٢٥ - ٣٣١
ثبت المصادر والمراجع .....	٣٣٢ - ٣٥٠
فهرس الموضوعات .....	٣٥١ - ٣٥٨